الشروح الرَّضِيَّةُ
عَلَى مُتُوْنِ الْعَقَائِدِ السَّلَفِيَّةِ

(الثاني)

شَرْحُ السُّنَّـةِ

للإمامِ الْمُزَنِيِّ
المتوفَّى سنة ١٧٥ هـ

شرح
أبي يحيـى
محمـد بن عـبده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

حقوق الطبع محفوظة ، لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه
بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي
أو إلكتروني يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه .
ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى
دون الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف .

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

رقم الإيداع

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا ، مَن يهده الله تعالى فلا مضل لـه ، ومَن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ (النساء) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب) .

وبعد ..

فإن أصدَق الكلامِ كلامُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها ، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ نخشى على صاحِبِهَا مِنَ النَّارِ .

ثم أما بعد ..

فهذا المشروعُ الذي ابتدأناهُ بحولِ الله وقوتِهِ ..

« الشُّرُوحُ الرَّضِيَّةُ عَلَى مُتُوْنِ العَقَائِدِ السَّلَفِيَّةِ »

انتهينا فيهِ منْ « **شرحِ السُّنَّةِ للبربهاريِّ** » فيما يزيدُ على ثمانمائةِ ورقةٍ ، وهذا الكتابُ الثاني « **شرحُ السُّنَّةِ للإمامِ المزنيِّ** » ، سمَّاه السائل له فى أول سؤاله له فقال : « يكتب إلينا شرح السنة فى القدر .... » ، وكذلك المؤلِّف رحمه الله سمَّاه بهذا الاسم ، كما سيأتي فى آخر الكتاب ، ذاكَ الإمامُ السلفيُّ العقيدة شافعيُّ المذهبِ منْ تلاميذِ الإمامِ الشافعيِّ ، وقدانصبغَ علمُهُ ومنهجُهُ وسلفيتُهُ على كتابهِ هذا .

فقَرَّرَ فيهِ عقيدةَ السَّلفِ فى استواءِ الله على عرشِهِ ، والقدرِ ، والملائكةِ ، والجنَّةِ ، والنَّارِ ، والإيمانِ ، والقرآنِ ، والصفاتِ ، والإيمانِ بالغيبِ الذى منهُ عذابُ القبرِ ، والنشورُ ، والحسابُ ، والتحذيرِ منَ البدعِ ، والتعاملِ مع الحُكَّامِ منْ عدمِ الخروجِ عليهمْ ، ومنابذتهم ، والمعتقدِ فى أصحابِ النبي ﷺ ، ورؤيةِ الله تعالى فى الآخرةِ .... إلى غير ذلكَ من معتقداتِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ ، ولمْ يذكرْ لذلكَ أدلةً .

فلِلَّهِ الحمدُ شَرَحْنَا كلامَهُ وأوردنَا الأدلةَ عليهِ فزادتِ الأدلةُ الكتابَ حسناً إلى حُسنِهِ ، فنسألُ اللهَ تعالى مزيدَ توفيقٍ ، وأنْ يرحمنَا والإمامَ المزنيَّ وَمَنْ قامَ بتقريبهِ للناسِ وشرحِهِ ، وأن يجمعنا جميعاً فى الفردوس الأعلى بجوار نبينا ﷺ والصدِّيقين والشهداء والصالحين فحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله .

ونسألهُ أنْ يجعلَ أعمالنَا خالصةً لوجهِهِ الكريمِ ولاَ يجعلَ لأحدٍ فيها شيئاً .

وصلِّ اللهمَّ وسلِّمْ وبارِك على نبينا محمدٍ وعلى آلهِ وأصحابهِ أجمعينَ .

كتبه
أبو يحيى محمد بن عبده
بلطيم-كفر الشيخ-مصر

ترجمةُ المُزَنِيِّ

أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيلَ صاحبِ الإمام الشافعيِّ منْ أهلِ مصرَ ، وُلِدَ سنةَ ١٧٥ هـ ، كانَ زاهداً عالماً مجتهداً قويِّ الحُجَّةِ .

وهوَ إمامُ الشافعيينَ قليلُ الروايةِ لكنَّهُ كانَ رأساً فى الفقهِ ، ومنْ كتبهِ « الجامعُ الكبيرُ » و « الجامعُ الصغيرُ » و« المختصرُ » و« الترغيبُ فى العلم » ، وكتاب « الوثائق » ، وغير ذلك .

نسبتُهُ إلى مُزَيْنَةَ بنت كاب بن وبرة أم القبيلة المشهورة (مِنْ مصرَ) .

قالَ الشافعيُّ :

« المُزَنِيُّ ناصرُ مذهبي » .

وقالَ فى قوةِ حُجَّتِهِ :

« لو ناظرَ الشيطانَ لغلبَهُ » .

قالَ الذهبيُّ فى سنةِ وفاةِ المُزَنِيِّ :

« وفيها ماتَ محدِّثُ مصر أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ وهبٍ بحشل والإمامُ أبو إبراهيمَ المزنيُّ الفقيهُ » .

وكانَ مبجلاً عندَ القضاةِ .

وقالَ تاجُ الدينِ السُبْكيُّ فى « طبقاتِ الشافعيةِ » عن المزني :

« تاجُ المذهبِ وبدرُ سمائهِ » .

وذكرهُ فى أولِ أصحابِ الشافعيِّ .

وقالَ السبكيُّ :

« كانَ زاهداً عالماً مجتهداً مناظراً محجاجاً غوَّاصاً على المعاني الدقيقةِ ، صنَّفَ كُتباً كثيرةً » .[1]

قالَ الذهبيُّ فى « السيرِ » :

« الإمامُ العلَّامةُ فقيهُ الملَّةِ ، عَلمُ الزُّهَّادِ » .

قليلُ الروايةِ لكنَّهُ كانَ رأساً فى الفقهِ ، حدَّثَ عنهُ إمامُ الأئمةِ ابنُ خزيمةَ ، وأبو جعفرِ الطَّحاويُّ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ أبي حاتمٍ ، وزكريا بن يحيى الساجيّ ، وخلقٌ كثيرٌ منَ المشارقةِ والمغاربةِ .

وحكى عنهُ محمدُ بنُ إسماعيلَ الترمذيُّ ، أنَّهُ قالَ :

« لا يصحُّ لأحدٍ توحيدٌ حتَّى يعلمَ أنَّ اللهَ تعالى على العرشِ بصفاتِهِ .

قلتُ (محمدُ بن إسماعيل) : مثلُ أيِّ شيءٍ ؟

قالَ : سميعٌ بصيرٌ عليمٌ » .

---

(١) « الأعلام » للزركلي (١/ ٣٢٩) ، و« تذكرة الحفاظ » (٢/ ١٠٦) ، و« طبقات الشافعية » (٢/ ٩٣ ، ٩٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٤٩٢) ، و« شذرات الذهب » (٣/ ٢٧٨) ، وغيرها .

وقال ابنُ القيمِ عن المزني :

« إمام الشافعيةِ فى وقته » .[١]

وقالَ عمروُ بن عثمانَ المكيُّ :

« ما رأيتُ أحداً منَ المتعبدينَ فى كثرةِ مَنْ لقيتُ منهمْ أشدَّ اجتهاداً منَ المزنيِّ ، ولا أدومَ على العبادةِ منهُ ، وما رأيتُ أحداً أشدَّ تعظيماً للعلمِ وأهلهِ منهُ ، وكانَ منْ أشدِّ الناسِ تضييقاً على نفسهِ فى الورعِ ، وأوسعه فى ذلكَ على الناس ، وكان يقول: أنا خُلُقٌ مِنْ أخلاقِ الشافعيّ » .

وقال الذهبيُّ :

« بلغنَا أنَّ المزنيَّ ﷺ كانَ مجابَ الدعوةِ ، ذا زهدٍ وتألَّهَ أخذ عنهُ خلقٌ من العلماءِ ، وبهِ انتشرَ مذهبُ الشافعيِّ فى الآفاقِ .

وكانَ يُغَسِّلُ الموتى تعبداً واحتساباً .

وقال :

« تعانيتُ غسلَ الموتى ليرقَّ قلبي فصارَ لي عادةً » .

وهوَ الذى غسَّل الشافعيَّ ﷺ .

وقالَ أبو سعيدِ بنُ يونسَ :

« ثقةٌ كانَ يلزمُ الرِّبَاطَ » .

---

(١) فى « اجتماع الجيوش الإسلامية » (٢/ ١٦٦) .

قال الذهبيُ :

« لمْ يلِ قضاءً وكانَ قانعاً شريفَ النَّفسِ » .

قالَ المزنيُّ :

« كنتُ يوماً عندَ الشافعيِّ أسائلُهُ عَنْ مسائلَ بلسانِ أهلِ الكلامِ .

قالَ : فجعلَ يسمعُ منِّي وينظرُ إليَّ ثمَّ يجيبُني عنها بأخصرَ جوابٍ .

فلمَّا اكتفيتُ .

قالَ لي : يا بُنَيَّ أدلُّكَ على ما هوَ خيرٌ لكَ منْ هذا ؟

قلتُ : نعمْ .

فقالَ : يا بُنَيَّ هذا علمٌ إنْ أنتَ أصبتَ فيهِ لمْ تؤجَرْ ، وإنْ أخطأتَ فيهِ كفرْتَ ، فهلْ لكَ فى علمٍ إنْ أصبتَ فيهِ أُجِرْتَ ، وإنْ أخطأتَ لمْ تأثَمْ ؟

قلتُ : وما هُوَ .

قالَ : الفقهُ . فلزمتُهُ فتعلَّمتُ منهُ الفقهَ ودرستُ عليهِ » .

قال ابن العماد الحنبلي :

« صلى لكل مسألة فى مختصره ركعتين ، فصار أصل الكتب المصنفة فى المذهب، وعلى منواله رتبوا ، ولكلامه فسَّروا وشرحوا ، .... وحكى عنه أنه كان إذا فاتته الجماعة صلى منفرداً خمساً وعشرين مرة ، ولم يتقدم عليه أحد من أصحاب الشافعي ، وهو الذى غسَّل الشافعي ، ودُفن بعد إلى جنبه بالقرافة الصغرى » .

ومِنْ تلامذتِهِ :

أبو بكر بنُ خزيمةَ إمامُ الأئمةِ ، وأبو جعفرٍ الطَّحاويُّ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ أبي حاتمٍ الرازيُّ ، وغيرهُمْ .

وحدَّثَ عنِ الشافعيِّ ، وعليِّ بنِ معبدِ بنِ راشدٍ ، ونعيمِ بنِ حمادٍ ، وغيرهم .

وفاتُــهُ :

توفِّي لستٍ بقينَ من شهرِ رمضانَ سنةَ أربع وستينَ ومائتين بمصرَ ، ودُفنَ بالقربِ من تربةِ الإمامِ الشافعيِّ رضي الله عنه بالقرافةِ الصُّغرى بسفحِ المقطَّمِ رحمه الله. (١)

(١) كما يقول ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » (١/ ٢١٨) .

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنَا الفقيهُ الإمامُ شمسُ الدِّينِ أبو العزِّ يوسفُ بنُ عمرَ بنِ أبي نصرٍ الهكاريُّ فى شهرِ صفرَ سنةَ ست عشرةَ وستمائةَ ، قال :

حدَّثنَا الشيخُ الإمامُ الحافظُ الثقةُ بقيةُ السَّلفِ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عثمانَ ابنِ عيسى بنِ درباس الماراني منْ لفظِهِ بالمَوْصلِ فى تاسِع عشرَ منْ جُمادَى الأُولى سنةَ إحدى عشرةَ وستمائَةَ ، قالَ : أخبرنَا الشيخُ الصالحُ العالمُ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ أحمدَ بنِ حمدِ بن مفرجِ بنِ غياثٍ الأرتاحيُّ بقرائي عليه بفسطاطِ مصرَ ، قالَ : أخبرنَا الشيخُ المُسْنِدُ العالمُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عمرَ المَوْصِليُّ الفرَّاءُ فيما أذِنَ فيهِ لي .

قالَ الشيخُ إبراهيمُ بنُ عثمانَ ، وأخبرنا الشيخُ الإمامُ الفقيهُ الحافظُ أبو طاهرِ أحمدُ بنُ محمدِ بن أحمدَ بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ سلفةَ الأصبهانيُّ السلفيُّ فى كتابِهِ إلينَا منَ الإسكندريةِ فى ربيعٍ الآخرِ سنةَ أربعٍ وسبعينَ وخمسمائةَ ، قالَ : أخبرنا الشَّريفُ أبو محمد عبدُ الملكِ بنُ الحسنِ بنِ بتنةَ الأنصاريُّ بمكةَ بقراءتِي عليهِ فى سنةِ تسعٍ وتسعينَ وأربعمائةٍ ، قالا : أخبرنَا أبو عبدِ الله الحسينُ ابنُ عليٍّ النسويُّ الفقيهُ قدمَ علينا مكةَ أخبرني أبو محمدٍ إسماعيلُ بنُ رَجاءِ بنِ سعيدٍ العسقلانيُّ بعسقلانَ ، أخبرني أبو الحسينِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الرحمنِ الملطيُّ وأبو أحمدَ محمدُ ابنُ محمدِ بنِ عبدِ الرَّحيمِ القيسرانيُّ ، قالا : أخبرنا أحمدُ ابنُ بكرٍ اليازوريُّ ، قالَ : حدَّثَني الحسنُ بنُ عليٍّ اليازوريُّ الفقيهُ ، حدَّثني عليٌّ

بنُ عبدِ الله الحُلْوَانِيُّ قالَ : كنتُ بطرابلس المغربِ فذكرتُ أنا وأصحابٌ لنَا السُّنَّةَ إلى أنْ ذكرنَا أبا إبراهيمَ المزنيَّ رحمه الله ، فقالَ بعضُ أصحابنَا : بَلَغَني أَنَّهُ كانَ يتكلَّمُ فى القرآنِ ويقفُ عندَهُ ، وذكرَ آخرُ أَنَّهُ كانَ يقولُهُ إلى أن اجتمعَ معنَا قومٌ آخرونَ ، فغمَّ الناسَ ذلكَ غمًّا شديداً [١] ، فكتبنَا إليهِ كتاباً نريدُ أنْ نستعلمَ منهُ ، يكتبُ إلينا شرحَ السُّنَّةِ فى القدرِ والإرجاءِ والقرآنِ والبعثِ والنشورِ والموازينِ وفى النظرِ ، فكتبَ إلينَا ...

كذا فى كتابِ شرحِ السُّنَّةِ للمزنيِّ .

الشرحُ :

هذا يفيدُنَا أنْ ليسَ كلُّ ما يقالُ يكونُ صحيحاً ، فلابدَّ منَ التَّثَبُّتِ ، فإنَّ الصحابي الذى كان يتناوب النزول مع عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ كلٌّ يأتي صاحبه بخبر اليوم الذى ذهب فيه إلى رسول الله ﷺ ، ضربَ بابَ عمرَ رضي الله عنه ضرباً شديداً ففزعَ عمرُ وهو نائمٌ ، فخرجَ إليهِ وقالَ : جاءَ أمرٌ عظيمٌ ، فقالَ عمرُ : ما هُوَ ؟ أجاءتْ غسانُ ؟ قال : لا ، بل أعظم منه وأطول ، طلق رسول الله ﷺ نساءه ، ولما ذهب عمر وسأل رسول الله ﷺ لم يجد ما قيل صحيحاً .[٢]

---

(١) يوم أن كان يغمُّهم القدح فى أهل السُّنَّة ، لا كمن فى أيامنا الذين يفرحون بكبوتهم لينفردوا هم بالمدح أنهم أهل السُّنَّة دون غيرهم !!

(٢) وهذا فى صحيح البخاري (٢٤٦٩) ، ومسلم (١٤٧٩) .

ولذلكَ كانَ رسولُ الله ﷺ فى غيرِ موطنٍ لا يعاجِلُ بِمَا أُشيعَ أو قبل حتَّى يسألَ الفاعل : « **ما حملك على ما صنعت** » .(١)

كما سأل الله تعالى من أمر أبناءه أن يحرقوه ويذروه فى الريح ، قال الله تعالى له وقد جمعه : « مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ » .(٢)

وكذا صنع عمر رضي الله عنه مع أبي موسى ، كما فى قصة الاستئذان .(٣) فليتعلَّم الناسُ .

فهذا خبرٌ أشيعَ عنِ الإمامِ المزنيِّ أنَّهُ تكلَّمَ فى هذهِ الأمورِ المذكورةِ ؛ القدرِ والإرجاءِ والقرآنِ – من أن المزني يقفْ يقولُ : « لا مخلوقٌ ولا غيرُ مخلوقٍ » – ، والبعثِ والنشورِ والميزانِ وفى النظرِ لوجهِ الله تعالى .... إلى غيرِ ذلكَ مما يخالفُ السُّنَّةِ ، وتبينَ أنَّ الإمامَ المزنيَّ يقولُ فى ذلكَ بما يقولُ أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ .

وقدْ قالَ سبحانهُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ (الحجرات) .

فكمْ تُنسبُ أقوالٌ لأشخاصٍ وهيَ فى الحقيقةِ كذبٌ ولو اشتهرتْ ، وخذ لذلك حادثة الإفك مثلاً ، وكذا تكذيب أبي داود السجستاني لولده عبد الله أبي بكر – على شهرة ذلك – .... ، فعلَى طالبِ العلمِ أنْ لا ينقلَ الخبرَ إلا إذا ثبتَ لاسيَّما إذا كانَ شراً وليتثبَّتْ .

---

(١) انظر : صحيح البخاري (٣٩٣٨) ، وانظر : صحيح مسلم (٣١) .

(٢) انظر : صحيح البخاري (٣٤٨١) ، ومسلم (٢٧٥٦) .

(٣) انظر : صحيح البخاري (٧٣٥٣) ، ومسلم (٢١٥٣) .

وقد تزامن شرحي لهذا الكتاب مع وقوع كثير من مشايخ العصر فى كثير من قالات أهل البدع ، وتكلموا بما يقول أهل البدع على أنه من السُّنَّة ، وكان لهم صيتٌ فى الناسِ ، فانجرَّ الناس خلفهم ، كما هي العادة فى أتباع كل ناعق الذين يقولون لكل أحدٍ : نحن معك ، يسيرون مع كل ريح ، ولا عجب ! فكذا الإمَّعة .

والعجيب أن أولئك القوم تكلموا بلسان أهل السُّنَّة قبل ، ثمَّ لما وقع خروج على حاكم الدولة وتبع ذلك أحداث شارك فيها أولئك وتكلموا بكلام سُجِّل عليهم بالصوت والصورة ، وصاروا يتلونون تلون من أصابته الفتنة ، ثم تراهم يتملَّصون مما قالوا بعد أن انجلت الفتنة وظهرت للقاصي والداني أنها فتنة [1] أضرت الداعين إلى الله ﷻ والمدعوين ، وحار الناس وتخبطوا وتلونوا مع مشايخهم هؤلاء يدافعون عن باطلهم ؛ لكونهم كانوا يدعون إلى السُّنَّة يوماً ، وأهل السُّنَة يهاجِّمون ويُهاجمون ووقع الاختلاف والزيغ وانتشر مذهب الخوارج على لسان من يُنسبون إلى السُّنَّة ، فكانت فتنة عظيمة واضطراب عظيم ، مثل ما وقع لأولئك فى زمن المزني ﷺ فى شأنه وفى زمن الطبري فدفعاه بما كتبا .

وملخص ذلك :

ـ قولُ بعضِهم بجوازِ الخروجِ على الحكامِ أو جوازِ الخروج باللسان دون السيف (وهي مقولة قعدية الخوارج أخبثِ فرقِهم) .

---

(١) والفتنة إذا أقبلت لا يعلمها إلا العالم ، فإذا أدبرت علمها كل جاهل وعالم ، كما قال الحسن البصري ﷺ فيما أخرجه عنه ابن سعد (٧/ ١٦٥) ، وأبو نعيم فى "الحلية" (٩/ ٢٤) بسندٍ ثابتٍ صحيحٍ .

- وقولُ بعضِهم بجوازِ الثوراتِ على الحكامِ ونصحِ الحكامِ والكلامِ فيهم علانيةً مما جرَّ الرويبضةَ إلى النطقِ فى شأنِ العامةِ ، وحسبُك بتوابع ذلك ، وأنكروا إمامةَ المتغلبِ ، وثَمَّ إجماعٌ على صحتِها .

- وتجويز بعضِهم التحزباتِ التى فَرَّقتْ بينَ شملِ الأمةِ حَتَّى جعلتْ بأسَها بينها شديد ، وهي من البدعِ التى أحدثها من ضَعُف فقهُه للواقعِ اجتمعَ هذا إلى حبِ الرياساتِ الذى تعلَّقت قلوبُهم بها فركبوا كل مخالفةٍ لأجلها وعين الهوى عمياء.

- وتكفير بعضِهم لمن حكمَ بغيرِ ما أنزل الله دونَ التفصيلِ الذى عليه الأدلة وأقوال السلف والخلفِ ، ومن ثمَّ ركبوا ما ركبه الخوارجُ وصاروا يتكلمونَ بلسانِهم وينظرونَ بنظراتِهم وزادُوا عليهم رزيلةً وهي أنهم نسبوا ذلك لأهلِ السُّنَّة وللسلف .

- واشترطَ بعضُهم فى الحاكم الحكمَ بما أنزلَ الله وإلا تسقط إمارتة على طريقةِ من قالوا لعلي بن أبي طالبٍ ﷺ : « لا حكمَ إلا لله » ، كلمة الحق التى أرادوا بها باطلاً ، وبنوا على تكفيرِ الحكامِ تكفيرَ المحكومين ، ثم قالوا بناءً على ذلك : « البلاد ليست بلاداً إسلامية » ، بل قال بعضهم: لا يوجد دولة إسلامية فى العالم .

- ومرموقٌ منهم يُكفِّر المصرَّ على الكبيرة ، وهو مذهبُ الخوارجِ قولاً واحداً .

وجالسوا أهلِ البدعَ والأهواءِ ، وقد نهى السلفُ عن ذلك ولما عُوتِبوا فى ذلك اخترعوا منهجَ الموازناتِ البدعي الذى يُفسد على كل مُصححٍ وذابٍّ عن الحقِّ تصحيحه وذَبَّه وجارحٍ لأهلِ الجرح جرحه .... ، وأرادوا استخدامه دفاعاً عن أهلِ البدعِ فقط ، أما أهل السُّنَّة فقد جرَّحوهم بغير موازنةكرَهبانية ابتدعوها

وما رعوها حق رعايتها ، فحادوا عن الحقِّ مرتين ، ثمَّ صدُّوا عن الحق صدوداً .

ولما وقعَ الخبطُ والخلطُ بسببِ بعض ذلك جَوَّزوا القتالَ فى الفتنةِ ، فمات ضحايا آلاف وشرِّدَ آلافُ وسُجنَ الآلاف ، وتبعَ ذلكَ ضياعاً للأمن وتشريداً لأيتام ، وفساداً فى تربية نشء يُفسد الأمة إلى أمدٍ بعيدٍ .

ـ تجويزهم للدخول فى البرلماناتِ السياسية الجاهلية التى لم يوافقْ عليها النبي ﷺ ، وقد عُرضت عليه ، لم يطلبها ، أما هم فقاتلوا عليها وبذلوا الأموال من أجلها ، فشتان شتان بين الصنيعين ، كل ذلك بسبب وضوح منهج أهل السُّنَّة عند أولئك الذين أشير إليهم بالبنان واجتمع الناسُ حولَهم، وهذا إن أحسنا بهم الظن.

ـ ولما وقعت محنتهم طفقوا يريدون التخلص فيتلبطون من تَوِّههم ويقولون : ما قلنا كذا ، ما رضينا بكذا ، ما أفتينا بكذا . وهو مسجّل عليهم بالصوتِ والصورة ، كأن السامع لهم أبله .

والخلاص واضح أنهم يكفيهم أن يقولوا : أخطئنا ولسنا أهل عصمة ، ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الأعراف) ، مع الندم والإقلاعِ والتبيين لما أخطئوا فيه والإصلاح ، وكلنا ذووا خطأ ، وخير الخطَّائين التوابون ، والكِبر بطر الحق وغمط الناس .

فالإمام المزني رحمه الله أشيع عنه قالة خطأ نُسبت إليه تحرى كشفها ووضحها .

فكتب جزاه الله خيراً مذهبه فانطمست الإشاعة وتعلم الناس من كتابة المزني رحمه الله ، وظهرت مكانته فى المعتقد ، وانتفع الناس بكتابه هذا – على صغر حجمه – إلى يومنا هذا ، فصار الناسُ يشرحونه وينشرونه ويتعلَّمون منه ويعلِّمونه ، فحُل به

إشكالٌ فى زمانه ، وعمَّ نفعهُ بعد مماتهِ ، وصار مرجعاً من كتب أئمة أهل السُّنَّةِ والجماعة ، فلله دره رحمه الله رحمةً واسعةً .

فمن أمثاله يتعلم المتعلمون رضي الله عنهم أجمعين .

ويذكرنا صنع المزني بالواجب على هؤلاء الشيوخ - إذا كانت نسبتهم للعلم صحيحة بما عليهم أن يعلموه - .

بأن يكتبوا معتقدَهم الصحيح ويبينوا للناس ما أخطأوا فيه من :

ـ حكم نصيحة الحكام علانية ومذهب السلف فى هذا .

ـ حكم دخول البرلمانات السياسية والانضمام للديمقراطية .

ـ حكم اشتراط القيادة بكتاب الله فى الأمراء والجمع بين الأدلة .

ـ حكم الخروج على الحكام بالكلمة .

ـ الواجب على أهل العلم فى الفتن - القتال من أجل الدنيا ... - .

ـ حكم الانضمام للأحزاب التى فرقت بين أفراد الأمة ، مع ذكر ضوابط التبديع وصفات الخوارج وأعمالهم .

ـ وتمكين السُنِّي من وقع فى نوع من البدع من مسجده ومخالطته ومشاربته والانشراح معه وله .

ـ والضوابط فى الفرق بين الثوابت التى من غيَّرها فقد أصابته الفتنة ، وما هو من المسائل القابلة للتغير وتتغير بتغير الأحوال على حسب المصالح والمفاسد ؟

وهل البلاد عندهم بلاد إسلامية أم بلاد كفر إذا حكم حاكمها بغير ما أنزل الله؟

ـ وما حال الحاكم بغير ما أنزل الله ، هل يكفر بكل حال أم لا أن أن هناك تفصيلاً ؟

وما السُّنَّة فى التعامل مع الحاكم الجائر الظالم الذى ضرب الظهر وأخذ المال وشتم الناس واعتدى عليهم وحطم الرعية بعضها ببعض .... ؟

وإن ادعى تفصيلاً وفقهاً لهذه المسائل فليكتب يبين الفقه لنرى اعتقاده بأدلته ، بدلاً من المهاجمة بالمجمل والمتشابه والمدافعة بالمجمل من القول واتهام المخالف .

إن البخاري ﷺ لما افتري عليه أنه قال : « لفظي بالقرآن مخلوق » ، كذَّب هذا وألَّف كتاب « خلق أفعال العباد » ليدافع عن نفسه بالقول والفعل ، ولبيان مذهب الحق فى ذلك .

والطبري لما أُشيع عنه موافقة أهل البدع فى « القرآن » كتب المعتقد « صريح السنة » وبيَّن ، ثم قال بعد البيان (ص١٢) : « فمن روى عنَّا أو حكى عنَّا أو تقوَّل علينا فادَّعى أنَّا قلنا غير ذلك فعليه لعة الله وغضبه .... » ، فنفى كل ما نُسب إليه وقُذف به من عدول عن سبيل السُّنَّة أو ميل إلى شيء من البدعة ، فمدحه الصابوني فى « اعتقاد السلف » (ص٢٥) على ذلك وأشاد بصنيعه .

وإن يوسف ﷺ دافع عن نفسه فقال لما افتُري عليه : ﴿ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي ﴾ (يوسف:٢٦) .

وكم ردَّ الأئمَّةَ الافتراءات التى افتري بها عليهم ، أو رد طلبتُهم ، كما ردَّ ابن

عبد الهادي ﷾ فى " الصارم المنكي فى الرد على السبكي " لتصحيح ما افتُري به على شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ .

أليس لنا فى هؤلاء أسوةٌ حسنةٌ ؟!

أليس هذا من باب النصح للأمَّة ؟

أليس فى هذا هداية للناس ؟

ولقد كان من أكبر جرائمهم أنهم اتهموا من يرد عليهم نصحاً لهم وللأمة وتنفيذاً لمنهج السلف من صيانة الشريعة بالشنائع ، يقولون : يسب العلماء ويشتمهم ، ينبذونه بالألقاب ، ويضيقون عليه ، ويحذرون الناس منهم ، ويتهمونهم بتهم هو منها بريء ، منها العمالة للخائنين ، والجهل ، والإرجاء ، والتشدد ، والغلو .

يا ويحهم أيقابل من يبين منهج السلف بالدليل بهذا ؟!

وتبعهم أتباعهم من الهمج الرعاع أتباع كل ناعق الذين حُسبوا ظلماً على الأمة أنهم من أهل العلم ويدافعون عن حرمتهم ، فصارت الأمة بهم مقهورة ، يطلق بعضهم على من يرد عليهم من أهل السنة : بهائم، يفهم بحذائه ، عملاء للسلطان، يأكلون تبن ، رُبِّي فى زريبة ، أحمق .... ، وهذا لا يكون شتماً عندالهمج الرعاع ، لكن حينما يبين السُنِّي الحق بدليله يُقال عنه يسب العلماء ويشتمهم .

فكان الخطب عظيم والمصيبة جلل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، هداهم الله ، أو أراحنا منهم . آمين

سيجمعنا الله تعالى سوياً ولا أفلح يوم القيامة عند الصراط من ندما .

فما بال هؤلاء الشيوخ لا يفعلون ما فعله يوسف ﷺ والمزني والبخاري وابن عبد الهادي وغيرهم ، فإن يكتبون معتقدهم فيما اختلف الناس فيه ، أم أنهم يخشون من اتهامهم أنهم كانوا سبباً فى الدماء والفتن وحمل الناس إلى منحرهم أو إلى سجنهم وجلب المفاسد عليهم بسبب عدم فهمهم لمنهم أهل السُّنَّة من تهدئة الناس فى الفتن وأمرهم باتباع السُّنَّة ... إلى غير ذلك ؟!

هل يخشون أن يعلم الناس أنهم قادوهم بالهوى ويخشون من انكشاف أمرهم ؟!

أم أنه الكِبر الذى يمنع المرء من الاعتراف بالحق ؛ إذ الكِبر بطر الحق وغمط الناس ؟! أيخاف المرء على مكانته عند الناس فيكتم ما أنزل الله من البيِّنات والهُدى من بعد ما بيَّنه الله للناس وهو فى موطن الداعية إلى الكتاب والسُّنَّة - زعم - ؟!

أما يعلم هؤلاء أن عار الدنيا - إن كان - أهون من عذاب وفضيحة الآخرة ؟!

ولأن يكون المرء ذنَباً فى الحقِّ خيرٌ له من أن يكون رأساً فى الباطل .

ما يمنعهم من كتابة ما يعتقدون كالمزني والبخاري رحمهما الله ؟!

إن على الشيخ فلان والشيخ فلان وفلان ممن يُنسبون إلى العلم أن يذكروا عقائدهم للناس مكلَّلة بالأدلة ومعزَّزة بأقوال السلف تبييناً للناس ، وإظهاراً لمعتقدهم وتفصيلاً لما صدر منهم بدلاً من ترك الناس يسفه بعضهم بعضاً ويتهم بعضهم بعضاً ، ويضطربون فى شأنهم وهم أحياء يرزقون .

رزقنا الله الفهم الحسن والتوفيق لمحاسن الأعمال والأخلاق إنه كريم لطيف .

قالَ الإمامُ المزنيُّ رحمه الله :

« عَصَمَنَا اللهُ وإِيَّاكُمْ بالتقوى ووفَّقَنَا وإيَّاكُمْ لموافقةِ الهُدَى ، أمَّا بعدُ ..

فإنَّكَ أصلحَكَ اللهُ سألتَني أنْ أُوضِّحَ لكَ مِنَ السُّنَّةِ أمراً تُصَبِّرُ نفسَكَ على التَّمَسُّك بهِ ، وتدرأُ بهِ عنكَ شُبَهَ الأقاويلِ وزيْغَ محدثَاتِ الضالِّينَ .

[فقدْ شرحتُ لكَ منهاجاً منيراً لمْ آلْ نفسي وإيَّاكَ فيهِ نُصحاً بدأتُ فيهِ بحمدِ الله ذي الرُّشْدِ والتسديد] (١) » .

الشرحُ :

قولهُ : « **بسم الله الرحمن الرحيم** » .

الرسالةُ تبدأ بالبسملةِ ، أمَّا إذا كانَ الكتابُ كبيراً فإنَّهُ يبدأُ بالحمدِ كالخُطَبِ ، ولذلكَ كانَ رسول الله ﷺ يكتبُ فى رسائِلِهِ للقومِ « **بسم الله الرحمن الرحيم** » فقط ، وعلى هذا دَرَجَ الأَئمةُ منهمُ المزنيُّ رحمه الله ، وهو صنيعُ سليمانَ عليه السلام فى خطابهِ لملكةِ سبأٍ ، وإنْ كانَ بعضُ العلماءِ يخالفُ ذلكَ ، كما هو صنيعُ البخاريُّ رحمه الله فى « صحيحه » فإنَّ كتابهُ كانَ كبيراً ومعَ ذلكَ لمْ يبدأ فيهِ بالحمدِ وإنَّما بدأَ فيهِ بالبسملةِ فقطْ ، وكذا صنيعُ أحمدَ وعبدِ الرَّزَّاقِ وكثيرٍ منْ أهلِ العلمِ ، لكنْ ما حصلَ من أحدٍ منهمْ أنَّهُ كتبَ كتاباً لا يذكرُ فيهِ اسمَ الله مطلقاً لا الحمدَ ولا البسملةَ .

والمكاتباتُ الصغيرةُ السُّنَّةُ عنْ رسول الله ﷺ فيها ذكرُ البسملةِ فقطْ ، كما صنعَ

(١) هذه الفقرة بكاملها زيادة من « اجتماع الجيوش الإسلامية » .

المؤلِّفُ رحمه الله .

قولهُ : « عَصَمَنَا اللهُ وإِيَّاكُمْ بالتقوى ووفَّقَنَا وإِيَّاكُمْ لموافقةِ الهُدَى » .[1]

هذا أسلوبٌ جميلٌ لفتحِ قلوبِ القارئين بالدعاءِ لَهُمْ والإشارةِ إلى أنَّ العصمةَ تكونُ منَ الله وأنَّ الغايةَ المنشودةَ هيَ التقوى ، وهذا كثيرٌ ، كما يقولُ النبيُّ ﷺ : « **يا قومِ** » ، وكما يقول إبراهيمُ عليه السلام فى دعوته لوالده الكافر : « **يا أبتي** » ، كذا يدعوه ليفتحَ قلبَهُ لما يُلْقَى عليهِ ، وهو منْ أدبِ التخاطبِ وأسبابِ حلولِ البركةِ بالدعاءِ للسَّائلِ ولنفسِهِ معهُ بمثلِ هذا الدعاءِ الطيِّبِ المناسبِ لما سألُوا عنهُ .

فقدْ سألوا عنْ مسائلَ زلَّ فيها كثيرٌ من المعاصرينَ فى زمانِهِمْ وعَصَمَ اللهُ فيها مَنْ عَصَمَ كأحمدَ والمرُّوذِيِّ والمزنيِّ وغيرِهِمْ .

فدعا بهذا الدعاءِ المناسبِ فقالَ : « عَصَمَنَا اللهُ وإِيَّاكُمْ بالتقوى ووفَّقَنَا وإِيَّاكُمْ لموافقةِ الهُدَى » ، ثمَّ قالَ بعدُ :

« **فإِنَّكَ – أصلحَكَ اللهُ – سألتَني** » .

---

(١) وهذه الرسالة بكاملها ذكرها ابن القيم فى « اجتماع الجيوش الإسلامية » (٢/ ٦٦) ، فقال عن المزني رحمه الله :

« رسالته فى السنة التى رواها أبو طاهر السلفي عنه بإسناده ونحن نسوقها كلها بلفظها : بسم الله الرحمن الرحيم .. عصمنا الله وإياكم بالتقوى ووفقنا ..... » إلخ .

وقد اعتمدتُ عليها وبوَّبت التبويبات من عندي لتوضيح الفصول ؛ لأن المزني رحمه الله لم يبوِّب لكلامه ؛ لأنها كانت رسالة كخطاب بيَّن فيه رحمه الله ما يعتقد حينما سألوه .

وفى قولهِ كذلكَ بعدُ : « **لمْ آلُ نفسي وإيَّاكَ فيهِ نُصحاً** » .

أدبٍ فى الخطابِ الذى يجذبُ انتباهَ القارئِ .

وقولُهُ : « **أمَّا بعدُ** » .

هيَ كفصلِ الخطابِ لما قبلَهَا مِمَّا بعدَهَا .

والسؤالُ هنا ظاهرُهُ أنَّه يستعلمُ إمَّا عَنْ رأيِ المزنِّي فى هذهِ المسائلِ ليعلمَ هلْ هوَ منْ أهلِ السُّنَّةِ أمْ منْ أهلِ البدعةِ ؟ وإمَّا سؤالُ مسترشدٍ ، وكلتا النيتينِ خيرٌ منَ السَّائلِ رحمه الله .

قولهُ : « **فإنَّكَ أصلحَكَ اللهُ سألتَني أنْ أُوضِّحَ لكَ مِنَ السُّنَّةِ أمراً تُصَبِّرُ نفسَكَ على التَّمَسُّكِ بهِ ، وتدرأُ بهِ عنكَ شُبَهَ الأقاويلِ وزيْغَ محدثَاتِ الضالِّينَ** » .

السائلُ أشارَ إلى أنَّهُ يريدُ أنْ يعلمَ السُّنَّةَ فيما سألَ عنهُ ليصبِّرَ نفسَهُ على التمسُّكِ بهِ ، ويدرأ بهِ عنْ نفسهِ شُبَهَ الضالينَ ويتوقَّى الضلالَ .

وهذا يدلُّ على أنَّ سؤالَهُ إنَّما كانَ سؤالَ مسترشدٍ .

وهذا منْ أدبِ السَّائلِ أنْ يُشْعِرَ العالمَ أنَّهُ فى حاجةٍ لما يسألُ عنهُ وأنَّهُ جاهلٌ بهِ ، وإنْ كانَ يعلمُ جزءًا منهُ .

وقدْ ذكرَ بعضُ العلماءِ هذا الأدبَ فى آدابِ طالبِ العلمِ ، فإنَّهُ إذا أظهرَ المماراة للعالمِ فإنَّ العالمَ يخَزنُ علمَهُ عنِ الطالبِ متى جادلَ كمَا نصَّ بعضُ الأئمةِ على ذلكَ وذكرتُهُ فى كتابي « **طالبُ العلمِ حقوقُهُ وآدابُهُ** » .

وقدْ أخرجَ أبو نعيمٍ فى « الحلية » (٤/ ٨٢) عنْ ميمونَ بنِ مهرانَ قالَ : « لا تمارينَّ عالماً ولا جاهلاً ، إنْ ما ريتَ عالماً خزنَ عنكَ علمَهُ ، وإنْ ماريتَ جاهلاً خشنَ بصدركَ » .

ورسولُ الله ﷺ لَمَّا ذهبَ إلى فاطمةَ وعليٍّ وقالَ لهُما : « **أَلاَ تُصَلِّيَانِ ؟** » ، فقالا : أَنْفُسُنَا بِيَدِ الله ، فتولى وقال لهما : « **وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً** » .(١)

فالجدلُ معَ العالمِ يحرمُ صاحبَهُ العلمَ منَ العالمِ .

فَمَنْ أشعَرَ الشيخَ بأَنَّهُ يعلمُ البعضَ رُبَّما أعطاهُ بعضَ ما عندَهُ وخَزَنَ عنهُ الباقي ، بخلافِ ما إذ أظهرَ لهُ أَنَّهُ جاهلٌ بما يسأل عنهُ ، فإنَّهُ يعطيهِ كلَّ ما عندَهُ فى المسألةِ ، فليتنبه طالبُ العلمِ إلى هذا .

والسُّنَّةُ التى يشيرُ المؤلِّفُ إليها فى قولهِ : « **أُوضِّحَ لكَ مِنَ السُّنَّةِ أمراً** » هي الطريقةُ ، وتذكرُ ويُرادُ بها السُّنَّة المقابلة للقرآنِ التى هيَ مِنْ أقوالِ النَّبي ﷺ وتوجيهاتهِ بإقراراتِهِ وأقوالهِ ، لكنَّ الواضحَ هُنَا أَنَّهُ أرادَ السُّنَّة فى المعتقدِ كما يدلُّ عليهِ جوابُ المزنيِّ رحمه الله ، فمن علمها درء بها شبهة الأقاويل الضالة .

وقولُ المؤلِّفِ : « تُصَبِّرُ نفسَكَ على التَّمَسُّكَ بِها » .

ذكرَ التمسُّكَ كأَنَّهُ ينازعُه فيها منازعٌ وهيَ كقولهِ ﷺ عن سنَّتِهِ وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعده : « **تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ** » .(٢)

---

(١) وحديثهما فى صحيح البخاري (٣٧٠٥) ، ومسلم (٢٧٢٧) .

(٢) فيما أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) بإسنادٍ حسنٍ من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه .

والمنازع هو الشيطانُ والهوى ، يحملُ الإنسانَ على البدعِ واتِّباعِ الشهواتِ ، والنفسُ الأمَّارةُ بالسُّوءِ .

وقولهُ : « **محدثات الضالين** » . المحدثات : البدع .

والضالون : هم النصارى الذين ضلُّوا عن جهل ، بخلاف اليهود الذين ضلُّوا عن علم فهم مغضوب عليهم ، كما ورد فى حديث صحيح المعنى ضعيف السند عن عدي بن حاتم ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى ضلال** » .

ومثل هؤلاء فى هذه الأمَّة ؛ رجلٍ ضلَّ قبلَ البحثِ ، أحدث بدعة فيبحثُ ليجدَ شبهةً يتعلقُ بها ، فإذا وجدَ فإنَّ الشبهةَ تستحكمُ فى قلبهِ ، ويكونُ فيه مِنْ محدثاتِ المنحرفينَ .

قولهُ : « **فقدْ شرحتُ لكَ منهاجاً منيراً لمْ آلُ نفسي وإيَّاكَ فيهِ نُصحاً بدأتُ فيهِ بحمدِ اللهِ ذي الرُّشْدِ والتسديد** » .

يعني بالمنهاج هذا الذى كتبه فى هذه الرسالة ، أراد به النصح امتثالاً لقوله ﷺ : « **الدين النصيحة** » وغيره ، مما يدل على هذا المضي ؛ إذ أن السائل كأنه جاء يستنصحه فلم يقصر فى النصح ، وبدأ بالحمد لله ؛ إذ الله سبحانه يحب المدح ولا أحد أحب إليه المدح من الله، وقد مدح نفسه فى أعظم سور القرآن، فقال:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، وهو الذى يُستلهم منه الرشاد والتسديد فى القول والعمل .

---

(١) ففى حديث أبي سعيد بن المعلى قال : « كنت أصلي فى المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه ، =

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« الحمدُ لله أحقُّ مَنْ ذُكِرَ وأولَى مَنْ شُكِرَ وعليهِ أُثْنِي الواحدِ الصَّمدِ الذى ليسَ لَهُ صاحبةٌ ولا ولدٌ جَلَّ عَنِ المثيلِ فلا شبيهَ لَهُ ولا عديلَ ، السَّميعِ البصيرِ الخبيرِ المنيعِ الرفيعِ » .

قولهُ : « **الحمدُ لله أحقُّ مَنْ ذُكِرَ** » .

يحمدُ المرءُ ربَّهُ على ما ظهرَ منْ فعلهِ وما بطنَ وعلى ما كانَ لازماً مِنْ صفاتِهِ وما كانَ بخلافِ الشكرِ فإنَّهُ يحمدُ على صفاتِهِ المتعديةِ مثل ما إذا أسدَى إليكَ رجلٌ معروفاً ولذلكَ قالَ ﷺ : « **لا يشكر الله من لا يشكر الناس** »(١)؛ لأنَّ هذا إنَّما يكونُ إذا فعلَ فعلاً تعدَّى إليكَ وهذا منَ الفارقِ بينَ الحمدِ والشكرِ .

« **أحقُّ مَنْ ذُكِرَ** » أي : مهما تذكرُهُ فإنَّكَ تذكرُهُ بحقٍّ لا بباطلٍ .

ذكرَ المؤلِّفُ أولىَ من ذُكرَ وعليهِ أثنى (الواحدِ الصمدِ) الذى ليسَ لهُ صاحبةٌ ولا ولدٌ جلَّ عَنِ التمثيلِ فلا شبيهَ لهُ .

= فقلت : يا رسول الله ؛ إني كنت أصلي ، فقال : « ألم يقل الله : ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ؟ » ، ثم قال لي : « لأعلمنَّك سورة هي أعظم السور فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد » ، ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل : « لأعلمنَّك سورة هي أعظم سورة فى القرآن » ؟ ، قال : ((﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذى أوتيته » . أخرجه البخاري (٤٤٧٤) .

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١١) بإسنادٍ صحيح .

ذكرَ المؤلِّفُ هُنَا قواعدَ فى هذا البابِ ، أنَّهُ سبحانهُ ليسَ كمثلةِ شيءٌ معَ إثباتِ الصفاتِ كصفاتِ الوحدانيَّةِ والصمديةِ والسمعِ والبصرَ والعلمِ والخبرةَ وإثباتِ الأسماءِ ، كالواحدِ والصمدِ والسميعِ والبصيرِ والعليمِ والخبيرِ .

وقد أخرجَ الترمذيُّ وأحمدُ ولكنْ بإسنادٍ ضعيفٍ عنْ أبيِّ بنِ كعبٍ أنَّ المشركينَ قالوا لرسول الله ﷺ : « **انسبْ لنا ربَّكَ ، فأنزلَ اللهُ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ فالصمدُ الذى ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ ؛ لأنَّهُ ليسَ شيءٌ يولدُ إلا سيموتُ، وليسَ شيءٌ يموتُ إلا سيورثُ ، وإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لا يموتُ ولا يورثُ، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ، قالَ : لمْ يكنْ لهُ شبيهٌ ولا عدلٌ وليسَ كمثلهِ شيءٌ** » .(١)

أصلِ أبوابِ الأسماءِ والصفاتِ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ نفيُ المثليةِ ، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ إثباتٌ للصفاتِ ، وقدْ ضلَّ بسببِ عدمِ فهمِ هذا الأصلِ وهذا التقعيدِ أقوامٌ ، اللهُ لا يُقَاسُ بخلقِهِ .

ذكرَ المؤلِّفُ رحمه الله بعضَ الأسماءِ « **الواحدَ الصمدَ السميعَ البصيرَ العليمَ الخبيرَ المنيعَ الرفيعَ** » .

الصمد : الذى يصمد العباد إليه فى حوائجهم.

وقولهُ : « **المنيع الرفيع** » الظاهرُ أنَّ المؤلِّفَ ذكرهمَا اسمين ولا دليلَ على كونهِمَا منْ أسماءِ اللهِ ، وإنْ كانَ سبحانَهُ يمنعُ ويعطي مَنْ يشاءُ ويرفعُ ويضعُ مَنْ يشاءُ .

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٦٤) ، وابن أبي عاصم فى « السنة » (٦٦٣) ، وأحمد وغيرهم .

كما قال ﷺ : « **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَنَامُ وَلاَ يَنْبَغِى لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ** ... » .(١)

واللهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ يجيرُ ولا يُجارُ عليهِ ، ما شاءَ كانَ وما لمْ يشأْ لمْ يكنْ ، لكنْ ليسَ المنيعُ والرفيعُ منْ أسمائِهِ سبحانهُ ، والأسماءُ توقيفيةٌ بلا نزاعٌ ، وقدْ نقلنَا الاتفاقَ على ذلك فى غيرِ هذا الموطنِ فى كتابنا « لمعِ الأدلة » .

فلا ينبغي إثباتُ هذين الاسمينِ ، فإنَّ إثباتَ الأسماءِ مِنْ علمِ الغيبِ فلا يتكلَّمُ المرءُ فى علمِ الغيبِ بغيرِ بيِّنَةٍ ؛ إذ أنَّ ذلكَ ممَّا يسئلُ عنهُ المرءُ فلا يقفوا ما ليسَ لهُ بِهِ علمٌ ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء) .

قول المؤلف : « **ولا عديل** » أي : لا يعدله ولا يساويه ولا يشبهه شيء من مخلوقاته سبحانه .

وقولهُ : « **السميعِ** » أي : الذي يسمعُ بسمعٍ وَسِعَ سمعُهُ الأصواتَ .

« **والبصيرِ** » : بصيرٌ ببصر يرى كلَّ شيءٍ سبحانَهُ ، فهو سبحانَهُ يسمعُ ويرى .

« **والعليم** » : الذى قدْ أحاطَ علمُهُ بكلِّ ما هُوَ كائنٌ فلا يعزبُ عنهُ مثقال ذرةٍ فى السمواتِ ولا فى الأرضِ .

« **والخبيرِ** » هُوَ منْ تمامِ العلمِ ، فهوَ سبحانَهُ بكلِّ شيءٍ عليمٌ .

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩) .

العلـــو

قال المزني رحمه الله:

« عالٍ على عرشِهِ فى مجدِهِ بذاتِهِ وهوَ دانٍ بعلمِهِ مِنْ خلقِهِ أحاطَ علمُهُ بالأمورِ ، وأنفذَ فى خلقِهِ سابقَ المقدورِ [وهوَ الجوادُ الغفورُ] (١) و(٢) ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ » .

الشرح :

قولهُ : « **عالٍ على عرشِهِ فى مجدِهِ بذاتِهِ وهوَ دانٍ بعلمِهِ مِنْ خلقِهِ أحاطَ علمُهُ بالأمورِ ، وأنفذَ فى خلقِهِ سابقَ المقدورِ وهوَ الجوادُ الغفورُ** » .

أي : مستوٍ على عرشِهِ كما قالَ تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (طه:٥) ، بذاتِهِ على العرشِ ويعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفِي الصدورُ ، ولما قالتِ الجاريةُ وسألها رسولُ الله ﷺ : « **أينَ اللهُ ؟** » ، قالتْ : فى السماء ، قال رسول الله ﷺ : « **اعتقها فإنَّها مؤمنة** » . (٣)

كما قالَ تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (فاطر:١٠) .

والله تعالى عالي ، له علو الشأن ، وعلو القهر ، وعلو الذات سبحانه .

---

(١) وهذه الزيادة ساقطة من « اجتماع الجيوش الإسلامية » .

(٢) زيادة الواو من « اجتماع الجيوش الإسلامية » .

(٣) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي .

وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (المجادلة) .

فأولُ الآيةِ علمٌ وآخرُهَا علمٌ .

فدلَّ على أنَّ المقصودَ هُنَا بالمعيَّةِ المعيَّةُ بالعلمِ .

وهو معنى قولِ المؤلِّفِ : « **وهوَ دانٍ بعلمِهِ مِنْ خلقِهِ** » .

قولهُ : « **أحاطَ علمُهُ بالأمورِ ، وأنفذَ فى خلقِهِ سابقَ المقدورِ** » .

إثباتٌ للقدرِ كما تثبتهُ الأدلةُ الكثيرةُ التى منها : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ (القمر) .

ومَا حصلَ فى خلقِهِ فهوَ قدْ قَدَّرَهُ فحصلَ سابقُ ما قدَّرَهُ سبحانَهُ وقضاه فهو نافذٌ فى العبادِ .

وقولهُ : « **وهوَ الجوادُ الغفورُ** » .

الجوادُ ليسَ منْ أسماءِ الله تعالى ، كما حرَّرْتُ الواردَ فى ذلكَ فى الأحاديثِ المرويَّةِ فى هذا البابِ وقلتُ أَنَّهُ لمْ يصحَّ منها شيءٌ ، كما فى كتابي « **لمع الأدلة فى بيان عقيدة أهل السُّنَّة** » .

أمَّا « **الغفورُ** » فهوَ ثابتٌ فى قولهِ تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (الملك:٢) .

ومعناهُ : كثيرُ المغفرةِ سبحانهُ فيغفر الذنوب جميعاً .

قولهُ تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ .

أي : يعلمُ ذلكَ ، ولكنْ منْ رحمتِهِ سبحانهُ وفضلِهِ أنَّهُ لا يؤاخذُ المرءَ بما فى داخلِهِ حتَّى يتكلَّمَ أو يعملَ ، ما لمْ يعزِم الشخصُ على فعلِ الشيء .

فقدْ قالَ رسول الله ﷺ : « **إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِى عَنْ أُمَّتِى مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا ، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ** » .(١)

والمؤلف أورد الآية لإثبات إحاطة الله تعالى بالمخلوقات .

وهو سبحانه لم يؤاخَذِ الإنسانُ بما فى داخلِهِ منَ الوساوسِ والخواطرِ ، فاللهُ سبحانَهُ يعلمُ ما تخفيهِ فى صدرِكَ وما تخونُ بهِ عينُكَ .

القضاءُ والقدرُ

قال المزنيُّ رحمه الله :

« فالخلقُ عاملونَ بسابقِ علمِهِ ونافذونَ لَمَا خلقَهُمْ لَهُ مِنْ خيرٍ وشرٍّ لا يملكونَ لأنفسِهِمْ منَ الطاعةِ نفعاً ولا يجدونَ إلى صرفِ المعصيةِ عنها دفعاً » .

القدرُ ركنٌ منْ أركانِ الإيمانِ التى لا يقومُ الإيمانُ إلا عليهَا ، فمَنْ لمْ يؤمنْ بأيِّ ركنٍ منْ الأركانِ التى ذكرَهَا النبيُّ لجبريل عليه السلام حيثُ قالَ لهُ : « **الإيمانُ أنْ تؤمنَ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخرِ والقدرِ خيرهِ وشرِّه** »(٢) ، فلا يقبل الله

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري (٦٦٦٤) ، ومسلم (١٢٧) .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

منه صرفاً ولا عدلاً .

فمنْ لمْ يؤمنْ بالقدرِ فهوَ كما قالَ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما لَمَّا ذهبَ يحيى بنُ يعمُر وحميدُ ابنُ عبدِ الرحمنِ الحميريُّ وسألاهُ عنْ مقولةِ معبدٍ الجهنيِّ ، قال ابن عمر رضي الله عنهما : « إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّى بَرِىءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّى وَالَّذِى يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ » .(١)

ومَنْ نَفَى القدرَ ينفي علمَ الله وهذا يلزمُهُ ، ولذلكَ كانَ العلماءُ يخاصمونَ مَنْ ينفي القدرَ بإلزامه بنفيِ العلمِ ، فاللهُ يعلمُ ما كانَ وما يكونُ وما سيكونُ ، وأنَّه قدَّرَ أفعالَ الخلائقِ وخلقَ الخلقَ وما يفعلونَ ، خلقَ كلَّ شيءٍ فقدَّرَهُ تقديراً ، والمؤمنُ يكلُ ما يُشكلُ عليهِ منْ ذلك إلى الله لضعفِ عقلِ الإنسانِ عَنْ إدراكِ علمِ الله تعالى فى الكونِ .

فما يعملهُ العبادُ سبقَ فى علمِ الله أنَّهمْ سيعملونَهُ ، بلْ يفعلونَ ما قدَّرهُ اللهُ لهمْ منْ خيرٍ أو شرٍّ ، ولا يملكُ الواحدُ منهم أن يتخلَّف عنْ المقدورِ وإنْ كانَ للعبدِ إرادةٌ فى اختيارِ الشرِّ والخيرِ لكنْ ما سيختارهُ هوَ الذى يوافقُ المقدورَ .

دلَ على ذلكَ :

ما أخرجهُ أحمدُ وابنُ حبانَ (٢) بإسنادٍ قويٍّ عنْ عبد الرحمنِ بنِ قتادةَ السلميِّ أنَّهُ

---

(١) أخرجه مسلم (٨) .

(٢) « مسند أحمد » (٤/ ١٨٦) ، وابن حبان (٣٣٨) .

قالَ : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خلقَ آدمَ ثمَّ أخذ الخلق من ظهره وقال : هؤلاء فى الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء فى النار ولا أبالي** » ، قال : فقال قائل : يا رسول الله ؛ فعلى ماذا نعمل ؟ قال : « **على مواقع القدر** » .

فما يفعله الإنسان وما ينتهي إليه أمره هو المقدر الذى قدره الله قبل وكتبه .

وفى صحيح البخاريُّ قوله ﷺ : « **فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلاَّ ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ** » .(١)

فما شاءَ اللهُ كانَ وما لمْ يشأْ لمْ يكنْ ، كما قالَ تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (الإنسان:٣٠) .

والأحاديثُ المؤيدةُ لقولِ المؤلِّفِ كثيرةٌ .

والمقصودُ : أنَّ أمرَ الله تعالى نافذٌ فى العبادِ ، واللهُ حَكَمٌ عدلٌ لا يظلمُ مثقالَ ذرةٍ ، فمنْ شَقِيَ من العبادِ فبعدلِ الله ، وَمَنْ سَعِدَ منهُمْ فبفضلِهِ .

وقدْ أخرجَ أبو داودَ (٤٦٩٩) وغيره بسندٍ ثابتٍ عنْ غيرِ واحدٍ عنْ رسولِ الله ﷺ قالَ :« **لو أنَّ الله عذَّبَ أهلَ سمواتِهِ وأهلَ أرضهِ عذَّبهمْ وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ، ولو أنفقتَ مثل أُحدٍ ذهباً فى سبيل الله ما قبله الله منك حتَّى تؤمن بالقَدَرِ وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأنَّ ما أخطأكَ لمْ يكن ليصيبك ولو مات المرء على غير هذا دخل النار** » .

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ، ومسلم (٢٦٤٣) .

ولذلكَ أخرجَ ابنُ أبي شيبةَ (٦/ ٢٩) ، (٧/ ١٥٣) بإسنادٍ حسنٍ عنْ أبي وائلٍ شقيقِ بنِ سلمة التابعيِّ الإمام أنَّهُ كانَ يقولُ وهو ساجدٌ : « ربِّ إنْ تعفُ عَنِّي تَعفِ عن طَولٍ منكَ ، وإنْ تعذِّبْنِي تعذبنِي غيرَ ظالمٍ ولا مسبوقٍ » ، ثمَّ يبكِي رحمهُ اللهُ تعالى .

واعلمْ أنَّ القدريَّةَ الضالِّينَ أقسامٌ :

منهمْ مَنْ يعارضُ الأمرَ الإلهِيَّ بالقدرِ فيحتجُّ بالقدرِ فى تركِ امتثالِ الأمرِ ، وهؤلاءِ المجادلونَ الجدالَ المذمومَ الذى قالَ اللهُ فيهِ : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ (الكهف:٥٤) .

وقدْ يقولونَ كلمةَ حقٍّ منْ جهةِ إثباتِ القَدَرِ ولكنْ لا تصلحُ لمعارضةِ الأمرِ بلْ معارضةُ الأمرِ فيها منَ الجدلِ المذمومِ .[١]

ولذلكَ أنكرَ النبيُّ ﷺ على عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه لَمَّا طرقهما - أي هو وفاطمةَ - وهما نائمانِ فقال لهما : « **أَلاَ تُصَلِّيَانِ ؟** » ، فقال علي : يَا رَسُولَ الله ؛ أَنْفُسُنَا بِيَدِ الله ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا . فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئاً ، وقال : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ » .[٢]

كذا احتجَّ عليٌّ رضي الله عنه بالقدرِ ، فقالَ رسول الله ﷺ ما قال .[٣]

---

(١) وانظر : « مجموع الفتاوى » (٨/ ٢٤٤) .

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٧) .

(٣) وهذا لا يقدحُ فى عليٍّ رضي الله عنه لكونهِ كان مجتهداً ثم رجع إلى ما تبين له من الحق .

وقسمٌ منَ القدريَّةِ يقولونَ :

« إنَّ اللهَ تعالى خلقَ الخيرَ ولمْ يخلُقِ الشرَّ ، وقدَّرَ الطاعةَ ولمْ يقدِّرِ المعصيةَ ، ولا خلقَ فعلَ الإنسانِ الشرَّ إذِ الشرَّ ليسَ إليهِ » .

والجوابُ عليهمْ :

بقولهِ تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (الصافات) ، أي : خلقكُمْ وعملَكُمْ منْ خيرٍ وشرٍّ .

وأمَّا قولُهُمْ : « والشرُّ ليسَ إليهِ » .[1]

أيْ : لاينسبُ إليهِ تأدباً لا أنَّ اللهَ لمْ يخلقْهُ، أما أنه لا ينسب إليه ، أي لا يأمر به .

كماَ قالَ الخضرُ لموسى عليه السلام عنِ السفينةِ : ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ (الكهف:٧٩) .

وقال فى قتلِ الغلامِ : ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ (الكهف:٨٠) ، وقدْ طُبعَ الغلامُ كافراً .

وأمَّا فى بناءِ الجدارِ الذى فى ظاهرهِ خيرٌ ، قال : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ (الكهف:٨٢) ، معَ أنَّهُ قدْ قالَ لموسى عليه السلام عن كل ما صنعه فى رحلته منعه : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ (الكهف:٨٢) .

وكذا قالَ الجنُّ عندَ ذكرِ الشرِّ : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ (الجن) .

---

(١) كما قال رسول الله ﷺ فى دعاء القنوت : « والشر ليس إليك » ، وقد أخرجه مسلم (٧٧١) .

وَمِنْ لوازمِ قولِهِمْ : أنْ يكونَ هناكَ خالقانِ أحدهُمَا للخيرِ والآخرُ للشرِّ .

وقسمٌ آخرُ : أنكروا القدرَ جملةً .

فأقرُّوا بالأمرِ والنهيِ والثوابِ والعقابِ وأنكرُوا أنْ يتقدمَ بذلكَ قضاءٌ وقدرٌ وكتابٌ .

وهؤلاءِ الذينَ نبغوا فى أواخرِ عصرِ الصحابةِ ، وقدْ ردَّ الصحابةُ عليهمْ منهم ابنُ عمرَ وأبيُّ بن كعبٍ وغيرهما ، وتبرأُوا منهمْ ، بلْ نصَّ بعضُ الأئمةِ على كفرِهمْ لمخالفتهم الواردَ فى حديثِ جبريلَ عليه السلام : « **وأنْ تؤمن بالقَدَرِ خيرِه وشرِّهِ** » ، وهم ما آمنوا بهِ .

وَمِنْ لوازِمِ قولِهِمْ : أنْ يقعَ فِي ملكِ اللهِ ما لا يريدُ !!

ومنَ القدريَّةِ قسمٌ :

يقرُّونَ بتقدُّمِ علمِ اللهِ والكتابةِ ، لكنَّهُمْ يزعمونَ أنَّ ذلكَ يُغْنِي عَنِ الأمرِ والنهيِ والعملِ ، وأنَّه لا يحتاجُ إلى العقلِ ، بلْ مَنْ قُضِيَ لَهُ بالسعادةِ دخلَ الجنَّةَ بلا عملٍ أصلاً ، ومَنْ قُضِي عليهِ بالشَّقاوةِ شَقِيَ بلا عملٍ ، فهؤلاءِ أكفرُ مِنَ الذينَ سبقُوهُمْ وأضلُّ سبيلاً ، ومضمونُ قولِ هؤلاءِ تعطيلُ الأمرِ والنهيِ والحلالِ والحرامِ والوعدِ والوعيدِ ، بلْ همْ أكفرُ مِنَ اليهودِ والنصارى بكثيرٍ .[1]

يقولونَ : إنَّ العبدَ مجبورٌ على أعمالِ الكفرِ والشرِّ ، ولازمُ ذلكَ أنَّ اللهَ قدْ ظلمَهُمْ ؛ لأنَّهُ جبرَهُمْ على الكفرِ والشرِّ ثم يعذبهمْ عليهِ .

---

(١) انظر: « مجموع الفتاوى » (٨/ ٢٨٨) .

وأمَّا القدريَّةُ المجبرةُ :

فهمُ الذينَ يقولونَ : ليسَ للعبدِقدرةٌ ولا إرادةٌ حقيقيَّةٌ ولا هُوَ فاعلٌ حقيقةً ، وكلُّ هؤلاءِ مبتدعةٌ ضُلَّالٌ .

وشرٌّ منْ هؤلاءِ مَنْ يجعلُ خلقَ الأفعالِ وإرادةَ الله للكائناتِ مانعةً منَ الأمرِ والنهيِ ، كالمشركينَ الذينَ قالوا : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾ (الأنعام:١٤٨) ، فهؤلاءِ أكفر منَ اليهودِ والنصارَى .

ومضمونُ قولِهِمْ تعطيلُ جميعُ ما جاءَتْ بهِ الرُّسُلُ كلُّهُمْ منَ الأمرِ والنهيِ .[1]

وأهلُ السُّنَّةِ وسطٌ بينَ القدريَّةِ منَ المعتزلةِ ونحوهِمْ ، وبينَ القدريَّةِ المجبرةِ منَ الجهميةِ ونحوهم .

فيقولونَ : اللهُ عَلِمَ وكتبَ وقدَّرَ ، والعبدُ لَهُ إرادةٌ يختارُ بها ، وما سيختارُهُ سيوافقُ ما قدَّره الله ، فالعملُ ينسبُ إلى العبادِ كسباً واختياراً معَ أنَّهمْ لا يخرجونَ عنْ قدرِ اللهِ فيهمْ ، وبهذا الكسبِ والاختيارِ يحاسبُهُمُ اللهُ تعالى .

ما قدَّرَهُ سبحانَهُ وكتبَهُ عليهمْ لمْ يظلمُهُمْ سبحانَهُ حيث قدَّر الخيرَ والشرَّ وخلقَ المرءَ وعملَهُ ، وقدْ أحبَّ سبحانَهُ منْ عبادِهِ الطاعةَ ورضيَها ، وإنْ أبى المرءُ الطاعةَ لنْ يخرجَ عمَّا قدَّرهُ اللهُ كوناً ، ولا يلزمُ اللهَ إنْ أرادَ الطاعةَ أنْ يُعينَ المرءَ عليها ؛ لأنَّ إعانتَهُ عليها قدْ تخالفُ الحكمةَ منْ وجهٍ آخرَ ، وهوَ سبحانهُ : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الأنبياء) ، إنْ عذَّبَهُمْ عذَّبَهمْ وهوَ غيرُ ظالمٍ لهمْ ، وإنْ رحمَهُمْ

(١) انظر : « مجموع الفتاوى » (٨/ ٢٨٩) .

كانتْ رحمتُهُ أوسعَ لهمْ منْ عملِهمْ وهوَ الكريمُ الواسعُ سبحانَهُ أكرمنَا اللهُ بسعةِ فضلِهِ وعطائِهِ بالهدايةِ إلى المماتِ ووسَّعَ علينَا فى الدارينِ إنَّهُ كريمٌ ودودٌ .

الملائكــةُ

قال المزني رحمه الله :

« خَلَقَ الخلقَ بمشئتِهِ عَنْ غيرِ حاجةٍ كانتْ بهِ فخلقَ الملائكةَ جميعاً لطاعتِهِ، وَجَبَلَهُمْ على عبادَتِهِ فمنهُمْ ملائكةٌ بقدرتِهِ للعرشِ حاملونَ ، وطائفةٌ منْ حولِ عرشِهِ يُسَبِّحُونَ ، وآخرونَ بحمدِهِ يقدِّسُونَ ، واصطفَى منهُمْ رُسُلاً إلى رُسُلِهِ، وبعضٌ مُدَبِّرُونَ لأَمرِهِ » .

الشرحُ :

قولُهُ : « **خَلَقَ الخلقَ بمشئتِهِ** » تقدَّمَ الكلامُ عليهِ .

الملائكةُ لهمْ مشيئةٌ كالإنسِ والجنِّ ، ولذلكَ يُثابونَ ويعاقبون ، والإنسُ والجنُّ يخرجونَ عنْ إذنِ اللهِ بإذنِهِ ، أمَّا الملائكةُ فلا يعصونَ اللهَ ما أمَرَهُمْ ويفعلونَ ما يؤمرونَ فهمْ مطبوعونَ ومجبولونَ لا يخرجونَ عنْ طاعةِ اللهِ ، أمَّا الخلقُ الآخرونَ كالجماداتِ فليسَ لهمْ مشيئةٌ ولا تثابُ ولا تعاقَبُ ، ولا يملكونَ لأنفسِهمْ ضراً ولا نفعاً ، فَمَنْ صَرَفَ شيئاً من العبادةِ لهمْ فهوَ مشركٌ .

ثمَّ تكلَّمَ المزني رحمه الله عنِ الملائكةِ فذكرَ بعضَ أعمالِهمْ وما جبلَهُمْ اللهُ عليهِ منَ الطاعةِ .

الملائكةُ خُلِقَتْ مِنْ نورٍ .

قال رسولُ الله ﷺ : « **خُلِقَتِ الْمَلاَئِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ** » . (١)

قدْ خُلِقُوا قبلَ آدمَ عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة : ٣٠) وكانَ لمْ يُخْلَقْ آدمَ ؛ بعد .

والملائكةُ أعدادٌ كبيرةٌ لا يُحْصَى عددُهُمْ وواجباتُهُم إلا الله على اختلافِ أعمالِهِمْ.

ففي حديثِ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **إِنَّ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضْلاً يَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا** » . (٢)

وفي صحيحِ البخاريِّ عَنْ أنسٍ رضي الله عنه عَنِ النبيِّ ﷺ قالَ : «...**فَرُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ : هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ ؟** » . (٣)

وفي حديث حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه مرفوعًا : « **إِنِّي لأَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ ، وَمَا تُلامُ**

---

(١) **صحيح** . أخرجه مسلم (٢٩٩٦) .

(٢) **صحيح** . أخرجه مسلم (٢٦٨٩) .

(٣) **صحيح** . أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ، ومسلم (١٦٤) .

أَنْ تَئِطَّ ، وَمَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ وَقَائِمٌ » . (١)

وفي حديث سمرة ﷺ مرفوعًا : « **أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟!** »، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ الله ؛ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟ قَالَ : « **يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ** » (٢)، فوصفهم بهذا دليل على كثرتهم .

وللملائكةِ أجنحةٌ .

منهُمْ مَنْ لَهُ جَناحانِ ، ومنهُمْ مَنْ لَهُ ثلاثُ أجنحةٍ ، ومنهُمْ مَنْ لهُ أربعُ أجنحةٍ.

قالَ تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ (فاطر : ١) .

وخيارُ الملائكةِ قَدْ شَهدُوا بدرًا ينصرونَ المؤمنينَ .

وإسرافيلُ ملكٌ عظيمٌ يشهدُ القتالَ .

ففي صحيحِ البخاريِّ (٣٩٩٢) عَنْ رِفَاعَة بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « **مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ ، قَالَ ﷺ : مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ، قَالَ : وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنْ الْمَلاَئِكَةِ** » .

وجبريلُ أفضلُ الملائكةِ وأعظمهُمْ خَلْقًا يملأُ بينَ السماءِ إلى الأرضِ لَهُ ستمائةِ جناحٍ .

---

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٢٥٠ ، ٢٥١) بإسنادٍ حسن لشواهده .

(٢) **صحيح** . أخرجه مسلم (٤٣٠) .

وقولهُ : « **وطائفةٌ منْ حولِ عرشِهِ يُسَبِّحُونَ** » .

وَمِنْ عِظَمِ مَلَكٍ مِنْ ملائكَةِ الله ﷻ مِنْ حَمَلَةِ العرْشِ .

« **أَنَّ مَا بينَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إلى عَاتِقِهِ مَسِيرةُ سَبْعِمَائةِ عَامٍ** » .[1]

وفي صحيحِ مسلمٍ (١٧٤) عَنْ عَبْدِ الله بنْ مَسْعُود في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ قَالَ : رَأَى جِبْرِيلَ ؛ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ .

وفي صحيحِ البخاريِّ (٣٢٣٤) عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ : « مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ ، وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ » .

وفي صحيح البخاريِّ (٤٨٥٨) عَنْ عَبْدِ الله بنْ مَسْعُود ﵁ في قوله : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾

قَالَ : « **رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ قَدْ سَدَّ الأُفُقَ** » .

وقوله : « **يسبحون** » إشارة إلى قوله تعالى عن الملائكة : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الأنبياء) .

والملائكةُ عبادٌ مُكْرَمُونَ لا يسبقونَ رَبَّهُمْ بالقولِ وهُمْ بأمرِهِ يعملونَ .

وإنْ كانُوا يشفعونَ كَمَا تَقَدَّمَ ، لكنْ لا يشفعونَ إلَّا لمنِ ارتَضَى اللهُ أن يُشفعَ فيهِ والملائكة مِنْ خشيةِ ربهم مشفقونَ ، وهم قادرونَ على التَّشَكُّلِ بصورٍ حسنةٍ

(١) كما في « سنن أبي داود » (٤٧٢٧) بإسنادٍ حسن .

وأشكالٍ مختلفةٍ [١] ليسَ فيهمْ أُنْثَى [٢] ، لا يأكلونَ ولا يشربونَ ، وهمْ عبادٌ لله ﷻ لا يعصونَ اللهَ ما أمرَهُمْ ويفعلونَ ما يؤمرونَ ، فلا يستنكفونَ عن عبادتهِ سبحانَهُ وتعالى وخلقُهُمْ عظيمٌ [٣] ، يسبِّحُونَ الليلَ والنهارَ ولا يسأمُونَ ولا يَفْتُرُونَ ولا يستكبرونَ .

والإيمانُ بِهِمْ الركنُ الثاني بعدَ الإيمانِ باللهِ ﷻ .

قالَ تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ (البقرة : ٢٨٥) .

وقالَ تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء : ١٣٦) .

---

(١) فقد تمثل جبريل عليه السلام لمريم عليها السلام بشرًا سويًا ، وجاء جبريل في صورة رجل ورآه الصحابة كما في حديث جبريل في الإسلام والإيمان والإحسان .

(٢) لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (الزخرف) .

(٣) لما تقدم فى حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَةِ الله مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ » وإسناده حسن ، ولكن لبعضهم ستمائة جناح يسد الأفق ، وبإمكان بعضهم أن يقلب القرية بمن فيها كلها على جناحه ، كما حصل لقوم لوط عليه السلام ، فمنهم من هو شديد القوى ، وبعضهم بصيحة أهلك قوم صالح ، وبعضهم بنفخة في الصور يُصعق من في السموات ومن في الأرض ، وإذا كان هذا حال المخلوق ، فما البال بالخالق الذي ليس كمثله شيء سبحانه ؟!

وفي حديثِ جبريلَ عليه السلام المشهورِ حينَما سألَ النبيَّ ﷺ عنِ الإيمانِ قالَ : « **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...** » الحديث . (١)

والملائكةُ أقسامٌ :

منهُمُ الموكَّلُ بالوحيِ .

قالَ تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (الشعراء) .

ومنهُمُ الذي التقَمَ القرنَ وحَنَى جَبهتَهُ يَنظرُ مَتَى يُؤْمَرُ بالنفخِ فينفخُ .

قَال ﷺ : « **كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وانتظر أن يؤذن له** » ، قالوا : يا رسول الله ؛ كَيْفَ نَقُولُ ؟ ، قَالَ : « **قُولُوا : حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا** » . (٢)

وهذا الملك هو إسرافيل .

قال القرطبي رحمه الله : (٣)

« ... ﴿ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ : الأمم مجمعة على أن الذى ينفخ فى الصور إسرافيل عليه السلام » .

---

(١) **صحيح** . متفق عليه

(٢) وتخريجه في كتابي « الفوائد النيرة » (٤١٣) وهو خبر حسن .

(٣) فى « تفسيره » (٧/ ٢٠) تفسير سورة الأنعام .

وحكى الحليمي رحمه الله أيضاً على هذا الإجماع ، حكاه عنه الحافظ [١] ، فالتعويل على الإجماع لا على المروي فى ذلك من أنه إسرافيل عليه السلام ، ففي إثبات اسمه طرق **قال الحافظ فى « الفتح » عن ذلك :**

« وفى إسانيد كل منها مقال » .

وهو أصوب من تجويد ابن كثير له [٢] ، كما بينته فى « **الفوائد النيرة** » .

ومنهُمُ الكرامُ الكاتبونَ الذينَ يشهدونَ على العبدِ يومَ القيامةِ .

قالَ تعالى في الحديثِ القدسيِّ للعبدِ في الحسابِ : « **كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ ، فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ : انْطِقِي ، قَالَ : فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ** ... » الحديث . [٣]

ومنهُمُ الموكَّلُ بقبضِ الأرواحِ وأعوانُهُ عليهم السلام.

قَال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (السجدة) .

وَكَمَا يدلُّ عليهِ حديثُ البراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنهما الطويلُ : « **فَإِذَا قَبَضَهَا الْمَلَكُ لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ** » . [٤]

---

(١) فى « الفتح » (١١/ ٣٦٨) .

(٢) فى « تفسيره » (١/ ٤٣٥) .

(٣) **صحيح** . أخرجه مسلم (٢٩٦٩) .

(٤) وهو حديث صحيح أخرجه أحمد ، وهو مخرج في كتابي « الفوائد النيرة » (٢٦٩) .

وَمِنْ هؤلاءِ الملائكةِ : الموكَّلُ بحفظِ أعمالِ بني آدمَ الكاتبينَ لهَا .

قالَ تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (الانفطار)

قالَ ﷺ : « **يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهْوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ، فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ** » .[1]

وَيُطْلَقُ على الكَتَبَةِ حفظةٌ باعتبارِ أَنَّهُمْ يحفظونَ ما يكتبونَ على ابنِ آدمَ كَمَا في حديثِ عبدِ الله بن عمروِ بنِ العاصِ ﷺ في ذكرِ الرَّجُلِ الذي يُنْشرُ لَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاً كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ : « **لَهُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ ؟ قَالَ : لا...** » الحديث .[2]

وهم الذين كتبوا الكتاب الذى قال الله عنه : ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الجاثية) .

ومنهُمُ الموكَّلُونَ بحفظِ العبدِ نفسَهُ في حِلِّهِ وترحالِهِ ، وفي نومهِ ويقظتهِ ، إلا لو كانَ قدرُ اللهِ ﷻ فيدعونه .

قالَ تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ .

وفي حديثِ أبي هريرةَ ﷺ قالَ لهُ الشيطانُ : « **مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكرسيِّ لا يزالُ عليهِ**

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري (٥٥٥) ، ومسلم (٦٣٢) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٣) بإسنادٍ جيد .

حافظًا مِنَ اللهِ ولا يقربهُ شيطانٌ حتَّى يُصبحَ » .[١]

ومنَ الملائكةِ : خزنةٌ للجنةِ ووردت تسمية رئيسهم « رضوان » ، والله أعلم .

قالَ تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الزمر) .

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِى سَبِيلِ الله دَعَاهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ ، كُلُّ خَزَنَةِ بَابٍ أَىْ قُلُ هَلُمَّ** » .[٢]

ومنَ الملائكةِ : خزنةُ جهنمَ ورؤساؤهم تسعةَ عشر ، ومالكٌ رئيسهُمْ

كما قالَ تعالى : ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الزخرف) .

وفي « صحيحِ البخاريِّ »[٣] مِنْ حديثِ سَمُرَةَ بنِ جندبٍ ﷺ في الرؤيا التي رآها رسولُ الله ﷺ وفيهِ : « ... **فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْآةِ كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلاً مَرْآةً ، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا. قَالَ قُلْت لَهما : مَا هَذَا...** » ، وفيه : « **فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ** » .

ومنَ الملائكةِ حملةُ العرشِ الذينَ يستغفرونَ للتائبينَ .

---

(١) كما في صحيح البخاري (٢٣١١) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤١) ، ومسلم (١٠٢٧) .

(٣) برقم (٧٠٤٧) .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ (الحاقة : ١٧) . (١)

---

(١) وقد ورد أن حملة العرش الآن أربعة : لكنهم يوم القيامة ثمانية كما قال تعالى : =

= ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ .

وقد أخرج أحمد (١/ ٢٥٦) قال : حدثنا عبد الله بن محمد ، قَالَ عَبْد الله – ابن أحمد – : وَسَمِعْتُهُ مِنْ عَبْدِ الله بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَدَّقَ أُمَيَّةَ فِي شَيْءٍ مِنْ شِعْرِهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ وَثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ ، وَالنَّسْرُ لِلأُخْرَى وَلَيْثٌ مُرْصَدُ ، وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَمْرَاءَ يُصْبِحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ ، تَأْبَى فَمَا تَطْلُعْ لَنَا فِي رِسْلِهَا إِلا مُعَذَّبَةً وَإِلا تُجْلَدُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « صَدَقَ » .

وقد أخرج غير واحد الحديث عن عبدة بن سليمان فلم يذكروا تصريح ابن إسحاق بالتحديث من يعقوب ، ولم يأت التصريح بالسماع إلا في رواية عند ابن خزيمة في « التوحيد » (١١٢) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٧٤٥) ، وفي الطريق إليه يونس بن بكير تُكلِّم فيه ، وعند الآجري فى « الشريعة » (١٠٣٥) من طريق يونس وليس فيه ذكر التحديث .

وذكر بعض أهل العلم أنه كان يوصل كلام ابن إسحاق بالأحاديث ، ومسلم إنما روى له في الشواهد ، ثم إنه قد رواه هو نفسه غير مرة بغير إثبات التحديث بينه وبين يعقوب .

وقد قال الهيثمي في « المجمع » عقب الحديث (٨/ ٢٣٣) : « رجاله ثقات ، إلا أن ابن إسحاق مدلس » .

والمدلس لا يحتج بخبره ما لم يتبين السماع ، وحاول البيهقي إعلاله بانفراد محمد بن إسحاق ، وهذا مما يتحمله ابن إسحاق أن ينفرد به ، وقد وقع تصريحه بالسماع أيضاً عند الآجري فى « الشريعة » (١٠٣٤) ، ولكن فى الطريق إليه من هو مجهول .

والصواب : إعلاله بعدم تصريحه بالسماع – من وجه يصح عنه – ، وأنه ضعيف من قبل عنعنة

ابن إسحاق ، ولا يغتر بتجويد ابن كثير له في " تفسيره " تفسير ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ ﴾ .

وقال ابن الجوزي فى " العلل " (٢٠) :

" هذا حديث لا يصح تفرد به محمد بن إسحاق " . =

= لكن أخرج ابن خزيمة في " التوحيد " (١١٣) قال : ثنا أبو هشام زياد بن أيوب ، ثنا إسماعيل – يعني ابن علية – قال : ثنا عمارة بن أبي حفصة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس، قال ابن خزيمة : فذكر القصة ولم يسق لفظه ، ولا يقوى هذا الوجه الأول حتى نعلم لفظه .

ثم وقفت على لفظه عند الطبري فى " تفسيره " (٢٣/ ٦٢٢) فى تفسير ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ من نفس الطريق ، ولفظه عن عكرمة قال : قال ابن عباس : " إن الشمس تطلع كل سنة فى ثلاث مئة وستين كوة تطلع كل يوم فى كوة لا ترجع إلى تلك الكوة إلى ذلك اليوم من العام المقبل ، ولا تطلع إلا وهي كارهة ، تقول : رب لا تطلعني على عبادك فإني أراهم يعصونك يعملون بمعاصيك ، أراهم ، قال : أولم تسمعوا إلى قول أمية بن الصلت حين تجرَّد وجلد ، قال عكرمة : يا مولاي وتجلد الشمس؟ فقال : عضضت بهن أبيك إنما أضطره الردى إلى الجلد " ، وهذا إسناد ظاهره الصحة ، لكنه موقوفاً وليس فيه موطن الشاهد الوارد بشأن حملة العرش .

وقد قال البيهقي عقب رواية ابن إسحاق المتقدمة : " أريد به ما جاء في حديث آخر عن ابن عباس أن الكرسي يحمله أربعة من الملائكة ؛ ملك في صورة رجل ، وملك في صورة أسد ، وملك في صورة ثور ، وملك في صورة نسر ، فكأنه إن صح بَيَّن أن الملك الذي في صورة الأسد وهو الليث يحملان من الكرسي موضع الرجل الأخرى " . اهـ

وقد ورد عن قتادة قال : " يحمل عرش ربك فوق الخلائق يومئذٍ ثمانية ، قال قتادة : هم اليوم أربعة من الملائكة وهم يومئذٍ ثمانية " ، وعند ابن خزيمة بإسنادٍ صحيحٍ عن عروة قال : حملة العرش أحدهم على صورة إنسان ، والثاني على صورة ثور ، والثالث على صورة نسر ، والرابع

وقالَ تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ (غافر) .

ومنهُمْ : جنودُ الرحمنِ الذينَ لا يعلمُهُمْ إلَّا هُوَ

قالَ تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ (المدثر:٣١) .

وَهُمْ يقاتلونَ مَعَ أهلِ الإيمانِ في حروبهِمْ مَعَ الكُفَّارِ كَمَا حصلَ في غزوةِ بدرٍ وغيرِهَا .

ومنهُمْ : الذينَ يحفُّونَ مَنْ يجلسونَ يذكرونَ اللهَ ﷻ .

قالَ ﷺ : « **لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ** » . (١)

ولعلَّهُمْ السيَّارَةُ الفضلاءُ الذينَ يتَّبعونَ مجالسَ الذكرِ يجلسونَ مَعَ منْ يجلسُ ويتحدَّثونَ للهِ ﷻ عنْ عملِ أهلِ الإيمانِ .

قالَ النبيُّ ﷺ : « **إِنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضْلاً يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ** » .

على صورة أسد » ، وهو عن هشام بن عروة ، وقد أخرجه الدارمي فى « نقض بشر المريسي » (١/ ٤٧٨) ، بإسنادٍ صحيح عن عروة فذكره بنحوه ، وهو أشبه بالإسرائيليات التى أُمرنا أن لا نصدقها ولا نكذبها ، والله أعلم .

(١) **صحيح** . أخرجه مسلم (٢٧٠٠) .

وَهُمْ الذينَ قالُوا لربِّهِمْ إذْ سألَهُمْ عنهُمْ :

« **يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ** » .

وأنَّ اللهَ ﷻ يقولُ : « **فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ** » . (١)

ومنهمْ : الذينَ يبلِّغونَ رسولَ الله ﷺ مِنْ أُمَّتِهِ السَّلامَ .

قالَ ﷺ : « **إِنَّ للهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلامَ** » . (٢)

ومنهُمُ : الموكَّلونَ بالجبالِ .

ففي « الصحيحين » قصةَ خروجِ النبيِّ ﷺ إلى بني عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ وعودتهِ منْ هناكَ وفيه قولُ جبريلَ عليه السلام لرسولِ الله ﷺ : « **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ** » .

وفيه قولُ مَلَكِ الجبالِ : « **إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ** » ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : « **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** » . (٣)

وَمِنْ هؤلاءِ الملائكةِ : زُوَّارُ البيتِ المعمورِ ، يطوفُ بهِ سبعونَ ألفًا ، كلَّ يومٍ لا تأتي نَوبتهُمْ ثانيةً مِنْ كثرةِ هؤلاءِ الزوَّارِ ، فكَمْ يكونُ عَدَدُهُمْ ؟!

---

(١) انظر صحيح البخاري (٦٤٠٨) ، ومسلم (٢٦٨٩) بنحو من معناه .

(٢) أخرجه النسائي في « الكبرى » (١٢٠٥) ، وأحمد (١/ ٤٤١) وغيرهما بإسناد صحيح .

(٣) **صحيح** . أخرجه البخاري (٣٢٣١) ، ومسلم (١٧٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها .

ففي حديثِ الإسراءِ الطويلِ قالَ ﷺ : « **فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ**... » الحديث . (١)

وثَمَّ ملائكةٌ تجرُّ جهنَّمَ .

قالَ ابن مسعود ﷺ : « **يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا** » . (٢)

وثَمَّ ملائكةٌ تنزلُ بالبشاراتِ .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (فصلت) .

وثَمَّ تفصيلاتٌ :

فبشارةٌ نزلت بها الملائكةُ للحَسَنِ والحسينِ وفاطمةَ وخديجةَ وعائشةَ ﷺ بالخيرِ ، وبشارةٌ لزائرِ أخيهِ في الله ﷻ .

وملائكةٌ تنزلُ عندَ تلاوةِ القرآنِ ، وليلةِ القدرِ ، وقراءةِ القرآنِ في الفجرِ وعندَ قضاءِ اللهِ الأمرَ في السماءِ .

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري (٧٥٠٧) ، ومسلم (١٦٢) واللفظ له .

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) مرفوعًا وهو صحيح موقوفًا - على الراجح - له حكم الرفع .

وملائكةٌ تكتبُ الداخلينَ لصلاةِ الجُمُعَةِ ، وملائكةٌ تحرسُ مكةَ والمدينةَ منَ الدَّجَّالِ أنْ يدخُلَهَا .

وقد تتمثَّل الملائكةُ في صورةِ بشرٍ كما في حديثِ جبريل عليه السلام ، وحديثُ الأقرعِ والأبرصِ والأعمىَ ، وفي قصةِ مريمَ ، وحديثِ الوصايةِ بالجارِ عندَ أحمدَ في « المسندِ » .

وملائكةٌ يُصلُّونَ على المرءِ ما دامَ في مُصَلَّاهُ ما لمْ يُحدِثْ فيهِ .

والملائكةُ يردُّونَ السَّلامَ علىَ مَنْ سلَّمَ عَلى أخيهِ ولمْ يردّ .

وملكان يسألان الميت فى قبره ، وهما منكر ونكير .

وملك يضرب الفاجر والكافر فى قبره .

كما فى حديث البراء بن عازب رضي الله عنه .

ومَا مِنْ أحدٍ إلَّا وَوُكِّلَ به قرينُهُ منَ الجنِّ وقرينُهُ مِنَ الملائكةِ .

ففي حديثِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « **مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ** » .[1]

وملائكةٌ يُصلُّونَ عَلى النبيِّ ﷺ والمؤمنينَ .

قالَ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأحزاب) .

---

(١) **صحيح** . أخرجه مسلم (٢٨١٤) .

وقالَ تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (الأحزاب) .

والملائكةُ يُصلُّونَ على الصُّفوفِ الأُوَلِ في الصلاةِ .

وملائكةٌ يشفعونَ عندَ ربِّهِمْ لأهلِ الإيمانِ .

ويَسْتَحْيُونَ مِنْ عثمانَ ﷺ .

والأنبياءُ والشهداءُ والصالحونَ أفضلُ مِنَ الملائكةِ باعتبارِ كمالِ النهايةِ .

إذا دَخَلُوا الجنَّةَ ونالُوا مِنَ الدرجاتِ العُلا والنعيمِ المقيمِ ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (الإنسان) .

أمَّا مِنْ حيثُ البدايةِ التي نحنُ نعيشُ فيها الآنَ فالملائكةُ-فى الجملة- أفضلُ مِنَ البشرِ.

كما فى قوله تعالى : « وَإِنْ ذَكَرَنِى فِى مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِى مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُ » . (١)

فإنَّهمْ عندَ ربِّهمْ ، وهُمْ الملأُ الذينَ هُمْ خيرٌ مِنْ ملأِ البشرِ . (٢)

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة ﷺ .

(٢) قال بنحو ذلك شيخ الإسلام : في « مجموع الفتاوى » (٤/ ٣٤٣) تحت فصل : « فائدة التفضيل بين فاطمة وعائشة » ، وأيده ابن القيم في « بدائع الفوائد » (٣/ ٦٨٤) ونصره وأعجب به فقال : « وبهذا يتبين سر التفضيل ، وتتفق أدلة الفريقين ، ويصالح كل منهم على حقه... » .

وهم في الرفيق الأعلى منزهين عما يلابس بنو آدم من الذنوب والمعاصي بالليل والنهار .[١]

وهكذا تجتمعُ الأدلةِ التي رُبَّما كانَ ظاهرُهَا التعارضُ .

فقولُهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾ (البقرة:٣٤) دليلٌ على تفضيلِ الإنسِ وتشريفِهِمْ عنهُمْ بالعلمِ .

والله تعالى يقول : ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(الزمر: ٩) .

وقوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ (ص:٧٥) كذلك ؛ لأن من خُلِق بيدِ الله ﷻ خيرٌ مِمَّنْ لَمْ يخلقْهُ بيدِهِ .

ولا شكَّ أنَّ الذي يجدُ في العبادةِ مشقَّةً ويتعبَّدُ - وهمُ صالحو البشرِ - أفضلُ مِمَّنْ لَا يجدُ مشقةً في العبادةِ ، والأجر على قدر النصب ، والعبادة قد فُطِرَت عليهَا الملائكةُ[٢] ، وهذا وجهٌ آخرُ لتفضيلِ البشرِ على الملائكةِ .

---

(١) فقد قال تعالى فى الحديث القدسي : « يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ = = جَمِيعاً ... » أخرجه مسلم (٢٥٧٧) .

وقال ﷺ : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » أخرجه مسلم (٢٧٤٩) .

(٢) ولذلك يباهي الله بهم الملائكة يوم عرفة فيقول : « انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ ، جَاؤُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، يَرْجُونَ رَحْمَتِي ، وَلَمْ يَرَوْا عَذَابِي » أخرجه ابن حبان (٣٨٥٢) من حديث أبي هريرة ﷺ ، وله شاهد من حديث جابر أخرجه ابن حبان أيضًا عقبه .

ولا منافاةَ بينَ كونِ الله تعالى نعتَ الملائكةَ بالملأ الذينَ هُمْ خيرٌ مِنْ بني آدمَ فقالَ: « **وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ** »(١) وبيَّنَ ما تقدَّمَ منْ تفضيلِ البشرِ .

(١) **صحيح**. أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) ، وراجع وجوه تفضيل الملائكة على = = البشر وسياق الأدلة الواردة في الباب في « فتح الباري » (١٣/ ٤٦٩ - ٤٧٠) .

ومن ثمرات الإيمان بالملائكة في عقيدة المؤمن :

العلم بعظمة الله ﷻ وقوته وسلطانه وعظمة المخلوق من عظمة الخالق ، وشكر الله ـ على أن منّ عليهم بأن وكل بهم ملائكة يحفظونه من أمر الله ويستغفرون لهم بقولهم : ﴿ فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾(غافر: ٧) .

ومن هذه الثمرات :

التشبه بالملائكة في مداومة الطاعة ، وعدم العصيان ، والمصابرة على ذلك بلا ملل .

ومن ذلك : التيقظ والحياء من الملائكة الذين عن اليمين وعن الشمال يعلمون ويكتبون أفعال بني آدم .

ومتى علم العبد أن الملائكة كرامٌ على الله ـ ، فإن ذلك يحمله على تكريمهم فلا يفعل ما يؤذيهم من أكل البصل والثوم إذا كان سيذهب إلى المسجد ، وقد قال ﷺ : « مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ - فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ » وقد أخرجه أصحاب الصحاح ، ومن باب أولى الامتناع من شرب السجائر ونحوها من الخبائث .

ومن ذلك : الاستئناس بالملائكة عند محاربة الأعداء فقد قال الله ﷻ لهم في غزوة بدر : ﴿ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ ﴾ (الأنفال:١٢) .

ومن ثمرات الإيمان بالملائكة :

أن من علم أن ثَمَّ ملائكة يدعون للمنفق : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، وأعط ممسكًا تلفًا اعتنى

والملائكةُ معصومونَ بالإجماعِ .

قالَ القاضي عياضٌ رحمه الله :

« أجمعَ المسلمونَ على أنَّ الملائكةَ مؤمنونَ فضلاءٌ ، واتَّفَقَ أئمةُ المسلمينَ أنَّ

.....

بالنفقة ولم يبخل ، لتناله دعوة الملائكة « اللهم أعط منفقًا خلفًا ، وأعط ممسكًا تلفًا » .

إذ قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ يَوْم يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ اعطِ مُنفِقًا خلفا ، ويقول الاخرَ : اللهمَ اعطِ ممسِكا تلفا » اخرجه البخاري (١٤٤٢) ، ومن علم أنهم يدعون لمن يدعو لأخيه بظهر الغيب اعتنى بالدعاء لإخوانه إذ النبي ﷺ يقول : =

= « مَنْ دَعَا لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ : آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ » أخرجه مسلم (٢٧٣٢) عن أم الدرداء رضي الله عنها عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

إلى غير ذلك من ثمرات الإيمان بالملائكة .

ومن لوازم الإيمان بالملائكة :

أن لا يفرق بين أحد منهم ، فلا يعاديهم كما عادتهم اليهود ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (البقرة : ٩٧ ، ٩٨) فينز لهم العبد منزلتهم ، لا كاليهود الذين عادوا جبريل عليه السلام ، كما شهد عليهم عبد الله ابن سلام رضي الله عنه ، وهذا فى صحيح البخاري (٤٤٨٠) .

ومنكِر وجود الملائكة كافر بالله العظيم ، مُكذِّب بالقرآن والسنة ، ومُكذِّب بعلم الغيب الذي أمر الله تعالى بالإيمان به ، وحديث جبريل المشهور دليل على هذا .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء : ١٣٦) .

حُكْمَ المرسلينَ مِنْهُمْ حُكْمَ النبِّيينَ سواء في العصمةِ مِمَّا ذكرنَا عصمتَهُمْ منهُ ، وأنَّهمْ في حقوقِ الأنبياءِ والتبليغِ إليهِمْ كالأنبياءِ مَعَ الأُمَمِ » . (١)

وثمَّ معلوماتٌ عنِ الملائكةِ جاءَتْ في صحيحِ الأخبارِ تُعْتَقَدُ لكِنْ ليسَ هنا مجالُ ذكرِها وذكرُ أدلَّتِهَا هنا ، فهيَ تحتاجُ إلى مؤلَّفٍ مستقلٍ يتعلَّقُ بذلكَ ، وفقنا الله والقارئين لما يُحب ويرضى .

تنبيهٌ :

قدْ ذكرَ بعضُ العلماء (٢) منْ أنواعِ الملائكةِ :

« **خُزَّانُ الرِّيح** » أي : الذينَ لا يرسلونَ شيئاً منَ الريحِ إلا بإذنِ اللهِ بمقدارٍ معلومٍ .

وذكروا فى ذلكَ قولَ سفيانَ بنِ عيينةَ الذى علَّقهُ البخاريُّ مجزوماً بهِ فى تفسيرِ سورةِ الحاقَّةِ : ﴿ عَاتِيَـةٍ ﴾ قالَ : « عَتَتْ عنِ الخُزَّانِ » .

لكنْ مثلُ هذا منْ علمِ الغيبِ لا يُقْبَلُ إلَّا منْ رسولِ الله ﷺ الذي يُطْلِعُهُ اللهُ على الغيبِ .

فقدْ تُفَسَّرُ ﴿ عَاتِيَـةٍ ﴾ أي : عَتَتْ هذهِ الريحُ على أولئكَ الكَفَرَةِ الأقوياءِ فلا أعلمُ دليلاً على وجودِ ملائكةٍ للرياحِ ، فاللهُ أعلمُ .

---

(١) « الشفا » للقاضي عياض (ص١٨٨ - ١٨٩) .

(٢) وهو الشيخ النجمي رحمه الله فى « شرحه للكتاب » (ص١٩) .

وذكرَ أيضاً منْ أقسامِ الملائكةِ : ملائكةُ البحارِ .

ولا أعلمُ دليلاً على هذا .

آدمُ عليه السلام

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« ثمَّ خَلقَ آدمَ بيدِهِ وآسكَنَهُ جنَّتَهُ ، وقبلَ ذلكَ للأرضِ خلقَهُ ونهاهُ عَنْ شجرةٍ قَدْ نفذَ قضاؤه عليهِ بأكلِهَا ، ثمَّ ابتلاهُ بمَا نهاهُ عنهُ منهَا ، ثمَّ سَلَّطَ عليهِ عَدُوَّهُ فأغواهُ عليهَا ، وجعلَ أكلَهُ لهَا إلى الأرضِ سَبَباً فمَا وجدَ إلى تركِ أكلِهَا سبيلاً ولا عنهُ لَهَا مذهَباً » .

الشرح :

لمْ يخلقِ اللهَ بيدِهِ إلا أشياءَ معدودةً .

آدم عليه السلام ، والعرش ، والقلم ، وجنة عدن .

فقدْ أخرجَ الآجريُّ فى « الشريعةِ » بسندٍ صحيحٍ عن ابن عمرَ رضي الله عنهما قالَ : « خلقَ اللهُ عزَّ وجلَّ أربعةَ أشياءَ بيدِهِ : آدمَ عليهِ السَّلامُ ، والعرشَ ، والقلمَ ، وجناتِ عدنٍ ، ثمَّ قالَ لسائرِ الخلقِ كُنْ فكانَ » .[1]

---

(١) وقد رواه عبيد بن مهران المُكتِب ، واختلف عليه :

فرواه ابن فضيل عند هناد (٤٥) عنه عن إبراهيم قال : « خلق الله تبارك وتعالى أربعة أشياء بيدِهِ ؛

وقدْ جوَّدَ إسنادَهُ الذهبيُّ فى « العُلوِّ » (١٨٥) .

والصحابةُ أحرزُ منْ أن يتكلَّموا فى هذا بغيرِ علمٍ ، لكنْ محتملٌ أنْ تكونَ منَ الإسرائيلياتِ .

وقدْ أخرجَ هنَّادُ فى « الزهدِ » بإسنادٍ صحيحٍ عنْ حكيمِ بنِ جابرٍ الأحمسي – وهو من التابعين – قالُ : « أُخْبرتُ أنَّ اللهَ تعالى لمْ يمسَّ خلقَهُ شيئاً إلا ثلاثةً أشياءَ : غرسَ الجنةَ ، وجعلَ ترابَهَا الورسَ والزعفرانَ ، وجعلَ جبالَهَا المسكَ ، وخلقَ آدمَ بيدِهِ » .(١)

وقدْ رُوِيَ هذا عَنْ غيرِهما .

وهذا المعنى صحيحٌ فإنَّ اللهَ تعالى خلقَ آدمَ بيدهِ كما فى قولهِ تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ (ص:٧٥) .

وقالَ موسى لآدم عليهما السلام : « .. **أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ**

.....

خلق القلم بيده ، وخلق جنة عدن بيده » ، ويبدو أنه سقط ذكر آدم .

وخالفه سفيان الثوري عند الآجري فى « الشريعة » (٧٥٦) ، والحاكم (٢/ ٣٢٠) ، والبيهقي فى « الأسماء والصفات » (٦٩٣) ، وكذلك عبد الواحد بن زياد كما عند الدارمي فى « نقد بشر المرسي » (١/ ٢٦١ ، ٤٧٢) ، واللالكائي فى « شرح أصول الاعتقاد » (٧٣٠) كلاهما =

= (الثوري وعبد الواحد) عن عبيد المكتب ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، وهو أصح ، ولا يبعد أن يكون كلاهما محفوظ ، وهو صحيح كما قلت .

(١) « الزهد » (٤٦) .

مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا ... » .[١]

وقد كتب الله ﷻ التوراة بيده :

ففى « صحيح مسلم » فى احتجاج آدمَ وموسىَ :

قال لهَ ادمُ : « **كتَبَ لك التوْرَاةَ بِيَدِهِ** » .[٢]

وكذلكَ غراسُ كرامةِ أهلِ الجنَّةِ :

لما فى صحيح مسلم (١٨٩) أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى قالَ عَنْ نعيم أهلِ الجنَّةِ : « **فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ : أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِى وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا** » .

والخلاصةُ :

أنَّ آدمَ خلقَهُ اللهُ بيدهِ وهذا شرفٌ لهُ ، وقدْ أشارَ الإمامُ المزنيُّ رحمه الله إلى هذا .

وقدْ أخرجَ أبو داودَ [٣] بإسنادٍ صحيحٍ عنْ أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال : « **إنَّ اللهَ خلقَ آدمَ منْ قبضةٍ قبضها من جميعِ الأرضِ فجاء بنوا آدمَ على قدر الأرضِ فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبينَ الذلول والسهل والحزن والخبيث والطيب** » .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠) ، ومسلم .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٢) .

(٣) برقم (٤٦٩٣) .

قولهُ : « **وأسكنهُ جنَّته** » .

هي جنةُ المأوى على قولِ جمهورِ المفسرينَ ، أسكنَهُ اللهُ تعالى هو وزوجتهُ الجنَّةَ المعهودةَ المعروفةَ .

كما قالَ تعالى : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ (البقرة:٣٥) .

وفى حديث احتجاج آدمَ وموسىَ قالَ رسولُ الله ﷺ : « .... **خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وأَسَكَنَكَ جنَّتَهُ** ... » الحديث .(١)

وفى رواية مسلم : « **وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ وَأَسْكَنَكَ فِى جَنَّتِهِ** » .(٢)

وقالَ موسى لآدمَ عليهما السلامُ : « **يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَ أَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ** » .(٣) أي : الجنة المعهودة المعروفة لا جنة من جنات الأرض التى هي فى الحقيقة بساتين .

وآدمُ عليه السلام يقولُ فى حديثِ الشفاعةِ لمنْ يقولُ لهُ : اشفَعْ لنَا عندَ ربِّكَ : « **وهل أخرجكم من الجنَّةِ إلا خطيئة أبيكم** » .(٤)

وفى تحديد أنها جنَّةُ الخلدِ أو غيرهَا خلافٌ .

لكن الصوابَ أنها جنةُ الخلدِ جنةُ المأوى المعهودة الموصوفة فى القرآن والسُّنَّة .

---

(١) كما فى رواية البخاري (٣٣٤٠) ، ومسلم .

(٢) أخرجها مسلم (٢٦٥٢) .

(٣) كما فى رواية البخاري (٦٦١٤) .

(٤) تقدم قبل .

ولو كانتْ جنةً فى الدنيا لكان خرجَ منْ بساتينَ فجنانُ الدنيا بساتينُ .

وقدْ قالَ تعالى لهُ : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ (طه) .

فهلْ بساتينُ الدنيا كذلك ، لو كانت جنةً فى الدنيا لكانتْ لا دوامَ لها ، ولما عاتبه موسى ﷺ ؛ إذ لابدَّ منَ الخروج منْ جنانِ الدنيا ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ (طه) ، وهلْ يُقالُ لمن خرجَ منْ بستانِ الدنيا إنَّهُ قدْ خابَ وخيَّبَ أبناءه ؟! وهل الخطيئةُ تخرجُ منْ بساتينِ الدنيا ؟ ولو كانت فى الأرضِ ما قالَ اللهُ : ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا ﴾ .

فقولهُ : « **فى جنته** » ، « **أخرجكم من الجنة** » دليلٌ على أنَّها الجنةُ المعهودةُ .

وفى « صحيح مسلم » (٢٦٥٢) فى محاجة موسى لآدم عليهما السلام قال له موسى عليه السلام : « **ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الأَرْضِ** » فدل على أن الجنة التى كان فيها آدم عليه السلام لم تكن فى الأرض .

قولهُ : « **وقبلَ ذلكَ للأرضِ خلقَهُ** » .

أي : قدَّرَ اللهُ تعالى كلَّ شيءٍ فقدَّرَ أنَّهُ سيأكُلُ منْ شجرةٍ ويكونُ ذلكَ سبباً فى خروجهِ منَ الجنةِ وهبوطهِ إلى الأرضِ ثمَّ يعودُ ويكونُ مآلهُ أنْ يُدْفَنَ فى الأرضِ .

وقدْ قالَ تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ (طه) .

وقدْ وردَ عنْ رسولِ الله ﷺ أنَّهُ قالَ : « **ما مِنْ مولودٍ إلَّا وَقَدْ ذُرَّ عليهِ مِنْ تُرابِ**

حفرتِهِ » .

لكنَّهُ حديثٌ لا يصحُّ كما بيَّنتُ ذلكَ فى « الفوائد النيِّرةِ » (١٩٥) .

قولهُ : « **ونهاهُ عَنْ شجرةٍ قَدْ نفذَ قضاؤه عليهِ بأكلِهَا** » .

كلُّ شيءٍ خلقَهُ اللهُ بقدَرٍ .

كمَا قالَ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ (القمر) .

وقالَ : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (الفرقان:٢) .

وقالَ رسولُ الله ﷺ : « **كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ أَوِ الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ** » .[١]

فقضى اللهُ وقدَّرَ أنْ يأكلَ آدمُ منْ هذهِ الشجرةِ ، ثمَّ يخرجهُ اللهُ منَ الجنَّةِ ويهبطُ إلى الأرضِ فيكونُ ما هوَ كائنٌ إلى يومِ القيامةِ .

كمَا قالَ ﷺ : « **كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** » .[٢]

وما الشجرةُ التى نهاهُ ربُّهُ عنِ الأكلِ منها ؟

الجوابُ :

أبْهَمَ اللهُ ذكرهَا وتعيينهَا ، ولوْ كانَ فى ذكرِهَا مصلحةٌ تعودُ علينَا لعيَّنَهَا لنا كما

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٥) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) .

فى غيرهَا من المحالِّ التى تُبْهَمُ فى القرآنِ ، كما أشارَ الحافظُ ابنُ كثيرٍ رحمه الله .

قالَ : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة:٣٥) ، هذا سداً للذريعةِ أنْ لا يقتربَ منها ، والمقصودُ عدمُ القربانِ منَ الأكلِ منها ، فعلى ذلك الآية من أدلة سدِّ الذرائع .

وقولهُ : « **ونهاهُ عنْ شجرةٍ** » .

فاللهُ تعالى إذا نهى عَنْ شيءٍ نهَى عنِ القُرْبِ منهُ ، كما هو هُنَا نهَى آدمَ عنِ الاقترابِ منهَا ، وكذا فى الخمرِ فأمرَ بالاجتنابِ لهَا ، وكذا القربِ منَ الفواحشِ فقالَ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (الأنعام:١٥١) ، فاللهُ إذا حرَّمَ شيئاً حرَّم جميع الوسائل المؤدية إليه منْ بابِ سدِّ الذريعة .

ولماذا نهاهُ ربُّهُ ؟

الجواب : لا يُسْأَلُ عمَّا يفعلُ وهمْ يُسألونَ .

ثمَّ ابتلاهُ بمَا نهاهُ عنهُ منها .

ابتلاهُ بوسوسةِ الشيطانِ ونهاهُ عنِ الأكلِ منَ الشجرةِ ، ونهاهُ عنِ الأخذِ بنصحِ إبليسَ ، وقالَ لهُ : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ (طه) .

ثمَّ سَلَّطَ عليهِ عدوَّهُ بالوسوسةِ أنْ يأكُلَ منَ الشجرةِ .

قالَ تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا ... ﴾ (طه) .

وقالَ : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ... ﴾ (الأعراف) .

فأغواهُ عليها ، أي : أنْ يأكُلَ منها .

كمَا قالَ تعالى : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ (طه:١٢١) .

وقدْ ذُكرَ أنَّ الشيطانَ كانَ يتشكَّلُ لآدمَ مرةً فى صورةِ حَيَّةٍ ، ومرةً فى صورةِ بهيمةٍ يُسَوِّلُ لَهُ الأكلُ منها ، ولا دليلَ على ذلكَ فيما نعلمُ ، ولا فائدةَ من معرفته ، ولو كان ثمَّ فائدة لذكره الله تعالى .

قولهُ : « **وجعلَ أكلَهُ لها إلى الأرضِ سَبَباً** » ، كما تقدَّم .

فأكلها كانَ سبباً فى خروجهِ منَ الجنَّةِ وهبوطهِ إلى الأرضِ ، إذا أرادَ اللهُ شيئاً هيأ أسبابَهُ ، كمَا فى قالَ تعالى حكايةً عن يوسفَ ﷺ : ﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ (يوسف:١٠٠) .

فطوَّرَ أحوالَ يوسفَ منْ حالٍ إلى حالٍ لينتقلَ منْ راعِي أغنامٍ إلى عزيزٍ على مصرَ يتحكمُ فى أقوات الناسِ بإذنِ الله ، تراهُ لوِ استمرَّ معَ إخوتِهِ فى رعِي الأغنامِ هل يمكنُ أنْ يكونَ عزيزاً على مصرَ يوماً بأسباب ، أو إنْ ظلَّ عبداً ولمْ يدخُل السِّجنَ كيفَ كانَ يكونُ عزيزاً على مصرَ ... ثم تعبير الرؤية ، ولذلكَ قالَ لوالدِهِ بعد أن أتاه بعد : ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (يوسف:١٠٠) .

قول المزني رحمه الله : « **فما وجدَ إلى تركِ أكلِهَا سبيلاً ولا عنهُ لَهَا مذهَبَاً** » .

إذْ إنَّ اللهَ قدَّرَهُ وشاءَه ، وما شاءَ اللهُ كانَ وما لمْ يشأْ لمْ يكنْ ، ولا يغني حذرٌ منْ قدرٍ .

هيأَ الله أسباب ولا يُسألُ عمَّا يفعلُ وهمْ يُسألونَ .

ولذلكَ لَمَّا احتجَّ آدمُ وموسى قالَ لهُ موسى : « **أنتَ أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنَّةِ بخطيئتكَ ، فقال : أتلومني على أمرٍ قدَّرهُ اللهُ عليَّ قبلَ أنْ أخلق** » ، قال رسول الله ﷺ : « **فحجَّ آدمُ موسى** » .

وقدْ أخرجَ أبو داودَ (٤٦١٦) بإسنادٍ حسنٍ عنْ خالدِ الحذاءِ .

قالَ : « قلتُ للحسن يا أبا سعيد أخبرني عن آدم للسماء خُلق أم للأرض ؟

قال : لا بل للأرض .

قلت : أرأيت لو اعتصم فلم يأكل من الشجرة .

قال : لم يكن له منه بُدّ .

قلت : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ١٦٣ ﴾ (الصافات) .

قال : إن الشياطين لا يفتنون بضلالتهم إلا من أوجب الله عليه الجحيم » .

وأخرجه بعد هذا مختصراً .

وأخرجهُ ابنُ بطةَ في « الإبانة » (١٣٨٨) وما بعدها .

تنبيهٌ :

إبليسُ لعنه الله عصَى ، وآدمُ عليه السلام عصَى لكنَّ آدمَ لمْ يحتجَّ بقدرِ الله ، بخلافِ إبليسُ احتجَّ بالقدرِ على المعصيةِ ، فقال : ﴿ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ﴾ (الأعراف:١٦) ، فلذلك غفرَ اللهُ لآدمَ ولمْ يغفر لإبليسَ ، ثم إن إبليس لمْ يتبْ ولمْ يعترفْ حتَّى بذنبهِ بخلافِ آدمَ عليه السلام الذى تلقى كلماتٍ من ربه فتاب عليه وهدى ، وقدْ ذكرتُ ما كانَ لآدمَ فى الجنَّةِ وما دارَ بينَهُ وبينَ إبليسَ عليهِ لعنةُ اللهِ فى كتابي « **قصة آدم** » .

وعلى أيِّ حالٍ هناكَ مصالحُ حصلتْ بسببِ مخالفةِ آدمَ عليه السلام لربِّه تعالى .

ـ علمنا معرفةُ العملِ إذا وقعَ المرءُ فى الذنب ، كما علمنا أعظمَ كلماتِ التائبِ .

ـ وعرفنَا عاقبةَ الذنوبِ منَ الحسرةِ والندامةِ والعقوبةِ الدنيويةِ والأخرويَّةِ .

ـ وعلمنَا مدى خبثِ إبليسَ وما انطوَى عليهِ منْ حبِّ الشرِّ لابنِ آدمَ وقعودِهِ لهُ فى أطرُقِهِ كلِّهَا ليصدَّهُ عنِ الصراطِ المستقيمِ ، فليحذرِ الحاذرونَ وليحذِّر المحذرونَ .

ـ وعلمنَا القضاءَ والقدرَ ومتى يُحتجُّ بالقدرِ بما دار بين آدم وموسى عليهما السلام .

ـ علمنَا ما وقَعَ فيهِ إبليسُ منَ الكبرِ والغرورِ وسوءِ الطويَّةِ لنحذَرهُ ، وأنه ليس كل من أقسم لكَ تصدِّقه ، فقد أقسم إبليسُ لآدم وكان كاذباً .

ـ علمنَا أنَّهُ لا يُغنِي حذرٌ منْ قدرٍ .

ـ وعلمنَا رحمةَ اللهِ ولطفه بنا سبحانه إذْ حذَّرنَا منْ غوايةِ إبليسَ رحمةً بنا معَ ظهورِ عداوتِهِ .

ـ وعلمنَا أنَّ اللهَ لا يظلمُ أحداً شيئاً ، فمَا ظلمَ إبليسَ لمَّا طردَهُ ، وما ظلمَ آدمَ عليه السلام حينَ أهبطَهُ إلى الأرضِ وأخرجَهُ منَ الجنَّةِ .... إلخ الفوائد التى هي فى قصة آدم عليه السلام مع إبليس عليه لعنة الله ، وهيَ كثيرةٌ جداً .

الجنَّةُ والنَّارُ

قال المزني رحمه الله :

« ثمَّ خَلَقَ للجنَّةِ مِنْ ذريَّتِهِ أهلاً فَهُمْ بأعمالِهَا بمشيئتِهِ عاملونَ وبقدرتِهِ وبإرادتِهِ يُنَفِّذونَ ، وخَلَقَ مِنْ ذريَّتِهِ للنَّارِ أهلاً » .

الشرح :

هذا نصٌّ ما فى حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قالت : « تُوُفِّيَ صَبِيٌّ فَقُلْتُ : طُوبَى لَهُ عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **أَوَلاَ تَدْرِينَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ النَّارَ فَخَلَقَ لِهَذِهِ أَهْلاً وَلِهَذِهِ أَهْلاً** » . (١)

وقدْ أخرجَ أحمدُ وابنُ حبانَ بإسنادٍ حَسَنٍ عنْ عبدِ الرحمنِ بنِ قتادةَ السُّلَمِيِّ أَنَّهُ قالَ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره وقال : هؤلاء فى الجنَّةِ ولا أُبالي ، وهؤلاء فى النَّارِ ولا أُبالي** » ، قالَ : فقال قائل : يا رسول الله ؛ فعلى ماذا نعمل ؟ قال : « **على مواقع القدر** » . (٢)

---

(١) **صحيح** . أخرجه مسلم (٢٦٦٢) .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٦) ، وابن حبان (٣٣٨) وغيرهما .

وليسَ فى هذا جَبرٌ لأَنَّهُ سبحانَهُ تركَ لهمْ إرادةً يختارُ المرءُ بها ، لم يجبرهُ على اختيارِ شيءٍ معينٍ ، ولكنْ ما سيختارُهُ العبدُ منْ خيرٍ أو شرٍّ هوَ الموافقُ لمشيئةِ الله ولما كُتِبَ فى اللَّوحِ المحفوظِ وقدَّرهُ اللهُ تعالى ، فللعبدِ إرادةٌ يختارُ بها الأشياءَ ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف:٢٩) ، لكنْ ليسَ للعبدِ مشيئةٌ ، فمشيئتَهُ تابعةٌ لمشيئةِ الله تعالى ، والجنة والنار مخلوقتان ، ما شاءَ اللهُ كانَ وما لمْ يشأْ لمْ يكنْ ، « فالمطيع أطاعَ الله بفضل الله ورحمته ، ثم بسعيه وكسبه ، والعاصي عصى الله بعدل الله وحكمته ، ثم بكسبه ، والجزاء على هذا الأساس ، يُثاب المطيع ، ويُعاقب العاصي ، كما يشاء الله ويريد ، كما هو صريح نصوص الكتاب والسُّنَّة »[1].

قولهُ :

« فخلقَ لهُمْ أعيناً لا يبصرونَ بهَا وآذاناً لا يسمعونَ بها وقلوباً لا يفقهونَ بها ».

الشرح :

المقصودُ بهذا أولئك العصاةَ .

وقدْ قالَ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (الأعراف) .

---

(١) من شرح الشيخ زيد بن محمد بن المدخلي ﷾ لهذا الكتاب (ص٤٥) .

ذلكَ أنَّهمْ بقلوبِهمْ وسمعِهمْ وأبصارِهمْ قامتْ عليهمُ الحجَّةُ .

وقدْ قالَ تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (التوبة) .

لينظرَ ببصرِهِ وعقلِهِ وقلبِهِ ، أمَّا إذا سَمِعَ وأبْصَرَ دون اتعاظ واستجابة ففيهِ شبهٌ بالبهائمِ ، ولذلكَ قالَ تعالى : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ (الفرقان:٤٤) ، يعني : همْ يُشْبِهُونَهَا فى عدمِ العملِ والاستجابةِ ويُشْبِهُونَهَا بالسماعِ المجرَّدِ فقطْ .

قالَ المؤلِّفُ رحمه الله :

« فهمْ بذلكَ عَنِ الهُدَى محجوبونَ وبأعمالِ أهلِ النَّارِ بسابقِ قَدَرِهِ يعملونَ »

بسببِ عدمِ تأمُّلِهِمْ بَمَا أعطاهُ اللهُ لهمْ منْ سمعٍ وبصيرةٍ وقلبٍ حتى يصلُوا إلى الحقِّ ويعلمونَ الباطلَ فينظرونَ ويعتبرونَ فى آياتِ اللهِ الكونيَّةِ وآياتِهِ الشرعيَّةِ .

وقدْ قالَ تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (الأنعام) .

وقال : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (محمد) .

على أيِّ حالٍ هُمْ فى عملِهمْ كَمَا قالَ المؤلِّفُ : « **وبأعمالِ أهلِ النَّارِ بسابقِ قَدَرِهِ يعملونَ** » .

أي : لا يخرجونَ عمَّا قدَّرَهُ اللهُ تعالى لهُمْ .

الإيمـــانُ

أيْ ما يتعلَّقُ بالإيمانِ ممَّا ينبغي أنْ يُعْتَقَدَ .

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« الإيمانُ قولٌ وعملٌ مَعَ اعتقادٍ بالجَنَانِ ، قولٌ باللِّسانِ وعملٌ بالجوارِحِ والأركانِ وهُمَا سيَّانِ ونظامانِ وقرينانِ لا يُفَرَّقُ بينهُمَا ، لا إيمانَ إلَّا بعملٍ ولا عملَ إلَّا بإيمانٍ » .

الشرحُ :

الإيمانُ هوَ الإقرارُ ، ولا إقرارَ إلا بتصديقٍ ، وهوَ اعتقادٌ بالقلبِ وقولٌ باللِّسانِ وعملٌ بالأركانِ ، ومَنْ أقرَّ وصدَّقَ ولمْ يعملْ عملاً بالكليَّةِ مع تمكنّه كانَ كافراً ، وقدْ وقعَ الإجماعُ على ذلكَ ، فلذلكَ عُرِّفَ الإيمانُ بأنَّهُ الطاعاتُ كلُّهَا ؛ لأنَّهَا أثرُ الإقرارِ والتصديقِ ، فلابُدَّ منْ وجود عمل .

فَمَنْ تركَ الشهادتينِ معَ القدرةِ على قولِها لمْ يكنْ مسلماً .

ولذلكَ قالَ رسول الله ﷺ : « **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ** ... » الحديث ، أخرجه

البخاريُّ ومسلمٌ .

والعملُ :

فمنْ أسْلَمَ ونطقَ بالشهادتينِ ولمْ يعملْ عملاً قطُّ ، فإن ذلك يدل على عدَمِ التزامهِ بمقتضَى الشهادتينِ .

فإنَّ اليهودَ عَرَفوا رسولَ الله ﷺ كمَا يعرفونَ أبناءَهُمْ ، ولكنْ لمْ يعملُوا ولمْ ينطِقُوا بالشهادتين فلمْ يدخلُوا فى الإيمانِ .

وقدْ سمَّى اللهُ تعالى الصلاةَ إيماناً .

فقالَ تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ (البقرة:١٤٣) .

وقدْ قالَ رسولُ الله ﷺ : « **الإيمانُ بضعٌ وستونَ شعبةً أعلاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان** » .[1]

والاعتقادُ :

فمنْ قالَ وعَمِلَ ولمْ يعتقِدْ كانَ كافراً ككفر ابنِ سلولٍ ، والمنافقينَ فى زمنِ رسول الله ﷺ .

وقدْ سمَّى اللهُ جماعةً فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ (المائدة:٤١) .

فلوْ نطقُوا غيرَ معتقدينَ لمْ ينفعهُمْ كما لمْ ينفَعْ المنافقينَ .

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري (٩) ، ومسلم (٣٥) .

ونَقَلَ غيرُ واحدٍ منْ أهلِ العلمِ الإجماعَ على هذا التقسيمِ الذى ذكرهُ المؤلِّفُ رحمه الله . (١)

أمَّا المُرْجِئَةُ :

فهُمْ يقولونَ بعدمِ لزومِ العملِ ، أيْ لا يُدخِلونَ الأعمالَ فى مسمَّى الإيمانِ فيرجئونَ العملَ .

ولا يقولونَ بتفاضُلِ أصحابهِ فيهِ فيسوُّونَ بينَ إيمانِ جبريلَ عليه السلام ومحمد ﷺ وبينَ أفجرِ رجلٍ منْ هذهِ الأُمَّةِ ، ولا يفاضلونَ بينَ الصحابةَ وبعضهِمْ ، ويلزمُهُمْ أنْ يقولو بأنَّ دَرَجَ الجنَّةِ ما لهُ قيمةٍ ؛ لأنَّ الناسَ فى منزل واحدٍ إذا كانوا فى المنزلةِ فى الإيمانِ سواء فعلامَ يفضَّل رجل فيكون فى الفردوسَ الأعلى على ما دونَهُ منْ درَجِ الجنَّةِ ؟ وقدْ قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَيُونَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَيُونَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّىَّ الْغَابِرَ فِى الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ** » ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله ؛ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ ؟ قَالَ : « **بَلَى وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، رِجَالٌ آمَنُوا بِالله وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ** » . (٢)

ولماذا يتفاوتُ النَّاسُ فى المرورِ على الصِّراطِ وقدْ قالَ رسولُ الله ﷺ : « **فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ** » .

قالَ ﷺ : « **أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِى طَرْفَةِ عَيْنٍ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ ثُمَّ**

(١) انظر كتابنا « التوضيحات الجلية » .

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٦) ، ومسلم (٢٨٣١) .

كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِى بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلاَّ زَحْفاً - قَالَ - وَفِى حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوسٌ فِى النَّارِ » .(١)

فانظرْ إلى قولهِ : « **تَجْرِى بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ** » .

وقولهِ : « **حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ** » .

تعلمْ انَّ مرورَهُمْ على الصِّراطِ ، ومقدارَ الخَدْشِ بالكلاليبِ هوَ على حسبِ أعمالِهِمْ ، وهذا يدلُّ على لزومِ الأعمالِ .

وفى « الصحيحين » قولهُ ﷺ : « **ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَىْ جَهَنَّمَ** » ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ الله ؛ وَمَا الْجَسْرُ ؟ قَالَ : « **مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ ، لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْباً** » .(٢)

ولماذا الشفاعةُ لقومٍ يدخلونَ النَّارَ ثمَّ يخرجون منها بعدَ ما احترقُوا وصاروا فحماً إلَّا لأنهم قصَّرُوا فِي بعضِ العَمَلِ ؟

ومن هنا قال المرجئةُ : « الإيمانُ لا يزيدُ ولا ينقُصُ » .

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٥) من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ .

وقدْ وقعَ الإجماعُ والأدلةُ على الزيادةِ والنقصانِ ، كما ذكرناهُ فى موطِنِهِ ... إلى آخرِ ضلالِهِمْ .

وإذا كانَ الأنبياءُ والرُّسُلُ - عليهم الصلاة والسلام - يتفاضلونَ فيما بينَهُمْ كَمَا أنَّ محمد ﷺ آفضلُ الأنبياءِ ، فالصحابةُ وغيرهُمْ منَ الناسِ يتفاضلونَ منْ باب أولى ، يتفاضلونَ ولا نقولُ بقولِ المرجئةِ الذينَ يقولونَ إنَّ مَنْ قالَ : لا إله إلا اللهُ كانَ إيمانُهُ كإيمانِ جبريلَ .

ولا يكونُ بالمعاصِي كافراً ، كما تقولُ الخوارجُ ، يقولونَ : الإيمانُ لا يزيدُ ولا ينقصُ ، فمنْ عَمِلَ المعاصِي ضاعَ الإيمانُ لا ينقُصُ .

فليتمسَّكَ المُعْتَقِدُ بالأصولِ التى كانَ عليها الصحابةُ ﷺ ، وهو اعتقاد وسط بين المرجئة والخوارج .

وقولهُ : « **لا إيمانَ إلَّا بعملٍ ولا عملَ إلَّا بإيمانٍ** » .

فإنَّ العمل بلا إيمانٍ نفاق لا قيمةَ له ؛ لخلوه من المعتقدِ ، والإيمان بغير عمل إرجاء وتعطيل للأوامر الشرعية ، فكلاهما تُنزه عنه الشريعة .

قالَ المؤلِّفُ :

« والمؤمنونَ فى الإيمانِ يتفاضلونَ وبصالحِ الأعمالِ هُمْ متزايدونَ ولا يخرجونَ بالذنوبِ منَ الإيمانِ ، ولا يُكَفَّرونَ بركوبِ كبيرةٍ ولا عصيانٍ » .

أي : نقولُ بأنَّ الإيمانَ يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ ولا يكفرونَ بالكبيرةِ كما

تقولُ الخوارجُ ولا يجعلونَهُ منزلة بينَ منزلتينِ كما تقولُ المعتزلةُ وإنما هو مؤمنٌ بإيمانهِ فاسقٌ بكبيرتِهِ .

وقولُ المؤلِّفِ هذا عليهِ أدلَّةٌ متكاثرةٌ ، الإيمانُ يتفاضَلُ أصحابُهُ فيهِ .

وقدْ قالَ رسولُ الله ﷺ : « **مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ** » . (١)

وقال رسول الله ﷺ : « **بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ ، وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ ، وَمَرَّ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ** » ، قَالُوا : مَا أَوَّلْتَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : « **الدِّينَ** » . (٢)

وقالَ : « **لا يبلغُ عبدٌ حقيقةَ الإيمانِ حتَّى يحبَّ للنَّاسِ مَا يُحِبُّ لنفسِهِ منَ الخيرِ** » . (٣)

فعلَى قدرِ الأعمالِ يزيدُ الإيمانُ أو يَنْقُصُ .

والأدلَّةُ منَ القرآنِ والسُّنَّةِ أيضاً كثيرةٌ . (٤)

وقدْ قالَ شيخُ الإسلامِ رحمه الله :

« أجمعَ السلفُ أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ يزيدُ وينقُصُ » . (١)

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤) ، ومسلم (٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري (٣٠) ، ومسلم (٢٣٩٠) .

(٣) أخرجه ابن حبان (٢٣٥) بإسنادٍ صحيحٍ على شرط الشيخين .

(٤) انظر كتابنا « التوضيحات الجلية » .

فالإيمانُ لا يكتملُ فى الإنسانِ إلا إذا جمعَ المرءُ بينَ شُعَبِ الإيمانِ ، أمَّا الكفرُ فشعبةٌ واحدةٌ منهُ تمسحِ الإيمانَ ، كما قال تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الزمر:٦٥) .

وقول المؤلف : « **ولا يخرجونَ بالذنوبِ من الإيمانِ ولا يُكَفِّرونَ بركوبِ كبيرةٍ ولا عصيانٍ** » ، يقصدُ أنَّ المعصيةَ لا يُحكمُ على صاحبهَا بالكفرِ كما تقولُ الخوارجُ ، لا يُكفِّرونَ إلا بما دلَّ الدليلُ على كُفْرِ فاعلِهِ ، فلا يكفر بالقتل وغيره من الكبائر ولو قتل آلاف ما لم يستحل ، والاستحلال قلبي لا يدل عليه الإصرار .

فحديثُ الشَّفاعةِ الذي يخرجُ فيه أهلُ النَّارِ منَ النَّارِ بشفاعةِ رسولِ الله ﷺ والشهداءِ والصالحينَ دليلٌ على أنَّهمْ ليسُوا كفاراً ، إذْ لوْ كانوا كفاراً ما خرجوا من النار أبداً ولم تلحقهم شفاعة الشافعين .

وقدْ قالَ ابنُ عبدِ البَّر رحمه الله :

« أجمعَ أهلُ الفقهِ والحديثِ على أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ ولا عملَ إلا بنيَّةٍ ، والإيمانُ عندهمْ يزيدُ بالطاعةِ وينقُصُ بالمعصيةِ » .(٢)

قدْ استدلَّ القاضي عياضٌ بقولهِ ﷺ عنِ الله تعالى فى حديثِ الشفاعةِ : « فَمَنْ وجدتم فى قلبهِ مثقال ذرةٍ من خيرٍ فأخرجوه » ، قالَ :

« فيه دليلٌ على أنَّه لا ينفعُ منَ العملِ إلا ما حضَرَ لهُ القلبُ وصحبَهُ النيَّةُ ، كما

---

(١) « مجموع الفتاوى » (٤/ ٦٧٢) .

(٢) « التمهيد » (١٥/ ٤١) .

استدلّ بالحديثِ أيضاً على زيادةِ الإيمانِ ونقصانِهِ وهوَ مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ» .[١]

ولذلكَ فلمْ يردْ أنَّ النبيَّ ﷺ أو الخلفاءَ الراشدينَ بعدَ ما جلدُوا الزاني أو شاربِ الخمرِ أو القاذفينَ أنَّهم عُرضَ عليهمُ الإسلامَ ، ولو كانوا بالمعاصي كفاراً لقتلهمْ ردَّةً .

قالَ المؤلِّفُ :

« ولا نوجِبُ لمحسِنِهِمُ الجنانَ إلَّا مِنْ بعدِ أنْ يُوجِبَ لَهُ النبيُّ ﷺ ولا نشهَدُ على مسيئِهِمْ بالنَّارِ » .

المؤلِّفُ يبيِّنُ عقيدةَ أهلِ السُّنَّةِ أنَّهُ لا يجوزُ أنْ نشهدَ لمعَيَّنٍ بجنةٍ ولا بنارٍ إلا إذا شَهِدَ لهُ النبيُّ ﷺ ، إذ القولُ بذلكَ بغيرِ دليلٍ منَ التقوُّلِ على اللهِ بغيرِ علمٍ ، وهذا حرامٌ .

منْ شهدَ لهُ الوحيُ بجنَّةٍ كحمزةَ بنِ عبدِ المطَّلِبِ والعشرةِ المبشرينَ بالجنَّةِ وغيرِهمْ شهدْنَا لهُم بالجنَّةِ .

ومنْ شهدَ لهمُ الوحيُ بالنَّار كوالدَيِ النبي ﷺ وعمِّهِ وأبي لهبٍ والكفَّارِ الذينَ قُتِلُوا فى غزوِ بدرٍ وغيرِهمْ شهدنَا لهمْ بالنَّارِ ، وهذا ما تُعضِّدُهُ الأدلَّةُ وأقوالُ السَّلَفِ منْ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ .

فلا يشهدُ لأحدٍ منَ الناسِ بجنَّةٍ ولا بنارٍ إلا إذا شهدَ لهُ الوحيُ كحمزةَ بنِ عبدِ

---

(١) حكاه عنه النووي فى « شرح مسلم » (٢/ ٣٦) .

المطَّلبِ وعبدِ الله بنِ حرامَ وشهداءِ أُحدٍ وعمرَ وأمثالِهم منَ الصحابةِ ﷺ أجمعين ، وسيأتي أدلَّةٌ صريحة لهذا

قال الإمامُ أحمدُ رحمه الله :

« ولا نَشْهَدُ على أَحَدٍ مِن أهلِ القبلةِ بِعَمَلٍ يَعْمَلُهُ بجنة أو نار، نرجُو للصَّالحِ ونخافُ عليهِ ، ونخافُ على المُسِيءِ المذنبِ ، ونرجو لَهُ رحمةَ اللهِ » . (١)

وقال شيخُ الإسلامِ رحمه الله :

« لا يَشْهَدُ لِكُلِّ مُعَيَّنٍ مِنْ أَطْفَالِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ شَهِدَ لَهُمْ مُطْلَقًا ، فَالطِّفْلُ الَّذِي وُلِدَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ يَكُونُ مُنَافِقًا بَيْنَ مُؤْمِنِينَ » . (٢)

وقالَ الإمامُ الصابونيُّ مِنْ قبلِ شيخِ الإسلامِ عن عقيدة السلف وأصحاب الحديث :

« ويعتقدُ ويشهدُ أصحابُ الحديثِ أنَّ عواقبَ العبادِ مُبهمةٌ ، لا يدري أحدٌ بِمَ يُختم لَهُ ، ولا يحكمونَ لواحدٍ بعينهِ أنَّه مِنْ أهلِ الجنَّةِ ، ولا يحكمونَ على أحدٍ بعينهِ أنَّهُ منْ أهلِ النَّارِ ؛ لأنَّ ذلكَ مُغيَّبٌ عنهمْ ، لا يعرفونَ علامَ يموتُ عليهِ الإنسانُ أَعَلَى الإسلامِ أَمْ عَلى الكفرِ ؟ ولذلكَ يقولونَ : إنَّا مؤمنونَ إنْ شاءَ اللهُ ، أيْ منَ

---

(١) « أصول السنة » (ص١١) .

(٢) انظر : « مجموع الفتاوى » (٤/ ٢٨١) .

المؤمنينَ الذينَ يُختمُ لهمْ بخيرٍ إنْ شاءَ اللهُ ﷻ » . (١)

وأطفالُ المسلمينَ ، وكذلكَ المشركينَ - في الراجحِ - وإنْ شُهِدَ لجمْلَتِهِمْ بالجنَّةِ ؛ إلَّا أنَّهُ لا يُعيَّنُ كَمَا قررنَاهُ في غيرِ هذا الموطنِ . (٢)

ولا يقالُ : فلانٌ شهيدٌ على سبيلِ القطعِ بغير دليل مهما كان عملُ العاملِ ، فيقالُ على سبيل الإجمالِ : مَنْ فعلَ كذا فهوَ شهيدٌ ؛... هكذا على سبيلِ الإجمالِ ، أمَّا تعيينُ واحدٍ بعينهِ بأنَّه شهيدٌ بغيرِ دليلٍ فلا يجوزُ .

فالنبيُّ ﷺ يقولُ : « **مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله** » (٣)، ولا يُطَّلَعُ على ذلكَ إلا بالوحيِ إذْ أنَّ ذلكَ يتعلَّقُ بالقلوبِ ولا يعلمُهَا إلَّا مقلبُها اللهُ عزَّ وجلَّ .

فهذا رجلٌ بالغَ في قتلِ المشركينَ ، وشَهدَ لهُ الصحابةُ ثمَّ أنكرَ النبيُّ ﷺ عليهِمْ

---

(١) « عقيدة السلف أصحاب الحديث » للإمام الصابوني (ص٧٠) ، وانظر : « شرح السنة » للبربهاري (٤٨) .

(٢) في كتابي : « جامع أحكام الميت » ، و « مصير موتى الأطفال في الآخرة » .

(٣) **صحيح** . أخرجه البخاري (٢٨١٠) وفي الباب حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِى سَبِيلِ الله - وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِى سَبِيلِهِ - إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ » أخرجه البخاري (٢٨٠٣) .

فقوله : « وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِى سَبِيلِهِ » .

دليلٌ على انفراد الله سبحانه بذلك .

قال المسلمونَ : « مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ » ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ** » ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنَا صَاحِبُهُ . قَالَ : فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ قَالَ : فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله ، قَالَ ﷺ : « **وَمَا ذَاكَ** » ، قَالَ : الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ . فَقُلْتُ : أَنَا لَكُمْ بِهِ ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ ... » الحديث .(١)

وقد مرَّ الصحابةُ على رجلٍ فَقَالُوا : فُلاَنٌ شَهِيدٌ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **كَلاَّ إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ** » ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **يَا ابْنَ الْخَطَّابِ اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ** ... » الحديث .(٢)

فإذا كان لا يصح جزم الصحابة ﷺ لمعينٍ بشهادةٍ بغيرِ دليلٍ ؛ فغيرُهُمْ مِنْ بابِ أولى .

وأصرح من هذا كله حديث عمر ﷺ :

« أَنَّهُ خَطَبَ فَقَالَ : تَقُولُونَ فِي مَغَازِيكُمْ فُلانٌ شَهِيدٌ ، وَمَاتَ فَلانٌ شَهِيدًا وَلَعَلَّهُ قَدْ يَكُونُ قَدْ أَوْقَرَ رَاحِلَتَهُ (٣) ، أَلا لا تَقُولُوا ذَلِكُمْ وَلَكِنْ قُولُوا كَمَا قَالَ رَسُول الله

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري (٢٨٩٢) وبوب له باب : « لا يقول فلان شهيد » .

(٢) **صحيح** . أخرجه مسلم (١١٤) .

(٣) وفي رواية النسائي (٣٣٤٩) : « قد أوقر عجز دابته أو دف راحلته ذهبًا وفضة يبتغي التجارة » .

ﷺ : « **مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ الله أَوْ قُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ** » .(١)

وقد أشار البخاري لهذا الحديث حين ترجم وقال: باب لا يقال فلان شهيد. (٢)

وفي صحيح البخاري عن أم العلاء – امرأة من الأنصار – قالت : « بَايَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ ... لَمَا تُوُفِّيَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ ، فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبْيَاتِنَا ، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ ، دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ فَقُلْتُ رَحْمَةُ الله عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ . فَقَالَ : النَّبِيُّ ﷺ : « **وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَّ قَدْ أَكْرَمَهُ ؟** » ، فَقُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهَّ فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللهُ ؟ فَقَالَ ﷺ : « **أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ، وَالله إِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ ، وَالله مَا أَدْرِى – وَأَنَا رَسُولُ الله – مَا يُفْعَلُ بِي** » ، قَالَتْ : فَوَالله لاَ أُزَكِّى أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا » . (٣)

فإذا كانت هذه الصحابية منعها رسول الله ﷺ من الجزم بتكريم رجل صحابي فاضل داخل فى جملة من رضي الله عنهم ، وقد دعى له رسول الله ﷺ ، فمنعُ غيرِها من الجزم لمن هو دون عثمان بن مظعون رحمه الله من باب أولى ، والله الموفِّق .

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٨) وبعض أصحاب السنن من طريق ابن سيرين سمعه من أبي العجفاء سمعت عمر يقول : ... وذكره وإسناده صحيح رجاله ثقات ، وقد حسنه الحافظ في « الفتح » (٦/ ١١٠) ط دار الحديث ، وذكر الحافظ (٦/ ١١١) له إسنادًا عن أبي ذر ذكره بنحو من معناه، وقال : « في إسناده نظر » ، ثم قال الحافظ : « المراد النهي عن تعيين وصف واحدٍ بعينه بأنه شهيد بل يجوز أن يقال ذلك على طريق الإجمال » .

(٢) عقب حديث (٢٧٤٠) .

(٣) **صحيح** . أخرجه البخاري (١٢٤٣) .

القـرآنُ

قالَ المؤلِّفُ رحمه الله :

« والقرآنُ كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ وَمِنْ لدنْهُ وليسَ بمخلوقٍ فيبيدُ » .

القرآنُ لهُ أسماءٌ :

الفرقانُ ، النبأُ ، النورُ .... وهوَ صفةٌ منْ صفاتهِ عزَّ وجلَّ ، ولو تُكلِّمَ بهِ .

والأدلَّةُ على إثباتِ أنه كلامِ اللهِ تعالى أكثرُ منْ أنْ تُحصرَ .

كماَ قالَ تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ (الفتح:١٥) .

وقالَ : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (النساء:١٦٤) .

لمْ يخلقْهُ فى الشجرةِ كما ادَّعَى أهلُ الباطلِ .

ولذا قالَ المؤلِّفُ :

« مِنْ لدُنْهُ » .

ولوْ كانَ مخلوقاً فإنَّهُ يبيدُ ، وكيفَ يبيدُ وهوَ صفةُ اللهِ ، واللهُ تعالى يقولُ : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الرحمن) .

وبقاءُ اللهِ بقاءُ صفاتِهِ ، فكيفَ يُقَالُ فى صفاتِ اللهِ بما يَلزمُ زوالهَا ؟!

وقدْ قالَ تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ (الأعراف:١٤٣) .

وقال موسى ﷺ لآدمَ عليه السلام : « **يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ : أَنْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلاَمِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ ...** » .(١)

وقالَ النبيُّ ﷺ : « **إِنَّ اللهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِى يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ ، فَيَقُولُ : أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ وَأَىُّ شَىْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِى فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً** » .(٢)

وهذا واضحُ ، اللهُ ﷻ يتكلَّمُ بصوتٍ يسمعهُ مَنْ قَرُبَ كمَا يسمعهُ مَنْ بَعُدَ : « **أنا الملكُ أنا الدَّيانُ** » ، كما بيَّنَّا ذلكَ فى غيرِ هذا الموطنِ ، كلُّ هذه النصوصِ النبوية فيها أنَّ اللهَ يتكلَّمُ .

ومَنْ نفَى أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ أرادَ أن ينفيَ صفةَ الكلامِ عنِ اللهِ أصلاً .

والقرآنُ أعظمُ المعجزاتِ التى أعطاهَا اللهُ لنبيهِ ﷺ إلى قيامِ الساعةِ ، قدْ حفظَهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٩) ، ومسلم (٢٨٢٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٨) .

اللهُ منَ التحريفِ والتبديلِ ، وقالَ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر) .

ويُسْري عليهِ فى ليلةٍ فيُرفع منْ صدورِ النَّاسِ فلا يبقَى فى الأرضِ منهُ آيةٌ .

ففي حديثِ حذيفةَ ﷺ قالَ : « **يدرسُ الإسلامُ كما يدرسُ وشي الثوب حتَّى لا يدرى ما صيامَ ولا صلاةَ ولا نسك ولا صدقة ، ويُسرى بكتاب الله تعالى فى ليلةٍ فلا يبقى منه فى الأرض آية ، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز ويقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة : لا إله إلا الله ، فنحن نقولها** ... » الحديث [(١)] .

وظلَّ المؤلِّفُ المزنيُّ ﷺ على هذا القولِ إلى أنْ ماتِ « **القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ** » .

قالَ الذهبيُّ فى « العلوِّ » :

« قالَ الحاكمُ فى ترجمةِ أبي عوانةَ : سمعتُ يحيى بن منصورٍ القاضيَ يقولُ : سمعتُ أبا عوانةَ ﷺ يقولُ : « دخلتُ على أبي إبراهيم المزنيُّ فى مرضهِ الذى ماتَ فيه فقلتُ لهُ : ما قولُكَ فى القرآنِ ؟ فقالَ : كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ، فقلتُ : هلا قلتَ قبلَ هذا [(٢)] ، قالَ : لمْ يزلْ هذا قولي وكرهتُ الكلامَ فيهِ ؛ لأنَّ الشافعيَّ كانَ ينهى

---

(١) **وهو حديث صحيح** خرجته وأجبت عن الإشكالات التى فى أسانيده فى كتابي « الفوائد النيرة » (١٥٣٦) .

(٢) الظاهر أن المزني ما كان يتكلم فى هذا الموضوع ويجادل ويخاصم كثيراً فيه .

عنِ الكلامِ فيهِ - يعني البحثَ والجدالَ فى ذلكَ » .[١]

أمَّا كَوْنُ القُرْآنِ كَلامَهُ سُبْحَانَهُ .

فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى أيضاً : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (التوبة) .

وَقَدْ بَدَّعَ الأَئِمَّةُ مَنْ تَوَقَّفَ فِى كَوْنِ القُرْآنِ كَلاَمَ اللهِ أَوْ غَيْرَ مَخْلُوقٍ .

قَالَ إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ :[٢]

« القُرْآنُ كَلاَمُ اللهِ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ ، وَلاَ يَضْعُفُ أَنْ يَقُولَ : لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ ، قَالَ: فَإِنَّ كَلاَمَ اللهِ لَيْس بِبَائِنٍ[٣] ، وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ ، وَإِيَّاكَ وَمُنَاظَرَةَ مَنْ

---

(١) « العلو » للذهبي (ص١١٥) .

(٢) فى كتابه « أصول السنة » (ص٨) .

(٣) أَيْ : لَمْ يَخْلُقْهُ فِى غَيْرِهِ ، فَيَكُونُ مُبْتَدَأً مُنَزَّلاً مِنْ ذَلِكَ المَخْلُوقِ ، بَلْ هُوَ مُنَزَّلٌ مِنَ اللهِ ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ : « وَمِنَ اللهِ بَدَأَ » ، لَا مِنْ مَخْلُوقٍ ، فَهُوَ الَّذِى تَكَلَّمَ بِهِ لِخَلْقِهِ ، وَكَأَنَّ الإِمَامَ أَحْمَدَ رَدَّ بِذَلِكَ عَلَى الجَهْمِيَّةِ مِنَ المُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ الَّذِيْنَ يَقُولُونَ : كَلاَمُ اللهِ مَخْلُوقٌ ، خَلَقَهُ فِى غَيْرِهِ ، وَأَنَّهُ كَلَّمَ مُوْسَى بِكَلاَمٍ خَلَقَهُ فِى الهَوَاءِ .

وَاتَّفَقَ سَلَفُ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا عَلَى أَنَّ القُرْآنَ كَلاَمُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ . انْظُرْ : « شَرْحَ العَقِيْدَةِ الأَصْفَهَانِيَّةِ » (ص١٠ وما بعدها) لِشَيْخِ الإِسْلاَمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ .

وَهَذَا مِصْدَاقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (الزمر:١) ، وقوله : ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾ (السجدة:١٣) ، وقال سبحانه : ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (فصلت:٢) ، وقال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ (الشعراء:١٩٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ

أَحْدَثَ فِيْهِ ، وَمَنْ قَالَ بِاللَّفْظ وَغَيْرِهِ ، وَمَنْ وَقَفَ[١] فِيْهِ فَقَالَ : (لَا أَدْرِي مَخْلُوقٌ أَوْ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ) ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلاَمُ الله ، فَهَذَا [٢] صَاحِبُ بِدْعَةٍ مِثْلَ مَنْ قَالَ : (هُوَ مَخْلُوقٍ)، وَإِنَّمَا هُوَ كَلاَمُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ " . اهـ كلام أحمد رحمه الله .

وَقَالَ الذُّهْلِي : [٣]

" مَنْ وَقَفَ فَقَالَ : لَا أَقُولُ : مَخْلُوْقٌ وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ ؛ فَقَدْ ضَاهَى الكُفْرَ " .

أَمَّا مَسْأَلَةُ اللَّفْظِ : فَالَّذِيْنَ أَرَادُوا : أَلْفَاظُنَا بِالقُرْآنِ مَخْلُوقَةٌ ، وَيَعْنُونَ أَنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ ، فَقَدْ صَارُوا كَمَنْ ذَكَرنَا عَنْهُمْ لَا فَرْقَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ مَنْ يَقُولُ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ كَمَا قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ [٤]، وَقَدْ كَفَّرَهُ بَعْضُهُمْ .

وَأَمَّا إِنْ أَرَادُوا أَنَّ القُرْآنَ كَلاَمُ اللهِ ، لَكِنْ أَلْفَاظُنَا بِالقُرْآنِ مَخْلُوقَةٌ .

.....

﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام:١١٤) .

قال شيخ الإسلام فى " الفتاوى " (١٢/ ٢٤٨) : " ولهذا قال السلف : القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، منه بدأ ، قال أحمد وغيره : وإليه يعود ، أي : والمتكلم به ، وقال : كلام الله من الله ليس ببائن منه ، أي : لم يخلقه فى غيره فيكون مُبْتَدأً ، مُنَزَّلاً من ذلك المخلوق ، بل هو مُنَزَّلٌ من الله ، كما أخبر به ، ومن الله بدأ لا من مخلوق ، فهو الذى تكلم به لخلقه " . اهـ

(١) أي يقول : " لفظي بالقرآن مخلوق ، أو يقف ولا يقول لا هذا ولا ذاك " .

(٢) يعني القائل بالوقف واللفظ .

(٣) فيما حكاه عنه الذهبي فى " سير أعلام النبلاء " (١٢/ ٤٥٦) ، وهو من أقران البخاري .

(٤) انظر : " سير أعلام النبلاء " (١١/ ٣٧٦) .

فَلَيْسُوا مِنْ هَؤُلَاءِ ؛ لَكِنْ سَدُّ البَابِ أَوْلَى ، وَلِذَلِكَ أَنْكَرَ الأَئِمَّةُ عَلَيْهِمْ .[1]

تنبيهٌ :

القولُ بخلقِ القرآنِ بدعةٌ عظيمةٌ وشرٌّ مستطيرٌ ؛ لأنَّكَ إذا قلتَ إنَّ الصفةَ مخلوقةٌ فدلَّ على أنَّ الموصوفَ سبحانَهُ مخلوقٌ ، ولهذا شدَّدَ السَّلفُ على مَنْ قالَ بخلقِ القرآنِ ، ويلزمُ منْ ذلكَ نفيُ الصفاتِ .

وقولُ المؤلِّفِ : « **مِنْ لدنْهُ** » أي : أنَّهُ خرَجَ منهُ سبحانَهُ .

لمْ يخلقْهُ ثمَّ يُسمعهُ ويوجدُهُ فى جبريلَ ، أو فِي الشجرةِ يومَ أنْ كلَّمَ موسى عليه السلام .

وفيهِ ردٌّ على أولئكَ الذينَ يقولونَ : كلامٌ خلقهُ فى الشجرةِ وأسمعهُ موسى .

فرحمَ اللهُ رجلاً انتهى إلى ما سمِعَ منَ الوحيِ ولمْ يتعداهُ برأيٍ ، القرآنُ كلامُ اللهِ ليسَ بمخلوقٍ .

وإذا قالَ : « لفظِي بالقرآنِ مخلوقٌ » ، فهذا بدعةٌ .

الصوتُ صوتُ القارئِ والمتلُو كلامُ البارئ .

الصفـاتُ

قال المزنيُّ رحمه الله :

(١) يراجع « مجموع الفتاوى » (٣٦/ ٢١٧ ـ ٢٣٠) .

« [وكلماتُ الله] [1] وقُدْرَةُ الله ونعمتُهُ وصفاتُهُ كاملاتٌ غيرُ مخلوقاتٍ دائماتٌ أزلياتٌ وليستْ بمحدثاتٍ فَتبيدُ ، ولا كانَ ربُّنَا ناقصاً فيزيدُ ، جلَّتْ صفاتُهُ عنْ شَبَهِ صفاتِ المخلوقينَ ، وقصرتْ عنهُ فِطَنُ الواصفينَ ، قريبٌ بالإجابةِ عندَ السؤالِ ، بعيدٌ بالتعَزُّزِ لا يُنَالُ » .

الشرحُ :

فاللهُ تعالى لهُ الكمالُ المطلقُ ، فقدْ قالَ : ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الروم:٢٧) .

وليسَ كمثلِهِ شيءٌ سبحانَهُ ، لهُ الكمالُ المطلقُ .

صفاتُهُ غيرُ مخلوقةٍ ، ولذلكَ هيَ دائمةٌ أبديَّةٌ وليستْ محدثةً .

قالَ تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الرحمن).

وكلُّ هذه العباراتِ تُؤكِّدُ الكمالَ المطلقَ لله تعالى الذى لا شَبَهَ لهُ ، فهوَ سبحانَهُ أوَّلٌ بلا ابتداءٍ ، آخرٌ بلا انتهاءٍ ، لا يفنَى ولا يبيدُ ، ولا يكونُ إلا ما يريدُ سبحانَهُ .

قوله : « **جلَّتْ صفاتُهُ عنْ شبهِ المخلوقينَ** » .

إذْ قدْ قالَ : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ (مريم:٦٥) ، وقال : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ (الإخلاص) ، وقالَ : ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الروم:٢٧) .

---

(١) وليست هذه فى « اجتماع الجيوش الإسلامية » .

قريبٌ سبحانَهُ بالإجابةِ عندَ السؤالِ كما قالَ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة:١٨٦) ، وقالَ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر:٦٠) .

واللهُ سبحانَهُ وتعالى لا يتعزَّزُ بلْ هوَ العزيزُ الذى لهُ العزَّةُ جميعاً ، والعزيزُ هوَ الذى لا يُغلَبُ ، كما قالَ تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الجاثية:٣٧) ، وقال سبحانَهُ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ (فاطر:١٠) .

وقولهُ : « **جلَّتْ صفاتُهُ عنْ شَبَهِ صفاتِ المخلوقينَ** » .

فاللهُ تعالى لا يُوصَفُ إلا بما وَصَفَ بهِ نفسَهُ أو وصفَهُ بهِ رسولُ الله ﷺ ليس له شبيه ولا مثيل .

وقولهُ : « **وقصرتْ عنهُ فِطَنُ الواصفينَ** » .

ذلكَ أنَّ الإنسانَ هوَ الذى يصفُ ربَّه ولا يستطيعُ أنْ يصفَ الشيءَ وصفاً تامًّا إلا إذا رآه أو أدركهُ .

والإنسانُ ما رأى ربَّهُ ولا رأى شبيهاً بهِ ولا مثيلاً لهُ ، فلذلكَ قَصُرَتْ عنهُ فطنُ الواصفينَ .

وأمَّا رؤيةُ الله فى الدنيا فمحلُّ اتفاقٍ أنَّ أحداً ما رآهُ فى الدنيا ، ومنْ زعمَ أنَّهُ رآهُ فقدْ ذكرَ البربهاريُّ فى « شرح السُّنَّة » أنَّهُ كافرٌ ؛ لأنَّ لازمَ قولهِ أنَّه أفضلُ منْ موسى عليه السلام ، وقدْ صُعِقَ لَمَّا تجلَّى ربُّهُ للجبلِ ، ولازمُ قولهِ أنَّهُ أقوى من الجبلِ الذى جُعِلَ دكاً لما تجلَّى العظيمُ سبحانَهُ وتعالى ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ**

يَرَى أَحَدٌ مِنكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ » .[١] وثمَّ أدلة أخرى على ما قلنا .

وقول المزني رحمه الله : « **قريبٌ بالإجابةِ عندَ السؤالِ** » .

كما قالَ تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ (البقرة:١٨٦) .

وقدْ قالَ رسول الله ﷺ لما رفعَ الصحابةُ أصواتَهُم بالتكبير قالَ : « **ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِباً ، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً وَهْوَ مَعَكُمْ** » .[٢]

وقولهُ : « **بعيدٌ بالتعَزُّزِ لا يُنَالُ** » .

يعني : هوَ سبحانَهُ عزيزٌ لا يُغلَبُ ولا يُدْرَكُ ، كما قالَ : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ (الأنعام:١٠٣) .

قالَ الإمامُ المزنيُّ رحمه الله :

« عالٍ على عرشِهِ بائنٌ منْ خلقِهِ موجودٌ وليسَ بمعدومٍ ولا مفقودٍ » .

الشرحُ :

قولهُ : « **عالٍ على عرشِهِ** » .

كما قال سبحانَهُ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ (طه).

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٠٥) ، ومسلم (٢٧٠٤) .

وقالَ تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ (الملك:١٦)، و"فى" بمعنى "على" إذ حروف الجر تتناوب .

وقولهُ : " **موجودٌ وليسَ بمعدومٍ** " .

ردٌّ على قولِ بعضِ أهلِ الضلالِ الذينَ قالوا : " إنَّ اللهَ ليسَ فى داخلِ العالمِ ولا خارجهِ ولا فوقه ولا تحتَهُ ولا .... " . وهذا هوَ المعدومُ المفقودُ حقاً ، فليتنبَّه لهذا .

وفى الحديث : " **يحشرُ اللهُ العبادِ فيناديهِمْ بصوتٍ يسمعُهُ مَنْ قَرُبَ كمَا يسمعُهُ مَنْ بَعُدَ** " ، وهو حديثٌ حسنٌ خرجتُهُ فى غير هذا الموطنِ .

وقدْ سألَ رسولُ الله ﷺ الجاريةَ : " **أينَ اللهُ ؟** " ، فقالت : فى السماء ، فقال رسول الله ﷺ : " **اعتقهَا فإنَّها مؤمنةٌ** " أخرجه مسلم .

والعلوُّ لهُ سبحانَهُ :

علوُّ القَدْرِ :

ومنهُ قولُ تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ (الأنعام:٦٥) .

وعلوُّ الذاتِ :

ومهُ قولهُ تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ (طه) .

وعلوُّ القهرِ :

ومنهُ قولهُ تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ (الأنعام:١٨) .

ومقصدُ المؤلِّفِ أنَّ يردَّ بكلمةِ : « **بائنٌ من خلقهِ** » .

على قولِ مَنْ يقولُ : إنَّ اللهَ فى كلِّ مكانٍ .

الذى مقتضاه أنَّ اللهَ تعالى قدْ حلَّ فى القاذوراتِ !! سبحانه

والعقائدُ الفاسدةُ تنتهي بالإنسان إلى الضلال ، والعياذ بالله .

بدايةُ اللهِ فى كلِّ مكانٍ . انظر كيف انتهى بهمْ إلى تصحيح عبادةِ الأصنامِ ؛ لأنَّ اللهَ حلَّ فيها .

بدايةُ عصمةِ الأئمةِ عندَ الروافضِ انتهتْ بهم إلى أنَّ المهدي فى السردابِ ثمَّ بعدَ ذلك ... انظر كيف انتهت بهم عقيدتهم إلى تعاونهم مع الكفار ضد المسلمين ، كما انتهت عقيدة الخوارج إلى قتل أهل الإسلام وترك أهل الأوثان .. سبحان الله .

أمَّا العقيدةُ الصحيحةُ تنتهي بكَ إلى السُّنَّةِ ولو مرَّتْ قرونٌ .

ومعنى : « **بائنٌ من خلقِهِ** » .

أيْ : لمْ يحلَّ فى الأشياءِ كما يدَّعي الضُلَّالُ الذينَ قالوا مِنَ الجهميَّةِ والصوفيَّةِ إنَّ اللهَ فى كلِّ مكانٍ .

وقدْ قالَ الألبانيُّ رحمه الله : (١)

يتبينُ أنَّ هاتينِ اللفظتين « ذاته » و « بائنٌ » لمْ تكونَا معروفتينَ فى عهدِ الصحابةِ رضي الله عنهم ، ولكن لَّما ابتدعَ الجهمُ وأتباعهُ القولَ بأنَّ اللهَ فى كلِّ مكانٍ اقتضَى ضرورةَ البيانِ

(١) فى « مختصر العلوِّ » (ص١٦) .

أنْ يتلفَّظَ هؤلاءِ الأئمةُ الأعلامُ بلفظِ « بائنٌ » دونَ أنْ ينكرَهُ أحدٌ منهمْ .

ومثلُ هذا تماماً قولهُمْ فى القرآنِ الكريم أَنَّهُ غيرُ مخلوقٍ ، فإنَّ هذهِ لا تعرفها الصحابةُ أيضاً ، وإنَّما كانوا يقولونَ فيهِ : كلامُ الله تباركَ وتعالى ، لا يزيدونَ على ذلكَ ، وكانَ ينبغي الوقوفُ فيهِ عندَ هذا الحدِّ لولاَ قولُ جهمٍ وأشياعهِ منَ المعتزلةِ إنَّه مخلوقٌ .

ولكنْ إذا نطقَ هؤلاءِ بالباطلِ وَجَبَ على أهلِ الحقِّ أنْ ينطقُوا بالحقِّ ولوْ بتعابيرَ وألفاظٍ لمْ تكنْ معروفةً منْ قبلُ .

وإلى هذهِ الحقيقةِ أشارَ الإمامُ أحمدُ ﷺ حينَ سُئِلَ عنِ الواقفةِ الذينَ لا يقولونَ فى القرآنِ إنَّهُ مخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ ، هلِ لهمْ رخصةٌ أنْ يقولَ الرجلُ : « كلامُ الله » ثمَّ يسكتْ ؟ قالَ : « ولمَ يسكتْ ؟ لولا ما وقعَ فيهِ الناسُ كانَ يسَعُهُ السكوتُ ولكنْ حيثُ تكلَّموا فيما تكلَّموا لأيِّ شيءٍ لا يتكلمونَ ؟ ... » . اهـ

وقولهُ : « **ليسَ بمعدومٍ ولا مفقودٍ** » .

ردٌّ على منْ يقولونَ : الله تعالى لا هوَ داخلَ العالمِ ولا خارجهِ ولا فوقَ ولا أسفلَ ولا يمينَ ولا شمالَ ولا أمامَ ولا خلفَ ، وهذا لو قلنا : صِفْ لنَا معدوماً ما استطاعَ أنْ يصفَهُ بأحسنَ منْ ذلكَ .

فنعوذُ باللهِ منَ الضلالِ .

يقول الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ (البقرة:٢٥٥) ، وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ (الزمر:٦٢) ، فأخبر سبحانه بأنه يحيي ويميت ، وأنه أوجد

الخلائق من العدم، إذن فهو موجود وليس بمعدوم ولا مفقود، كما تدَّعي الملاحدة الذين ينكرون وجود الله ﷻ ويؤمنون بالطبيعة ، فمعتقدهم : لا إله والحياة مادة ، وقالوا : إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع ، وهو إنكار لله تعالى .[1]

واعلمْ أنَّ : صفاتِ اللهِ تعالى ذاتيةٌ وفعليةٌ .

الذاتيةُ : مثلُ الوجهِ واليدينِ والعينينِ واليدِ والقدمِ .

والفعليةُ : المتعلقةُ بالفعلِ كالنزولِ والمجيءِ والغضبِ والرضى والاستواءِ على العرشِ على الكيفيَّةِ التى يعلمُ هوَ سبحانَهُ كيفيتَهَا وغيرِ ذلكَ .

الآجـــالُ

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« والخلقُ ميتونَ بآجالِهِمْ عندَ نفاذِ أرزاقِهِمْ وانقطاعِ آثارِهِمْ » .

دليلُ هذا :

قولهُ تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الزمر) .

وقولهُ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الرحمن) .

وقولهُ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأنبياء) ، واللهُ تعالى هوَ الذى قدَّرَ ذلكَ .

---

(١) من شرح الشيخ زيد بن محمد المدخلي رحمه الله فى شرح الكتاب (ص٥٧) .

وقولهُ : « **بآجالِهِمْ** » .

أي : كما فى قولهِ تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف:٣٤) .

فكلُّ إنسانٍ يموتُ فى الأجلِ الذي أَجَّلَهُ اللهُ لهُ لا يتقدَّمُ ولا يتأخرُ ، فإذا جاءَ هذا الأجلُ ينقطعُ رزقُهُمْ الذى قَدَّرَهُ اللهُ لهمْ وينقطعُ أثرُهُمْ ، وانتهتِ الكتابةُ التى تكتبُ عليهمْ ، هكذا ..

وقد قال رسول الله ﷺ : « **إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ** » .(١)

فإذا مات فليس له مما فى الدنيا شيء إلا ما سعى ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (النجم) .

وهذهِ الآجالُ كلُّهَا مقدَّرةٌ قبلَ أنْ يخلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ ، كمَا فى قولهِ ﷺ فى حديثِ عبد اللهِ بن عمرو رضي الله عنهما فى « صحيح مسلمٍ » .

والخلقُ الإنسُ والجنُّ ميتونَ فى آجالهمْ المقدَّرَةِ .

وهذهِ الآجالُ مقدَّرةٌ تقديراً عمُرياً والمرءُ فى بطنِ أمِّهِ ، ثمَّ هيَ مكتوبةٌ قبلَ خلقِ السمواتِ والأرضِ بخمسينَ ألفَ سنةٍ ، كما فى الحديث .

فكتابة أزلية ، وكتابة عمرية ، وكتابة يومية ، لا يخالف شيئاً مما كتب فى اللوح

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣) .

المحفوظ ، وثمَّ أدلة على ذلك .

القـــبر

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« ثمَّ هُمْ بعدَ الضغطةِ فِي القبورِ مساءلُونَ » .

المؤلِّفُ يذكرُ إثباتَ عذابِ القبرِ ، **وهوَ ثابتٌ بأدلَّةٍ منها :**

قولهُ تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ (إبراهيم:٢٧) .

قالَ البراءُ بنُ عازبٍ رضي الله عنه : « نزلت فى عذابِ القبرِ » .(١)

وقالَ تعالى عنِ المعذبينَ بعدَ موتِهِمْ : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (غافر) ، فعرضهم على النار غدواً وعشياً يكون فى الحياة البرزخية .

وقالَ رسولُ الله ﷺ لأمِّ حبيبةَ : « **وَلَوْ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِى النَّارِ وَعَذَابٍ فِى الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْراً لَكِ** » .(٢)

وقدْ مرَّ رسول الله ﷺ بقبرينِ فقالَ عمَّنْ فيهمَا : « **إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِى**

---

(١) كما فى صحيح مسلم (٨٢٧١) .

(٢) **صحيح** . أخرجه مسلم (٢٦٦٣) ، والنسائي فى « الكبرى » (١٠٠٩٤) .

كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِى بِالنَّمِيمَةِ » . (١)

وفى « صحيح البخاريِّ » قولهُ ﷺ : « **عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ** » . (٢)

وفى حديثِ البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنهما سياقُ الحديثِ الطويلِ الذى بيَّنَ فيه ﷺ حالَ الإنسانِ منْ أوَّلِ الاحتضارِ إلى أنْ يستقرَّ فى قبرِهِ إلى أنْ تكونَ الساعةُ ، وهوَ حديثٌ صحيحٌ خرجته فى « **الفوائد النيرة** » (١٦٩) .

وقدْ قالَ اللهُ تعالى أيضاً : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (السجدة) .

العذابُ الأدْنَى هوَ عذابُ القبرِ .

قالَ أبو هريرة رضي الله عنه : « يضيقُ علَى الكافرِ قبرُهُ حتَّى تختلفُ فيهِ أضلاعُهُ وهوَ المعيشةُ الضنكُ » . (٣)

وقدْ قالَ عبدُ الله بنُ مسعودٍ ، وأبو سعيدٍ الخدريُّ رضي الله عنهما فى تفسيرِ قولهِ تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (طه:١٢٤) ، قالا :

« الضنكُ : عذابُ القبرِ » . (٤)

ومثله حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ**

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري (٢١٨) ، ومسلم (١٩٢) .

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري (١٣٧٢) .

(٣) أخرجه عنه الطبري فى « تفسيره » (٢٤٤٢١) وغيره بسندٍ صحيح .

(٤) أخرجه الطبرى فى « تفسيره » (٢٤٤١٧) ، وعبد الرزاق (٦٧٤١) .

بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِى أَعْرَاضِهِمْ » [١] ، وهذا إنما كان فى الدنيا ، أي حال كونهم فى القبور .

وعذابُ القبرِ على الرُّوحِ والبدَنِ بكيفيَّةٍ يعلمُهَا اللهُ سبحانَهُ .

والضغطةُ التى أشارَ إليها المؤلِّفُ بقوله : « **بعدَ الضغطةِ فِي القبورِ ...** » هيِ أنَّ القبرَ يُضَمُّ على مَنْ فيهِ .

ففي « سنن النسائيِّ » وغيرِهِ [٢] ، وهو حديثٌ صحيحٌ أنَّ رسول الله ﷺ قالَ هذا - يعني سعد بن معاذ - الذى تحرَّكَ لهُ عرش الرحمن ، وفتح له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة : « **لقد ضُمَّ ضَمةً ثم فُرِّجَ عنهُ** » .

وفى روايةٍ : أنَّ رسول الله ﷺ قالَ : « **إنَّ للقبرِ ضمةً لو نَجَا منها أحدٌ لنجا منها سعدُ بنُ معاذٍ** » .

وفى حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل : « **ويضيق** - يعني على الفاجر أو الكافر - **حتى تختلف فيه أضلاعه** » .

ثمَّ يسألونَ كما فى حديثِ البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنهما المتقدم الطويل ، وهو مشهورٌ

---

(١) **وهو صحيح** . أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٤) ، وأبو داود (٤٨٧٩) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت » وقد وهم من زعم أنه على شرط مسلم ، فليس كذلك لكنه صحيح .

(٢) أخرجه النسائي (٢٠٥٤) ، وابن سعد فى « طبقاته » (٣/ ٤٢٨) .

وفيه : « ثمَّ يأتيهِ ملكانِ فيسألانهِ فيقولانِ لهُ منْ ربُّكَ وما دينُكَ ومنْ نبيُّكَ » . (١)

فالناسُ كلُّهُمْ يُسألونَ .

وفي حديث عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ : « دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَهْيَ تَقُولُ : هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ ؟ قَالَتْ : فَارْتَاعَ رَسُولُ الله ﷺ وَقَالَ : « **إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ** » ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَلَبِثْنَا لَيَالِيَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟** » ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَسَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ بَعْدُ يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » . (٢)

وعن أسماءَ ﵂ عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قالَ : « وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ - لاَ أَدْرِى أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيُقَالُ : مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوِ الْمُوقِنُ - لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ : هُوَ مُحَمَّدٌ هُوَ رَسُولُ الله جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَأَجَبْنَا وَأَطَعْنَا » . ثَلاَثَ مِرَارٍ...الحديث . (٣)

وكان ﷺ يدعو : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ** » . (٤)

---

(١) وهو مخرَّج صحيح فى كتابي « الفوائد النيرة » (٢٦٩) .

(٢) **صحيح** . أخرجه مسلم (٥٨٤) وغيره .

(٣) **صحيح** . أخرجه البخاري (٨٦) ، ومسلم وغيرهما .

(٤) **صحيح** . أخرجه البخاري (١٣٧٧) ، ومسلم (٥٨٨) .

وعَنْ زَيْد بْنِ ثَابِتٍ قَالَ : « بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ فَقَالَ : « **مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الأَقْبُرِ** » ، فَقَالَ رَجُلٌ : أَنَا ، قَالَ : « **فَمَتَى مَاتَ هَؤُلاَءِ** » ، قَالَ : مَاتُوا فِي الإِشْرَاكِ ، فَقَالَ : « **إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ** » . (١)

والحاصلُ : أنَّ هؤلاءِ العصاةَ والكفَّارَ والفُجَّارَ يعذَّبُونَ عذابًا في القبورِ تسمعُهُ البهائمَ . (٢)

---

(١) **صحيح** . أخرجه مسلم (٢٨٦٧) .

(٢) وينجى من عذاب القبر : الاستعاذة بالله من عذابه ، فللدعاء أثره ، وقد فعله ﷺ .

وكذلك موت المرء مرابطًا في سبيل الله ﷻ .

لحديث سلمان ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِى كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِىَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ » .

أخرجه مسلم (١٩١٣) .

وقد أخرج الترمذي (١٦٢١) ، وأبو داود (٢٥٠٠) ، وأحمد (٦/ ٢٠) ، وسعيد بن منصور (٢٤١٤) بإسنادٍ صحيح عن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ الله فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ » ، وفي رواية : « وَيُؤَمَّنُ مِنْ فَتَّانِ الْقَبْرِ » .

وأخرج نحواً من ألفاظه ابن ماجة (٢٧٦٧) ، وأبو عوانة (٥/ ٩١) بإسنادٍ حسن لطرقه وزاد : « وَيبَعَثُهُ الله آمِناً مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ » ، وصححه القرطبي في « التذكرة» (ص١٥٩) .

وأخرج ابن أبي عاصم في « الجهاد » (٢٩٦) ، وابن الأعرابي في « المعجم » (٢٠٢٣) ، وأبو نعيم

وقد سمعه رسول الله ﷺ وقال : « **فَلَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِى أَسْمَعُ مِنْهُ** » . (١)

.....

في « الحلية » (٥/ ١٥٧) الحديث بلفظ : « كُلُّ عَمَلٍ مُنْقَطِعٌ عَنِ صَاحِبِهِ إِذَا مَاتَ إِلا الْمُرَابِطَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنَّهُ يَنْمِي لَهُ عَمَلُهُ وَيَجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ » ، وفي إسناده مقال لكن معناه في الأحاديث الصحيحة المتقدمة .

* ومن مات شهيدًا وُقِّي عذاب القبر .

وفي « سنن الترمذي » (١٦٦٢) وغيره كثير من حديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ : يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ دَمْ ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ - الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا - وَيُزَوَّجُ بِاثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ » =

= وله إسناد حسن ، وطرقه وشواهده تكلمت عليها في « الفوائد النيرة » .

فاللهم لا تحرمنا من هذا الفضل العظيم وشرفنا به وإن متنا على فرشنا فى غير ضرَّاء مضرة ولا فتنة مضلة ، إنك أنت الأكرم الواسع الكريم .

* ويوقي الرجل من عذاب القبر إذا مات مبطونًا

فقد أخرج ابن أبي شيبة في « مسنده » (٨٦٨) ، والطيالسي (١٣٨٣) ، وأحمد (٢/ ٤٦٢ ، ٥/ ٢٩٢) ، والنسائي في « المجتبى » (٢٠٥١) بإسنادٍ صحيح عن جامع ابن شداد قال : سمعت عبد الله بن يسار يقول : كنتُ جالسًا عند سليمان بن صرَد وخالدِ بنِ عُرْفُطةَ ، فذكرا : أنَّ رجلاً مات ببطنه ، فإذا هما يشتهيان أن يشْهَدا جنازَتَه ، فقال أحدُهما للآخر : ألم يَقُلْ رسولُ الله ﷺ : « مَن يَقْتُلْه بَطْنُهُ لم يعذَّب في قَبره » .

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧) .

وقال ﷺ عن اليهود : « **إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَاباً تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا** » . (١)

وصحَّ في تفسيرِ قولهِ تعالى : ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٠٠) قولُ مجاهدٍ : « هُوَ ما بينَ الموتِ والبعثِ » . (٢)

وقيلَ للشعبيِّ : ماتَ فلانٌ ، قالَ : ليسَ هوَ في الدنيا ولا في الآخرةِ ، هوَ في [illegible] (٣)

والميتُ يُعْرَضُ عليهِ مقعدُهُ بالغداةِ والعشيِّ من الجنَّةِ أو النَّارِ ، كما تقدم .

عَنْ عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « **إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » . (٤)

والميتُ يعذَّبُ ببكاءِ أهلهِ عليهِ إذَا كانَ النواحُ مِنْ سُنَّتِهِ أو أوصَى بهِ ، أو إذا عَلِمَ أَنَّهُمْ يفعلونَهُ مَعَ معرفتِهِ بحرمتهِ ولمْ يوصِهِمْ بِتَركِهِ .

ففي حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ : « أُغْمِيَ عَلَى عَبْدِ الله بْنِ رَوَاحَةَ ،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٦٦) ، ومسلم (٥٨٦) .

(٢) أخرجه عنه هناد في « الزهد » (٣١٤) ، والطبري في « تفسيره » (٢٥٦٨٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٩١) بإسنادٍ جيد .

(٣) أخرجه هناد في « الزهد » (١٥) بإسنادٍ حسن .

(٤) **صحيح** . أخرجه البخاري (١٣٧٩) ، ومسلم (٢٨٦٦) .

فَجَعَلَتْ أُخْتُهُ عَمْرَةُ تَبْكِي وَاجَبَلاَهْ وَاكَذَا وَاكَذَا ، تُعَدِّدُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : حِينَ أَفَاقَ مَا قُلْتِ شَيْئًا إِلاَّ قِيلَ لِي : أَأَنْتَ كَذَلِكَ ؟ فَلَمَّا مَاتَ لَمْ تَبْكِ عَلَيْهِ » . (١)

وهلْ يعذَّبُ المرءُ بالنَّارِ فى قبرِهِ ؟

الجوابُ :

الذى وردَ انَّ المرءَ يرىَ مقعدَهُ منَ الجنَّةِ إذا كانَ من أهلِ النَّارِ ويُقالُ لهُ : هذا مكانُكَ لو أطعتَ اللهَ ، ويرىَ مقعدَهُ منَ النَّارِ إذا كانَ منْ أهلِ الجنَّةِ ويُقالُ لهُ : هذَا مقعدُكَ لو عصيتَ اللهَ .

وفى شأنِ قومِ فرعونَ معَ أنَّهُمْ يعذَّبُونَ أشدَّ العذابِ .

قالَ سبحانَهُ : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (غافر) .

فهناك عرضٌ وهناكَ إدخالٌ يكونُ الإدخالُ فى الآخرةِ .

وحديثُ : « القبر روضةٌ من رياضِ الجنَّةِ أو حفرةٌ منْ حُفَرِ النَّارِ » :

حديثٌ فى إسنادهِ نظرٌ ، وقد يتعلق بتضعيفه من يزعمَ أنَّ لا عذابَ بالنَّارِ فى القبرِ .

وفى قولهِ تعالى : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (السجدة) .

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري (٤٢٦٧) .

التعذيبُ فقطْ ليسَ فيهِ أنَّهُمْ يُعذبونَ بالنَّارِ .

ولكنْ حديثُ البراء وأبي سعيدالخدريِّ رضي الله عنهما مرفوعاً فيه : « **فيفتحُ لَهُ بابٌ منَ النَّارِ** » ، وهو صحيحٌ لشواهدِهِ كما قلتُ فى « الفوائد النيرة » (٣٢٠) دليلٌ قويٌّ على تعذيبهمْ بالنَّارِ فى قبورهم .

وقدْ رأى النبيُّ ﷺ قوماً يُعذَّبونَ .

ففي حديثِ الرؤيةِ لما انطلقَ النبيُّ ﷺ وجبريلُ عليه السلام قال ﷺ : « **فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ ، أَعْلاَهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ ، يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَاراً ، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا ، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا** » .[١]

قال الحافظ رحمه الله :

« فى هذا الحديث من الفوائد أن بعض العصاةِ يُعذَّبونَ فى البرزخِ » .[٢]

ففي الحديث لما ذكر التنور قال ﷺ : « **وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ** » ، ففيه دليل على المراد ، أن التعذيب فى القبر بالنار ، والله الموفِّق .

النشــورُ والحســابُ

قال المزنيُّ رحمه الله :

« **وبعدَ البِلَى منشورونَ ويومَ القيامةِ إلى ربِّهِمْ محشورونَ ولدى العرضِ عليهِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه .

(٢) فى « الفتح » (١٢/ ٤٤٥) .

مُحاسبونَ » .

هذه الدنيا ستنقضِي وسيموتُ الجميعُ كما قالَ تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الرحمن) .

ونهايتُها تكونُ بنفخِ المَلَكِ فى البوقِ ، ينفخُ فيهِ الأولى يُصْعَقُ منْ فى السمواتِ ومنْ فى الأرضِ إلا منْ شاءَ اللهُ .

ثمَّ الثانيةُ فإذا همْ قيامٌ منَ الأجداثِ إلى ربِّهم ينسلونَ ، يبعثُهُمُ اللهُ للحسابِ .

كمَا قالَ تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الزمر) .

وفى صحيح مسلم (٢٩٤٠) قولهُ ﷺ : « **فَلاَ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَصْغَى لِيتاً وَرَفَعَ لِيتاً ، قالَ : يُنْزِلُ اللهُ – مَطَراً فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ، ثُمَّ يُقَالُ : أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ ، فَيُقَالُ : مِنْ كَمْ ؟ فَيُقَالُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ ، قَالَ : فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً** » .

وبينَ النفختينِ أربعونَ ، كما قالَ ﷺ .

ثمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السماءِ ماءً فينبتونَ كما ينبتُ البقلُ .[1]

وقدْ قالَ رسولُ الله ﷺ كما فى حديثِ أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه عنْ رسول الله ﷺ

---

(١) انظر : « الفوائد النيرة » (٣٩٣) .

قالَ : « **كيفَ أنعمُ وصاحبُ الصُّورِ قدِ التقمَ القرنَ واستمعَ الإذنَ متى يؤمرُ بالنفخِ ؟** » ، فكأنَّ ذلكَ ثَقُلَ على أصحابِ النبيِّ ﷺ فقالَ لهمْ : « **قولوا : حسبُنَا اللهُ ونعمَ الوَكيلُ** »، وهو حديثٌ حسنٌ لطرقِهِ وشواهِدِهِ التى بينتُها فى« الفوائدِ النيرة» برقم (٤١٣) .

قولهُ : « **وبعدَ البِلَى** » .

أي : عندَ فناءِ الأجسادِ كلُّ الإنسانِ يبلَى جسدُهُ حتى يصير رفاتاً وتراباً ، إلا عظماً فى أسفلِ الظَّهرِ يُرَكَّبُ الخلقُ منهُ يومَ القيامةِ .

ففى صحيح البخاريِّ ومسلمٍ منْ حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه عنْ رسولِ الله ﷺ : « **لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلاَّ يَبْلَى إِلاَّ عَظْماً وَاحِداً وَهْوَ عَجْبُ الذَّنَبِ ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » .(١)

قولهُ : « **منشورونَ** » .

سُمِّيَ النشورُ ؛ لأنَّ الكتبَ تُنشرُ يومَ القيامةِ ، كمَا قالَ تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ (الإسراء) .

وسُمِّيَ يومَ النُّشورِ ؛ لأنَّ الناسَ تحيا وتخرجُ منْ قبورِهَا للبعثِ يومَ القيامةِ وتنشرُ ، فاللهمَّ هوّنْ علينَا يا كريمُ ، وسلِّمْ سلِّمْ واجعلنَا وأحبابَنَا لا نحزنُ عندَ الفزعِ الأكبرِ وأظللْنَا فى ظلِّ عرشِكَ يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّكَ .

ولذلكَ قالَ المؤلِّفُ : « **منشورونَ يومَ القيَامةِ** » .

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري (٤٩٣٥) ، ومسلم (٢٩٥٥) .

قولُ حذيفةَ ﷺ : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ : « **بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا** » ، وَإِذَا قَامَ قَالَ : « **الْحَمْدُ لله الَّذِى أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** » . (١)

وقولهُ : « **إلى ربِّهِمْ محشورونَ** » .

كما قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً** - ثُمَّ قَرَأَ - ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ » الحديث . (٢)

وعند ابن أبي شيبة (٣) وغيره بسندٍ حسن عن معاوية بن حيدة مرفوعاً : « **إنكم محشورون رجالاً وركباناً وتُجرون على وجوهكم** » .

هو كقولهِ تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ (مريم) .

وقوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ (الإسراء) .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (الانشقاق) .

فهذَا دليلٌ لقولِ المؤلِّفِ : « **وَلَدَى العرضِ مُحاسبونَ** » .

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري (٦٣١٢) ، ومسلم (٢٧١١) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٩) .

(٣) (١٣/ ٥٠) .

وفى « صحيح البخاريِّ » عنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ : قالَ رسول الله ﷺ : « **لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ هَلَكَ** » ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ؛ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ ﴾ ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ** » . (١)

وقولُ المؤلِّفِ : « **بعدَ البِلَى** »

كلُّ الناسِ تبلَى أجسادُهُمْ جميعاً إلا الأنبياء .

لقولِهِ ﷺ : « **إِنَّ اللهَ حرَّمَ على الأرضِ أنْ تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ** » . (٢)

وبعضُ الصالحينَ يتأخرُ تآكلُ أجسادِهِمْ ، كمَا حصلَ لعبدِ اللهِ بنِ حرامٍ الأنصاريِّ والد جابر رضي الله عنهما .

فقدْ قالَ جابرٌ رضي الله عنه : « وَدُفِنَ مَعَهُ آخَرُ فِى قَبْرٍ ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِى أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الآخَرِ فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ هُنَيَّةً غَيْرَ أُذُنِهِ » . (٣)

وقدْ قيلَ : إنَّ الأنبياءَ أحياءٌ فى قبورِهِمْ ، وقدْ ثبتَ الخبرُ فى ذلكَ ، لكنَّ حياتَهُمْ لا كالحياةِ التى نعرفُها ، فراجع كتابنَا « **لمع الأدلةِ** » فأغناني ما كتبته هناك عن

---

(١) **صحيح**. أخرجه البخاري (٤٩٤٩) ، ومسلم (٢٨٧٦) .

(٢) وهو حديث صحيح خرجته فى « الفوائد النيرة » برقم (٣٨٧) .

(٣) وقد أخرجه البخاري (١٣٥١) .

إعادته هنا .

فالحشرُ يومَ القيامةِ حقٌّ .

لا يصحُّ إيمانُ العبدِ إلا بهِ (باعتقادِهِ) ؛ إذ هو ضمن الإيمان باليوم الآخر فى حديث جبريل عليه السلام الطويل ، فإذا شكَّ فى قدرةِ الله على حشرِ النَّاسِ يومَ القيامةِ فهوَ كافرٌ اتفاقاً ؛ لأنَه مكذِّبٌ للنَّصِ ، إلا إذا كانَ جاهلاً زاهلاً كما فى حال الذى قالَ : « إذا أنَا متُّ فأحرقونِي فوالله لئنْ قَدَرَ اللهُ عليَّ ليُعذبنِّي عذاباً ما عذَّبَهُ أحداً منْ خلقِهِ » ، وهو صحيح خرجته فى غير هذا الموطن .

المـــيزانُ

قال المزنيُّ رحمه الله :

« بِحَضْرَةِ الموازينِ ونشرِ صُحُفِ الدَّواوِينِ » .

هذا إثباتُ الميزانِ ، وهو ثابتٌ على منهجِ أهلِ السُّنَّةِ .

وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ المِيْزَانَ مِيْزَانٌ حَقِيقِيٌّ لَهُ كِفَّتَانِ تُوزنُ فيهِ أعْمَالُ بَنِي آدَم وَأَبْدَانـهُم وَصَحائفُهُمْ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأنبياء) .

وَالأَعْمَالُ تـوزَنُ .

تُجَسَّدُ الأَعْمَالُ وَتُوْزَنُ ، وَالرَّأْيُ الَّذِى يَقُولُ بِغَيْرِ هَذَا رَأْيٌ فَاسِدٌ مُصَادِمٌ

لِلدَلِيْلِ.

دَلِيلُ ذَلِكَ :

قَوْلُهُ ﷺ : « **إسباغُ الوضوءِ شطرُ الإيمانِ ، والحمدُ لله ملءُ الميزانِ ، والتسبيحُ والتكبيرُ ملءُ السماءِ والأرضِ ، والصلاةُ نورٌ ، والزكاةُ بُرهانٌ ، والصبرُ ضياءٌ ، والقرآنُ حجةٌ لكَ أو عليكَ ، كلُ الناسِ يغدوُا فبائعٌ نفسَه فمُعتِقُها أو مُوبِقُها** ». (١)

فَقَوْلُهُ ﷺ : « **وَالْحَمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيْزَانَ** » دَلِيْلٌ عَلَى أَنَّ الأَعْمَالَ تُوْزَنُ .

وَفِى الصَّحِيْح قَوْلُهُ ﷺ : « **كَلِمَتَانِ حَبِيْبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيْفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيْلَتَانِ فِى الْمِيْزَانِ ، سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ الله العَظِيْمِ** » . (٢)

فَهَذِهِ الأَحَادِيْثُ ظَاهِرَةٌ فِى أَنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُوْزَنُ ، وَأَنَّهُ مِيْزَانٌ عَامٌّ لِجَمِيْعِهِمْ .

وَقَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ : يُخَصُّ الْمُؤْمِنُ الَّذِى لَا سَيِّئَةَ لَهُ ، وَلَهُ حَسَنَاتٌ كَثِيْرَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى مَحْضِ الإِيْمَانِ ، فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، كَمَا جَاءَ فِى حَدِيْثِ السَّبْعِيْنَ أَلْفاً ، وَيُخَصُّ مِنْهُ الكَافِرُ الَّذِى لَا حَسَنَةَ لَهُ وَلَا ذَنْبَ لَهُ غَيْرُ الكُفْرِ ، فَإِنَّهُ يَقَعُ فِى النَّارِ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا مِيْزَانٍ .

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٢٨٠) وغيره بإسنادٍ صحيح موصول ، وهو الوجه الذى رجحه الحافظ على وجه رواية مسلم (٢٢٣) المنقطعة السند ، والتى صححها النووي فى« تهذيب الأسماء» =
= (١/ ١١٩٠) ، والصواب اللفظ المذكور عالياً سنده ومتنه ، فراجع « جامع العلوم والحكم » (ص٣٧٥) وغيره .

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري (٧٥٦٣) .

وَقَالَ القُرْطُبِيُّ عَنْ بَعْضِ العُلَمَاءِ :

« الكَافِرُ مُطْلَقاً لَا ثَوَابَ لَهُ ، وَلَا تُوْضَعُ حَسَنَتُهُ فِي المِيْزَانِ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ (الكهف:١٠٥) ، وَلِحَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ فِي « الصَّحِيْحِ »: « إِنَّهُ لَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ العَظِيْمِ السَّمِيْنِ يَوْمَ القِيَامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ »، قَالَ ﷺ بَعْدَهَا : « وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ »، وَسَيَأْتِي الحَدِيْثُ . (١)

بِدَلِيْلِ حَدِيْثِ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكاً مِنَ الأَرَاكِ ، وَكَانَ دَقِيْقَ السَّاقَيْنِ ، فَجَعَلَتِ الرِّيْحُ تَكْفَأُهُ فَضَحِكَ القَوْمُ مِنْهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟** » قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ؛ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ ، فَقَالَ : « **وَالَّذِي نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي المِيْزَانِ مِنْ أُحُدٍ** » . (٢)

وَقَالَ ﷺ : « **إِنَّهُ لَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ العَظِيْمِ السَّمِيْنِ يَوْمَ القِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، اقْرَءُوا ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾** (الكهف : ١٠٥) » . (٣)

---

(١) حكاه عنه الصنعاني فى « سبل السلام » (٤/ ٣٠٢) وانظر اعتراضاً على هذا هناك ، حاصله : =

= أن الراجح أن الكافر يوضع الكفر فى كفة ولا يوجد حسنة فى الكفة الأخرى ؛ لأن الله وصف الميزان بالخفة ، أو أن أعمال البر التى عملها تطيش أمام الكفر الذى فى الكفة الأخرى فيرجَّح الكفر إذن .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠) بإسنادٍ حسن ، وله شواهد أخرى تُرقِّيه للصحة ، والله أعلم .

(٣) **صحيح** . أخرجه البخاري (٤٧٢٩) ، ومسلم (٢٧٨٥) .

وأخرجَ أحمدُ ﷺ فى « الزهد » (ص١٤٩) بإسنادٍ حسنٍ لطرقهِ عنْ عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ قالَ : « حاسبُوا أنفسَكُمْ قَبلَ أنْ تُحاسَبُوا وزنُوا أنفسكُمْ قبلَ أن توزَنُوا » ، فدلَّ على أنَّ الأبدانَ توزنُ .

وَالصَّحَائفُ أيضاً تُوزَنُ وَهَذا مُمْكِنٌ وَلَيْسَ بِمُسْتَغْرَبٍ :

دَلِيْلُ ذَلِكَ :

مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ﷺ فِى ذِكْرِ وَصيَّةِ نبيِّ الله نُوْحٍ:

بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ ؛ آمُرُكَ بِـ « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ » فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِى كِفَّةٍ ، وَوُضِعَتْ « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ » فِى كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ » ... الحَدِيْثَ » . (١)

فَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَعَامِرَهُنَّ من الخلق وُضِعَتْ فِى كَفَّةٍ وَوُضِعَتْ « **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ** » فِى كفَّةٍ لَمَالَتْ بِهِنَّ « **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ** » وَرَجَحَتْ . (٢)

---

(١) **صحيح** . أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٥) وله طرق كثيرة سقتها فى كتابي « فقه الوصية » وهو مطبوع والحمد لله .

(٢) كما فى حديث أبي سعيد الخدري ﷺ : قول الله تعالى : « لو أن السموات السبع وعامرهن غيري ، والأرضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة مالت بهن لا إله إلا الله » . أخرجه النسائي فى « الكبرى » (١٠٦٠٢) ولا يصح على شهرته فى كتب بعض أهل السُّنَّة فنبهت .

والشاهد موجود فى الذى قبله والذى بعده .

وَفِي حَدِيْث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَيْضًا قَالَ : قَالَ رَسُولِ اللهِ ﷺ : « **إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوْسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِيْنَ سِجِلاً ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً ؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لاَ يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ : لاَ يَا رَبِ ، فَيَقُولُ : بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ، فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ ، فَتَخْرُج بِطَاقَة فِيْهَا: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنك، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ ، فَقَالَ : إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ ، قَالَ : فَتُوْضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ ، فَلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ** »[1] .

وَمَنْ خَالَفَ فِي إِثْبَاتِ الإِيمَانِ بِالمِيزَانِ .

فَالإِعْرَاضُ عَنْهُ وَتَرْكُ مُجَادلَتِهِ ، كَمَا قَالَ إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رحمه الله[2] ؛

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) ، وابن ماجة (٤٣٠٠) ، وأحمد (٢/ ٢١٣) وغيرهما بإسنادٍ قوي ثابت ، وقد جوَّدت إسناده في تحقيقي لـ « التذكرة » في « الفوائد النيرة » (٧١٦) .

وإن قيل : فهذا نفعه قوله بالشهادة ولم يعمل عملاً .

فالجواب بأمرين :

الأول : أنه ليس فيه أنه لم يعمل خيراً من مستلزمات الشهادتين .

الثاني : أنه قد يكون حالة خاصة بهذا الرجل ، كما خص غلام الخضر بالنار من بين الأطفال المسلمين الذين وقع الإجماع أنهم في الجنة .

(٢) في كتابه « أصول السنة » .

لِأَنَّهُ يُعَانِدُ وَيُخَاصِمُ فِي مُعَارَضَةِ الأَحَادِيْثِ بِالرَّأْيِ ، فَنَعُوذُ بالله مِنْ ذَلِكَ .

وأَفْضَلُ مَا يُثَقَّلُ بِهِ المِيزَان ـ إضافةً إلى مَا وردَ منْ أَذْكارٍ ـ حُسْنُ الخُلُقِ .

لِقَوْلِهِ ﷺ : « **مَا مِنْ شَيْءٍ يُوْضَعُ فِي المِيْزَانِ أَثْقَل مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ** » . (١)

وقول المزني رحمه الله : « **ونشرُ صحفِ الدواوينِ** » .

فالدواوينُ عندَ الله ثلاثةٌ :

ديوانُ الشِّركِ ، وديوانُ ظلمِ الإنسانِ لنفسهِ ، وديوانُ ظلمِ العبدِ لغيرهِ منَ الخلقِ .

إلا أنَّ الحديثَ الذى يُثْبِتُ أنَّ الدواوينَ ثلاثةٌ فيهِ نظرٌ .

فقدْ أخرجهُ أحمدُ (٢) عنْ عائشةَ رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **الدَّوَاوِينُ عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ ثَلاَثَةٌ : دِيوَانٌ لاَ يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئاً ، وَدِيوَانٌ لاَ يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئاً ، وَدِيوَانٌ لاَ يَغْفِرُهُ اللهُ ، فَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِى لاَ يَغْفِرُهُ اللهُ : فَالشِّرْكُ بِالله ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ ، وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِى لاَ يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئاً : فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ مِنْ صَوْمِ يَوْمٍ تَرَكَهُ أَوْ صَلاَةٍ تَرَكَهَا فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجَاوَزُ إِنْ شَاءَ ، وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِى لاَ يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئاً: فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً الْقِصَاصُ لاَ مَحَالَةَ** » .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٢) وغيره بإسنادٍ جيد .

(٢) فى « مسنده » (٦/ ٢٤٠) .

إلَّا أنَّهُ حديثٌ ضعيفٌ ، وقدْ انفردَ بهِ صدقةُ بنُ موسى الدقيقيُّ ، وجمهورُ العلماءِ على ضعفهِ ، وفى السَّندِ أشياءُ أخرى تجعلُ الحديثَ منكراً .

وقدْ أخرجَ معمرٌ فى « الجامع » (١١/ ١٨٣) عنْ قتادةَ والحسنِ ، قالاَ: « الظلمُ ثلاثةٌ : ظلمٌ لا يُغْفَرُ فالشِّركُ بالله ، وأمَّا الظُّلمُ الذى لا يُتْرَكُ فظلمُ الناسِ بعضهم بعضاً ، وأمَّا الظُّلمُ الذى يُغْفَرُ فظلمُ العبدِ نفسَهَ فيما بينَهُ وبينَ ربِّهِ» .

وهذا إسنادٌ رجالهُ ثقاتٌ ، لكنْ مقطوع وليسَ فيهِ ذكرٌ للدواوينِ ، واللهُ أعلمُ .

قول المزني رحمه الله :

« أحصاهُ اللهُ ونَسُوهُ فِي يومٍ كانَ مقدارُهُ خمسينَ ألفَ سنةٍ » .

هذا كما قالَ تعالى : ﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ (المجادلة:٦) .

وكَما قالَ سبحانَهُ : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ ﴾ (المعارج) .

هذه أدلة فيها وصف يوم النشور والحساب .

قالَ المؤلِّفُ :

« لو كانَ غيرُ اللهِ هُوَ الحاكمُ بينَ خلقِهِ لكنَّهُ اللهُ يَلِي الحُكْمَ بينَهُمْ بعدلِهِ » .

هذا مِنْ أخطرِ ما يكونُ أنَّ الحاكمَ عليكَ الذى يقضِي فيكَ هُوَ الذى رآكَ على المعصيةِ ، فلا تستطيعُ الكذبَ ولا التمويهَ ولا التعريضَ ، وحينما ينكرُ يجعلُ اللهُ

تعالى أعضاءَهُ هيَ التى تشهدُ عليهِ ، وهذا مِنْ أخطرِ ما يكونُ فسلِّمِ اللهم سلِّمْ وحاسِبْنَا حساباً يسيراً .

قالَ تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (فصلت) .

وقدْ أخرجَ الإمامُ مسلمٌ (١) عنْ أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قالَ : « كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ : « **هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ ؟** » ، قَالَ : قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : « **مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ : يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِى مِنَ الظُّلْمِ ، قَالَ : يَقُولُ : بَلَى ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَإِنِّى لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِى إِلاَّ شَاهِداً مِنِّى ، قَالَ : فَيَقُولُ : كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيداً وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُوداً – قَالَ – فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ انْطِقِى ، قَالَ : فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ – قَالَ – ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ – قَالَ – فَيَقُولُ : بُعْداً لَكُنَّ وَسُحْقاً ، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ** » . (٢)

---

(١) برقم (٢٩٦٩) .

(٢) وإن كان أبو الفضل بن عمار الشهيد ، حديث رقم (٣٤) أشار إلى إعلاله .

لكن أبا زرعة صحح الطريق التى اختارها مسلم من رواية فضيل بن عمرو الفقيمي عن الشعبي ، عن أنس ، حكاه عنه ابن أبي حاتم فى « العلل » (٢١٦٨) لولا أن أبا الفضل ابن الشهيد أشار إلى قلة رواية الشعبي عن أنس ، فقال : « الشعبي عن أنس يسير » لكنها ليست بصريحة فى الجزم بأن الشعبي لم يسمع من أنس أو لم يضبط روايته عنه، وفى صحيح البخاري

وأخرجَ الطبريُّ بسندٍ حسنٍ عنْ بهزِ بنِ حكيمٍ عنْ أبيهِ عنْ جدِّهِ ﷺ قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « **مالي أُمسكُ بحجزَكُمْ منَ النَّارِ ؟ ألا إنَّ ربِّي داعيني ، وإنَّهُ سائلي هلْ بلغتُ عبادَه ؟ وإنِّي قائلٌ : قدْ بلغتُهُمْ ، فيبلِّغُ شاهدُكُمْ غائبَكُمْ ، ثمَّ إنكُمْ مدَّعُونَ مفدَّمةً أفواهُكُمْ بالفدامِ ، ثمَّ إنَّ أوَّلَ ما يُبيَّن عنْ أحدِكُمْ لفخذُهُ وكفُّهُ** » .

والمقصودُ : أنَّ اللهَ تعالى الذى يراكَ ويعلمُ ما فى قلبَكَ هوَ الذى يحاسبُكَ وهوَ الذي يقضي فيكَ ويحكمُ عليكَ .

ومَنْ أبَى أنْ يعترفَ فإنَّ قدرةَ اللهِ غالبةٌ يختمُ على فيهِ فتنطقُ جوارحُهُ .

فاللهمَّ استُر علينَا فى الدنيا والآخرةِ واعفُ عنَّا يا كريمُ .

وفى روايةٍ عَنْ بهزِ بنِ حكيمٍ عنْ أبيهِ عنْ جدِّه ﷺ أنَّ النبيِّ ﷺ أشارَ بيدهِ إلى الشَّام فقالَ : « **هاهُنَا إلى هاهُنَا تحشرونَ ركباناً ومشاةً وتجرُّونَ على وجوهِكُمْ يومَ القيامةِ ، أفواهكُمُ الفدامُ ، توفونَ سبعينَ أمةٍ أنتمْ خيرُخُمْ على اللهِ وأكرمُهُمْ على اللهِ وإنَ أوَّلَ ما يُعربُ** [1] **عنْ أحدِكمْ فخذُهُ وكفُّهُ** » .

والفِدامُ : ما يُوضَعُ فى فمِّ الإبريقِ .

والفدمُ : شيءٌ تشدُّهُ العَجَمُ على أفواهِهَا عندَ السقيِ .

وقولُ المزنيُّ رحمه الله :

روايته عن علي ، فكيف بأنس الذى تأخرت وفاته ، والله أعلم .

(١) وراجع تخريجه فى كتابي « الفوائد النيرة » (٦٥٠) .

« فاللهُ يلي الحكمَ بينَهُمْ بعدلِهِ بمقدارِ القائلةِ فى الدنيا وهوَ أسرعُ الحاسبينَ كما بدأَهُمْ منْ شقاوةٍ وسعادةٍ » .

قدْ قالَ سبحانَهُ وتعالى : ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الأنعام) .

لكنْ كون هذه السرعةِ تعني أنْ يكونَ مقدارُ وقتِ الحسابِ بمقدارِ القائلةِ فى الدنيا فمما لا أعلمُ لهُ دليلاً صريحاً .

والقيلولة : هي الجلوسُ للراحةِ وقتَ الظهيرةِ .

لكنَّ اللهَ تعالى هوَ أسرعُ منْ حسبَ عددَ الناسِ وأعمالَهُمْ وآجالَهُمْ وغيرَ ذلكَ منْ أمورِكُمْ - أيها الناس - وأحصاها وعرفَ مقاديرَها ومبالغها ؛ لأنَّهُ لا يحسبُ بعقدِ يدٍ ، ولكنَّهُ يعلمُ ذلكَ ، ولا يخفَى عليهِ منهمْ خافيةٌ .

كما قال : ﴿ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ (سبأ:٣) .

فاللهُ تعالى قدَّرَ أحوالَ الناسِ ففي نهايةِ أحوالِهِمْ يكونونَ فريقًا فى الجنَّةِ وفريقاً فى السعيرِ لا يتخلَّفُ أحدٌ منهمْ عمَّا قدَّرهُ اللهُ تعالى .

وقدْ وردتْ أدلةٌ فى تحديد وقتِ الحسابِ .

قالَ تعالى : ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾ ﴾ (المعارج) .

نقل القرطبيُّ فى « تفسير سورة المعارج »[١] عنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما : « أنَّ هذا يومُ القيامة جعلَهُ اللهُ على الكافرينَ خمسينَ ألفَ سنةٍ ، ثمَّ يدخلونَ النَّارَ للاستقرار .[٢]

واستدلَّ النحاسُ على صحَّةِ هذا القولِ بما أخرجه مسلمٌ فى « صحيحه » (٩٨٧) عنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ قالَ : « **مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِىَ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ** » ، قِيلَ : يَا رَسُولَ الله ، فَالإِبِلُ ؟ قَالَ : « **وَلاَ صَاحِبُ إِبِلٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلاً وَاحِداً تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ** » ، قِيلَ : يَا رَسُولَ الله ؛ فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ ؟ قَالَ : « **وَلاَ صَاحِبُ بَقَرٍ وَلاَ غَنَمٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئاً لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ وَلاَ جَلْحَاءُ وَلاَ عَضْبَاءُ تَنْطِحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلاَفِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**

---

(١) (١٨/ ٢٧١) .

(٢) ولفظه عند ابن جرير الطبري (١٨/ ٨٥٦) بسنده ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : « مقدار الحساب يوم القيامة ألف سنة » وفى إسناده ابن حميد وهو ضعيف .

حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ » ، قِيلَ : يَا رَسُولَ الله ؛ فَالْخَيْلُ ؟ قَالَ : « الْخَيْلُ ثَلاَثَةٌ هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْراً وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الإِسْلاَمِ فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ الله ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ الله فِي ظُهُورِهَا وَلاَ رِقَابِهَا فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ الله لأَهْلِ الإِسْلاَمِ فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ كُتِبَ لَهُ عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ وَكُتِبَ لَهُ عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا حَسَنَاتٌ وَلاَ تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفاً أَوْ شَرَفَيْنِ إِلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ وَلاَ مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلاَ يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا إِلاَ كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ مَا شَرِبَتْ حَسَنَاتٍ » ، قِيلَ : يَا رَسُولَ الله ؛ فَالْحُمُرُ ؟ قَالَ : « **مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِي الْحُمُرِ شَيْءٌ إِلاَّ هَذِهِ الآيَةُ الْفَاذَّةُ الْجَامِعَةُ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾** » .

قالَ : فهذا يدلُّ على أنَّهُ يومَ القيامةِ .

وأخرجَ ابن عبيدٍ فى « فضائل القرآن » (١) ، والطبري فى « مسنده » (٢) بإسنادٍ صحيحٍ عنِ ابنِ أبي مُليكةً قالَ : « سألَ رجلٌ ابنَ عباسٍ عنْ يومٍ كانَ مقدارُهُ ألفَ سنةٍ ، فقالَ ابنُ عباسٍ : فما يومٌ كانَ مقدارُهُ خمسينَ ألفَ سنةٍ ، قالَ الرجلُ : إنَّما سألتُكَ لتحدِّثَنِي ، فقالَ ابن عباسٍ : هما يومانِ ذكرهُما اللهُ فى كتابِهِ اللهُ أعلمُ بهِمَا ،

---

(١) (٦٨٩) .

(٢) (٢٣/ ٦٠٢) .

فكره أنْ يقولَ فى كتابِ اللهِ ما لا يعلمُ » ، وفى هذا راحة .

وقالَ الشَّوكانيُّ عنْ مقدارِ هذا اليومِ عنْ بعضِ العلماءِ :

« مقدارِ الأمرِ فيهِ لو تولَّاهُ غيرهُ سبحانَهُ خمسونَ ألفَ سنةٍ وهوَ سبحانَهُ يفرغُ منهُ فى ساعةٍ ، وقيلَ : إنَّ مدَّةَ موقفِ العبادِ للحسابِ هيَ هذا المقدارُ ثمَّ يستقرُّ بعدَ ذلكَ أهلُ الجنَّةِ فى الجنَّةِ وأهلُ النَّارِ فى النَّارِ ، وقيلَ : إنَّ مقدارَ يومِ القيامةِ على الكافرينَ خمسونَ ألفَ سنةٍ وعلى المؤمنينَ مقدارُ ما بينَ الظهرِ والعصرِ ، وقيلَ : ذكرُ هذا المقدارِ لمجردِ التمثيلِ والتخييلِ لغايةِ ارتفاعِ تلكَ المعارجِ وبُعدِ مداها ، أو لطولِ يوم القيامةِ باعتبارِ ما فيهِ منَ الشدائدِ والمكارهِ كما تصفُ العربُ أيَّامَ الشَّدَّةِ بالطُّولِ وأيَّامِ الفرحِ بالقِصَرِ ، ويشبهُونَ اليومَ القصيرَ بإسهامِ القطاةِ ، والطويلَ بظلِّ الرُّمحِ ... » .[1]

وأخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ[2] حدثنا أبو سعيدٍ الأشجُّ ، ثنا أبو أسامةَ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ المبارك ، عنْ معمرٍ ، عن قتادةَ ، عنْ زرارةَ بنِ أبى أوْفَى عنْ أبي هريرةَ ﷺ قالَ : « ما قدرُ طولِ يومِ القيامةِ على المؤمنِ إلا كقدرِ ما بينَ الظهرِ إلى العصرِ » .

وتابعهُ عبدانُ عن عبد الله بن المبارك به ، كما عند الحاكم (١/ ١٥٨) .

وخالفَهُما سويدُ بنُ نصرٍ :

فرواه عنِ ابن المبارك به إلا أنَّهُ جعلهُ مرفوعاً ، أخرجه الحاكم (١/ ٨٤) .

---

(١) « فتح القدير » (٥/ ٤٠٣) .

(٢) فى « تفسيره » (١٧٢٤١) .

والموقوفُ أصحُّ كما قالَ ابنُ كثيرٍ فى « النهاية فى الفتن والملاحم » فقال عقب الموقوف :

« هذا هوَ المحفوظ » .

وقالَ الحاكمُ عقبَ المرفوع بعدما صحَّحَهُ على شرطِ الشيخين - وفيهِ بعدٌ - إنْ كانَ سويدُ بنُ نصرٍ حفظهُ على أنَّهُ ثقةٌ مأمونٌ » .

وإسنادُهُ صحيحٌ إنْ شاءَ اللهُ موقوفاً وروايةُ معمرٍ فى البصريين فيها كلامٌ لكنَّها فى صحيح مسلم والتضعيفُ الذى حكاهُ العجلونيُّ فى « كشف الخفا » (٢/ ٣٨٥) عنِ ابنِ الفرسِ للحديث يبدو أنَّهُ للمرفوعِ .

وأخرجَ النسائيُّ [١] وغيرهُ بسندٍ حسنٍ عنْ أبي هريرة عنْ النبي ﷺ قالَ : **«يدخلُ فقراء المسلمين الجنَّة قبل أغنيائهم بخمس مائة عام وهو مقدار نصف يوم»**

وأخرجَ أبو يعلى (٦٠٢٥» وأبو حبان (٧٣٣٣) ، وتمام فى « الفوائد » (٩٣٠) أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ قدرُ نصفِ يومٍ منْ خمسينَ ألفَ سنةٍ فيهُونُ ذلكَ اليومُ على المؤمنِ كتدلِّي الشمسِ للغروبِ إلى أن تغرُب » .

والذى يظهرُ لي فى مدةِ الحساب :

أنَّهُ سيكونُ طويلاً جداً على أصحابِ النَّارِ للإهانَةِ قبلَ العذابِ ، وأمَّا المؤمنونَ فيهونُ عليهمْ كالفترةِ ما بينَ الظُّهرِ إلى العصرِ ، كما قالَ أبو هريرة رضي الله عنه - وأبو هريرة لا يقومُ هذا من رأيهِ - إنْ شاء اللهُ ، وهذا الجمعُ هوَ الموافقُ لأصولِ الشريعةِ .

---

(١) فى « الكبرى » (١١٢٨٥) .

قولُ المزنيُّ رحمه الله :

« يومئذٍ يعودونَ فريقٌ فى الجنَّةِ وفريقٌ فِي السَّعيرِ » .

كذا يومئذٍ يتفرَّقونَ فريقٌ فى الجنَّةِ وفريقٌ فِي السَّعيرِ .

قالَ تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧ ﴾ (الشورى) .

الجنَّـــة

قولُ المزنيُّ رحمه الله :

« وأهلُ الجنَّةِ يومئذٍ فى الجنَّةِ يتنعَّمُونَ وبصنوفِ اللَّذَّاتِ يتلذَّذُونَ وبأفضلِ الكراماتِ يُحْبَرُونَ » .

الجنَّةُ فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ ، لهمْ ما يشاءونَ فيها وعندَ اللهِ المزيدُ .

وقدْ أخرجَ البخاريُّ منْ حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِى الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، ذُخْراً ، بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ » ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾ (السجدة) » .[1]

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤) ، ومسلم (٢٨٢٤) .

وفى حديثِ أبي هريرة ﷺ قالَ : قلتُ يا رسولَ الله ؛ ممَّ خُلِقَ الخلقُ ؟ قالَ : « **منَ الماءِ** » ، قلتُ : الجنَّةُ ، ما بناؤهَا ؟ قالَ : « **لبنةٌ منْ فضَّةٍ ولبنةٌ منْ ذَهَبٍ ، ملاطُها المسكُ الأزفرِ حصباؤهَا اللؤلؤُ والياقوتُ ، وتربتُها الزعفرانُ ، مَنْ دخلَهَا ينعمُ لا يبأسُ ويخلدُ لا يموتُ ، لا تبلى ثيابُهُمْ ولا يفنَى شبابُهُمْ** » .(١)

ففي الجنَّةِ ما تشتهيهِ الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ وأهلُهَا فيها خالدونَ يُحَلَّى أهلُهَا بأساورَ منْ فضَّةٍ ولؤلؤٍ ، ولباسُهُمْ فيها حريرٌ ، لا يبأسُ أهلُها أبداً ، يجامعونَ بقوةِ مائةِ رجلٍ ، ولا يتغوَّطونَ ، ورشحُهُمْ المسكُ ومجامرُهُمْ الألوَّةُ » ، وهو ما أشار إلى نحوه المؤلف بعد .

قولُ المزنِّي رحمه الله :

« وبأفضلِ الكراماتِ يُحْبَرُونَ » .

وَمِنْ هذهِ الكرامات :

النظرُ إلى وجهِ اللهِ الكريمِ .

فقدْ قالَ تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة) .

فما بينهُمْ وبينَ أنْ ينظروا إلى ربِّهمْ إلا رداءُ الكبرياءِ فى جنَّةِ عدنٍ .

ومنْ هذه الكراماتِ :

زيارةُ المؤمنينَ لربِّهمْ فى الجنَّةِ .

---

(١) **وهو حديث صحيح لشواهده** . راجع تخريجه فى كتابي « الفوائد النيرة » (١٠١٦) .

فقدْ وردتْ عدَّةُ رواياتٍ تفيدُ زيارةَ المؤمنينَ لربِّهِمْ فى الجنَّةِ ، وأنَّ اللهَ يتجلَّى لهمْ ، فكأنَّهُ عيدٌ بالنسبةِ إليهمْ .

وقدْ جزمَ بذلكَ جماعةٌ من العلماءِ ، والرواياتُ تتقوَى بمجموع الطُّرقِ وإنْ كانَ القدرُ الذى فيها منْ أن الزيارة تكون يومَ الجمعةِ لا ينتهض للتقويةِ [١] ، واللهُ أعلمُ .

والكلامُ طويلٌ جداً فى هذا البابِ ، وسيأتي بعضُ كلامِ المؤلِّفِ ﷺ فيما يتعلَّقُ بذلكَ .

وإذا كانَ نعيمَ الآخرةِ الذى هوَ مخلوقٌ لا مثيلَ لهُ فى الدنيا ولا يشتبهانِ إلا فى الأسماءِ [٢] ، فكيف يكونُ الخالقُ سبحانَهُ ، ولذَّةُ النظرِ إلى وجههِ سبحانَهُ ، وزيارته فى الجنَّةِ ونحوُ ذلكَ ، اللهمَّ لا تحرمنَا لذَّةَ النظرِ إلى وجهكَ الكريمِ وأدخلنَا الجنَّةَ معَ الأبرارِ بلا سابقةِ عذابٍ ولا مناقشةِ حسابٍ إنَّكَ الكريمُ الواسعُ المُعْطِي .

وفي صحيح مسلم [٣] عَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ**

---

(١) فانظر : « مسند أبي يعلى » (٤٢٢٨) ، و« مصنف ابن أبي شيبة » (١/ ٤٧٧) ، و« المطالب العالية » = = (٣) ، و« السلسلة الصحيحة » للألباني (١٩٣٣) ، و« حادي الأرواح » لابن القيم(ص٣١٣) ط . مطبعة المدني بالقاهرة .

(٢) فقد أخرج مسدد كما فى « المطالب العالية » (٤٦١٧) ، وهناد فى « الزهد » (٨) ، والطبري فى « تفسيره » (٥٣٤) بإسنادٍ صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الأسماء » ، ومثله له حكم المرفوع .

(٣) (١٨١) .

- قَالَ - يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ، - قَالَ - فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ " .

قال رسول الله ﷺ : **" إِنَّ فِى الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِى ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لاَ يَقْطَعُهَا ، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ "** . (١)

ومنها : ما أخرجه البخاري (٢) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : **" أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَالَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الْحُسْنِ (٣) ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ، لاَ يَسْقَمُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ ، وَلاَ يَبْصُقُونَ ، آنِيَتُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ ، وَقُودُ مَجَامِرِهِمُ الأُلُوَّةُ - يَعْنِى الْعُودَ - وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ "** .

والأخبار فى ذكر ما فى الجنان مما أعدَّه الله تعالى لأهلها من الكرامات أكثر من أن يُحصر هنا .

---

(١) كما فى صحيح البخاري (٣٢٥٢) .

(٢) برقم (٤٢٤٦) ، وأخرجه مسلم (٢٧٣٤) .

(٣) وفى صحيح البخاري (٢٧٩٦) وصف آخر فى حديث أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ ، لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا ، وَلَمَلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحاً ، وَلَنَصِيفُهَا - يَعْنِى الْخِمَارَ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا " .

وقد جمع ابن القيم ﷺ وصف الجنة بسياق حسن ، وهو ما دلت عليه الأدلة ، فقال :[١]

« وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده ، وجعلها مقراً لأحبابه ، وملاها من رحمته وكراماته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره ، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص .

فإن سألتَ عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران ، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن ، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر ، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر ، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب ، وإن سألت عن أشجارها فما فيها من شجرة إلا وساقها من الذهب والفضة ، لا من الحطب والخشب ، وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ، ألين من الزبد ، وأحلى من العسل ، وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل ، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون ، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور ، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة ، في صفاء القوارير ، وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستقر بالطرب لمن يسمعها ، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع

---

(١) فى « حادى الأرواح » (ص٣٦٩ وما بعدها) .

مائة عام لا يقطعها ، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام ، وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة ، طولها ستون ميلاً من جملة الخيام ، وإن سألت عن علاليها وجوسقها فهي غرفٌ من فوقها غرف مبنية ، تجري من تحتها الأنهار ، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق ، الذي لا تكاد تناله الأبصار ، وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب ، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من إستبرق ، مفروشة في أعلى الرتب ، وإن سألت عن أرائكها فهي الأَسرَّة عليها البشخانات - وهي الحجال - مزررة بأزرار الذهب فما لها من فروج ولا خلال ، وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر ، وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين ، على صورة آدم عليه السلام أبي البشر ، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين ، وأعلى منه سماع الملائكة والنبيين ، وأعلى منه سماع خطاب رب العالمين . وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها فنجائب أنشأها الله مما شاء ، تسير بهم حيث شاءوا من الجنان ، وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ ، وعلى الرءوس ملابس التيجان ، وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون ، كأنهم لؤلؤ مكنون ، وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب ، اللائي جرى في أعضائهن ماء الشباب ، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود ، وللرمان ما تضمنته النهود ، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور ، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور ، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت ، إذا قابلتْ حِبَّها فقل ما تشاء في تقابل النيرين ، وإذا حادثته فما ظنك

بمحادثة الحبيبين ، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين ، يرى وجهه في صحن خدها كما يُرى في المرآة التي جلاها صيقلها ، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ، ولا يستره جلدها ، ولا عظمها ، ولا حللها ، لو اطلعتْ على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً ، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً ، ولتزخرف لها ما بين الخافقين ، ولأغمضت عن غيرها كل عين ، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ولآمن من على ظهرها بالله الحي القيوم ، ولَنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها ، ولا تزداد على طول الأحقاب إلا حسناً وجمالاً ، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالاً ، مبرأة من الحبل والولادة ، والحيض والنفاس ، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس ، لا يفنى شبابها ، ولا تبلى ثيابها ، ولا يخلِق ثوب جمالها ، ولا يُمَل طيب وصالها ، قد قصرت على زوجها ، فلا تطمح لأحد سواه ، وقصر طرفه عليها ، فهي غاية أمنيته وهواه ، إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها بطاعته أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته ، فهو منها في غاية الأماني والأمان ، هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان ، كلما نظر إليها ملأت قلبه سروراً ، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤاً منظوماً ومنثوراً ، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نوراً، وإن سألت عن السن فأتراب في أعدل سن الشباب ، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر ؟! وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حور ، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان ، وإن سألت عن النهود فمن الكواعب ، ونهودهن كألطف الرمان ، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان ، وإن سألت عن حسن الْخُلُق فهن

الخيرات الحسان ، اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان ، فأعطين جمال الباطن والظاهر ، فهن أفراح النفوس وقرة النواظر ، وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك ، فهن العُرب المتحببات إلى الأزواج ، بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أيُ امتزاج ، فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها ، فإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت : هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها ، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة ، وإن خاصرته فيا لذة المعانقة والمخاصرة ....

وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع ، وإن آنست وأمتعت فيا حبَّذا تلك المؤانسة والإمتاع ، وإن قُبّلت فلا شيء أشهى إليه من التقبيل ، وإن نُوْلَتْ فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل .

هذا ، وإن سألت عن يوم المزيد ، وزيارة العزيز الحميد ، ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه ، فإنه اليوم الأعظم والأجمل ، ففيه ترى الرب الرحيم ، كما ترى الشمس في الظهيرة ، والقمر ليلة البدر ، كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه ، وذلك موجود فى « الصحاح » و« السنن » و« المسانيد » من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد ، فاسمع يوم ينادي المنادي : يا أهل الجنة ، إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته ، فيقولون : سمعاً وطاعة وينهضون إلى الزيارة مبادرين ، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين ، وحتى انتهوا إلى الوادي الأفيح الذى جعل لهم موعداً وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحداً أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ،

ثم نصبت لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، وجلس أدناهم وحاشاهم أن يكون فيهم دني على كثبان المسك ما يرون أصحاب الكراسي فوقهم فى العطايا حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادي : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ، ويثقل موازيننا ، ويدخلنا الجنة ، ويزحزحنا من النار ، فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة ، فرفعوا رءوسهم فإذا الجبار جلَّ جلاله ، وتقدست أسماؤُه وقد أشرف عليهم مَن فوقهم ، وقال : يا أهل الجنة سلام عليكم ، فلا تُرد هذه التحية بأحسن من قولهم : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ، ويقول : يا أهل الجنة ، فيكون أول ما يسمعون منه قال : أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني ، فهذا يوم المزيد ، فيجتمعون على كلمة واحدة : قد رضينا فارض عنا ، فيقول : يا أهل الجنة؛ إني لو لم أرض عنكم لم أُسكنكم جنتي ، هذا يوم المزيد فاسألوني ، فيجتمعون على كلمة واحدة : أرنا وجهك ننظر إليه ، فيكشف لهم الرب جلَّ جلاله الحُجب ، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا ، ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة ، حتى إنه ليقول : يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا ، يذكره ببعض غدراته فى الدنيا ، فيقول : يا رب ألم تغفر لي ؟ فيقول : بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه .

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم فى الدار الآخرة ، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة .

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ (القيامة) .

فحي على جنـــاتِ عدنٍ فإنها منازلنا الأولى وفيها المخيمُ

ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننـا ونسلـمُ

الـرؤيـــة

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« فهمْ حينئذٍ إلى ربِّهِمْ ينظرونَ لا يمارونَ فى النَّظرِ إليهِ ولا يشكونَ فوجوهُهمْ بكرامتِهِ ناضرةٌ وأعينُهُمْ بفضلهِ إليهِ ناظرةٌ فى نعيمٍ دائمٍ مقيمٍ ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ ، ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ » .

المؤلِّفُ رحمهُ اللهُ وطيَّبَ ثراهُ ذكرَ مسألةً أنكرها أهلُ البدعِ وهيَ النظرُ إلى وجهِ اللهِ الكريمِ .

وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ : أَنَّ رُؤْيَةَ الْمُؤْمِنِيْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ لِرَبِّهِمْ ثَابِتَةٌ .

الْمُؤْمِنُون يَرَوْنَ رَبَّهُمْ كَمَا يُرَى الكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ فِى السَّمَاءِ فِى يَوْمِ صَحْوٍ لَيْسَ دُوْنَهُمْ وَدُوْنَهُ سَحَابٌ ، وَقَدْ بَالَغَ النَّبِيُّ ﷺ فِى إِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ .

فَفِى حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ؛ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ قَالَ : « **فَهَلْ تُضَارُّوْنَ فِى رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِى الظَّهِيْرَةِ لَيْسَتْ فِى سَحَابَةٍ ؟** »

قَالُوا: لاَ ، قَالَ : « **فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟** » قَالُوا: لاَ ، قَالَ : « **فَوَالَّذِي نَفْسِيْ بِيَدِهِ لاَ تُضَارُّوْنَ فِي رَؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّوْنَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا...** » الحَدِيْثَ . (١)

فَالتَّشْبِيهُ هُنَا لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ وَلَيْسَ المَرْئِيُّ بِالمَرْئِيِّ ، وَهِيَ رُؤْيَةٌ مَعْرُوفَةٌ لَيْسِتْ مَجْهُولةً ، يُرَى سُبْحَانَهُ بِغيرِ إِدْرَاكٍ ؛ إِذْ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ سُبْحَانَهُ ، فَهُوَ أَعْظَمُ مِن أَنْ يُحَاطَ ، جَلَّ شَأْنُه ، فَكَمَا أَنْتَ تَرَى السَّمَاءَ وَالقَمَرَ ولا تُدْرِكُهما ، فَكَذلِكَ رُؤْيةُ الله الَّذِي لَهُ المَثَلُ الأَعْلَى ، يُرَى فِي الآَخِرةِ وَلَا يُدْرَكُ .

وَفِي حَدِيْثِ جَرِيْرٍ ﷺ قَالَ : « كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، قَالَ : « **إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لاَ تُضَامُوْنَ فِي رُؤْيَتِهِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَافْعَلُوا** » . (٢)

وَالمَقْصُودُ :

المُحَافَظَةُ عَلَى صَلاَتَيِ الفَجْرِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَالعَصْرِ قَبْلَ غُرُوبِهَا .

وَثَمَّ أَدِلَّةٌ عَلَى إِثْبَاتِ رُؤيَة الله سُبْحَانَه لاَ يَصلح التَّأويلُ لهَا عَنْ ظَاهِرِهَا .

وَفِي حَدِيْثِ أَبِي مُوْسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ مَرْفُوعاً : « **جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آَنِيَتُهُمَا وَمَا**

---

(١) **صحيح** . أخرجه مسلم (٢٩٦٨) ، وفى حديث أبي سعيد نحوه وهو فى صحيح البخاري (٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٣) .

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري (٧٤٣٤) .

فِيْهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيْهِمَا ، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِى جَنَّةِ عَدْنٍ » . (١)

وَفِى حَدِيْثِ صُهَيْبٍ الرُّوْمِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ قَالَ : يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : تُرِيْدُونَ شَيْئاً أَزِيْدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ : فَيَكْشِفُ الحِجَابَ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ** » . (٢)

وَفِى حَدِيْثِ جَابِرٍ ﷺ مَرْفُوعاً : « **فَتُدْعَى الأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ : مَنْ تَنْظُرُونَ ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ . فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ.....** » الحَدِيْثَ . (٣)

وَجُمْهُورُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّ مَنْ جَحَدَ رُؤْيَةَ الله فِى الدَّارِ الآخِرَةِ فَهُو كَافِرٌ ، فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغْهُ العِلْمُ فِى ذَلِكَ عُرِّف ذَلِكَ كَمَا يُعَرَّفُ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ شَرَائِعُ الإِسْلاَمِ ، فَإِنْ أَصَرَّ عَلَى الجُحُودِ بَعْدَ بُلُوغِ العِلْمِ لَهُ فَهُوَ كَافِرٌ . (٤)

وَلِتَنْزِيْلِهِ عَلَى المُعَيَّنِ شُرُوطٌ .

وَلَمْ يَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَبَّهُ عَيَاناً عَلَى الأَرْضِ ، وَإِنَّمَا رَأَى رَبَّهُ لَيْلَةَ المِعْرَاجِ رُؤْيَةً

---

(١) **صحيح**. أخرجه البخاري (٤٨٧٨) ، ومسلم (١٨٠) .

(٢) **صحيح**. أخرجه مسلم (١٨١) .

(٣) صحيح . أخرجه مسلم (١٩١) .

(٤) قاله شيخ الإسلام فى « مجموع الفتاوى » (٦/ ٤٨٦) .

قَلْبِيَّةً - عَلَى الرَّاجِحِ الصَّحِيْحِ - كَمَا لَمْ يَرَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ فِى الأَرْضِ .

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله :

« كُلُّ حَدِيْثٍ فِيْهِ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِهِ فِى الأَرْضِ فَهُو كَذِبٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِيْنَ وَعُلَمَائِهِمْ ، هَذَا شَيْءٌ لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِيْنَ، وَلَا رَوَاهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا كَانَ النِّزَاعُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِى أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ هَلْ رَأَى ربَّهُ لَيْلَةَ المِعْرَاجِ ؟ » . (١)

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ أَيْضًا :

« وَلَمْ يَثْبُتْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَلَا عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَأَمْثَالِهِمَا أَنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّ مُحَمَّداً ﷺ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِهِ ، بَلِ الثَّابِتُ عَنْهُمْ إِمَّا إِطْلَاقُ الرُّؤْيَةِ وَإِمَّا تَقْيِيْدُهَا بِالفُؤَادِ » . اهـ (٢)

قُلْتُ « **مُحمد** » : الخِلَافُ بَيْنَ السَّلَفِ وَالخَلَفِ ثَابِتٌ فِى الرُّؤْيَةِ لَيْلَةَ المِعْرَاجِ ، وَيَبْدُو أَنَّهُ سَائِغٌ وَإِنْ كَانَ الرَّاجِحُ لَدَيْنَا أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَرَ رَبَّهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ .

وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ ؛ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ فَقَالَ :« **نُوْرٌ أَنَّى أَرَاهُ** » . (٣)

وَقَالَ ﷺ : « **حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَت سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ** » . (٤)

وَقَالَ مَسْرُوقٌ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها : « يَا أُمَّتَاهْ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ ؟ فَقَالَتْ :

---

(١) « مجموع الفتاوى » (٣/ ٣٨٦) .

(٢) « مجموع الفتاوى » (٢/ ٣٣٥) .

(٣) **صحيح** . أخرجه مسلم (١٧٨) .

(٤) **صحيح** . أخرجه مسلم (١٧٩) .

لَقَدْ قَفَّ شَعْرِى مِمَّا قُلْتَ ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلاَثٍ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ ؟ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ قَرَأَتْ : ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾ . ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ ، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ قَرَأَتْ : ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً ﴾ ، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ الآيَةَ ، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - فِى صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ » . (١)

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء) .

وَلَوْ كَانَ قَدْ أَرَاهُ نَفْسَهُ بِعَيْنِهِ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَوْلَى فِى مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ ، وَقَدْ قَالَ: ﴿ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ (النجم) .

فَلَوْ رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ بِعَيْنِهِ فِى المِعْرَاجِ لَذَكَرَهُ كَمَا ذَكَرَ مَا دُوْنَهُ ، وَقَدْ ثَبَتَ بِالنُّصُوصِ الصَّحِيْحَةِ وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الأُمَّةِ أَنَّهُ لَا يَرَى اللهَ أَحَدٌ فِى الدُّنْيَا بِعَيْنِهِ إِلَّا مَا نَازَعَ بَعْضُهُمْ مِنْ رُؤْيَةِ نَبِيِّنَا ﷺ خَاصَّةً . (٢)

وَعَلَى أَيِّ حَالٍ لَا يُضَلِّلُ المُخَالِفُ فِى ذَلِكَ - أعني : رؤية النبي ﷺ لربه ليلة

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري (٤٨٥٥) ، ومسلم (١٧٧) ، ولفظ مسلم : « فقد أعظم على الله الفرية » بدلاً من « فقد كذب » .

(٢) « مجموع الفتاوى » (٦/ ٥١٠) بتصرف يسير .

المعراج - وعدمها ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

أمَّا رؤيةُ الكفَّارِ لربِّهمْ ﷻ يومَ القيامةِ :

فمنَ العلماءِ من يقولُ :

يرونَهُ يمَّ يحجبُونَ تحقيراً لهمْ وذلاً لهمْ وتبكيتاً .

ومنهم من يقول :

لمْ يرونَهُ أصلاً للآية : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (المطففين) .

وجمهور السَّلفِ على أنَّ الكفارَ لا يرونَهُ يومَ القيامة .

أمَّا فى الدنيا فاللهُ لا يُرَى .

ففي « صحيح مسلم » بعد (٢٩٣١) أنَّ رسول الله ﷺ قال : « **تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوت** » .

وقد كفَّر البربهاريُّ رحمه الله من ادَّعى رؤية الله فى دار الدنيا فقال :

« من زعمَ أنَّه يَرى ربَّهُ فى دارِ الدنيا فهو كافرٌ بالله » .

وأكلُ أهلِ الجنَّةِ ومتعتُهُمْ كاملةٌ ، وهمْ مقيمونَ إقامةً دائمةً لا تنقطعُ ، فلذلكَ لا خوفٌ فيها .

ولا يمسهم فيها نصبٌ وما هم منها بمخرجين ، كما قال المؤلِّف رحمه الله .

هذا ما للذينَ اتَّقوا جعلنَا اللهُ منهم وأنْ نخرُجَ منْ هذه الحياةِ الدنيا مستمسكينَ بالعُروةِ الوثقى .

أمَّا الذينَ كفرُوا فعاقبتهمُ النَّارُ والعياذُ باللهِ .

قالَ تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الرعد) .

قالَ المزنيُّ رحمه الله حاكياً حالَ أهلِ الجحودِ :

« وأهلُ الجحدِ عَنْ ربِّهِمْ يومئذٍ محجوبونَ وفِي النَّارِ يسجرونَ ، لبئسَ ما قدَّمَتْ لهمْ أنفسُهمْ أنْ سخطِ اللهُ عليهم وهم فى العذابِ خالدونَ ، لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كلَّ كفور » .

وأهلُ الجحودِ الذينَ ينكرونَ ما جاءَ فى كتابِ الله وفى سُنَّةِ رسول الله ﷺ ويتأولونَ النُّصوصَ عنْ ظاهرها إلى تأويلاتٍ عقليةٍ فارغةٍ ، الذينَ ينكرونَ النظر إلى ربِّهمْ وكلامَهُ أولئكَ يقولُ اللهُ تعالى فى شأنِهِمْ :

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (القصص) .

فلمَّا حجبَهُمْ فى السُخطِ دلَّ على أنَّهمْ يرونَهُ فى الرضا ، وهو دليلٌ قويٌّ على إثباتِ رؤيةِ الله تعالى .

يحجبُ الكفارَ والعياذُ بالله عنْ رؤيتهِ سبحانَهُ والنظرُ إليهِ ، ويراهُ المؤمنونَ بعينِ رؤوسِهِمْ ، كما نصَّ رسولُ الله ﷺ على ذلك ، وإلا لم يكن ثمَّ مزية للمؤمنين

على الكافرين .

فأهلُ الجنَّةِ يرونَ ربَّهمْ ، أمَّا أهلُ الجحودِ والإلحادِ فإنَّهمْ يُحْجَبُونَ عنْ ربِّهمْ فلا يرونَهُ وإنَّما يسمعونَ كلامَهُ توبيخاً ، فيقولُ لأحدِهمْ : « **أَىْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، قَالَ : فَيَقُولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِىَّ ؟ فَيَقُولُ : لاَ ، فَيَقُولُ : فَإِنِّى أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِى** » . (١)

أي : أتركُكَ فى العذابِ كما تركتَ أوامري .

يسجرونَ والعياذُ باللهِ توقدُ بهمُ النَّارُ .

قالَ تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (غافر) .

لبئسَ ما قدَّمَتْ لَهُمْ أنفسُهُمْ .

قالَ تعالى فى شأنِ أهلِ الكتابِ الذينَ جَحَدُوا نبوَّةَ محمدٍ ﷺ ولعنَهُمُ اللهُ : ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (المائدة) .

وقالَ سبحانَهُ عنهمْ : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا

(١) كما فى صحيح مسلم (٢٩٦٨) .

نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ (فاطر) .

هذا حالُ أهلِ النَّارِ جميعاً .

إلَّا الَّذينَ آمنوا ممنْ دخلُوا يعذَّبونَ بقدرِ ذنوبِهِمْ بشفاعةِ الشافعينَ فيخرجونَ منَ النَّارِ بعدَما صارُوا حِمَماً ، فيُلْقَوْنَ فى نهرِ الحياةِ فينبتونَ كما تنبتُ الحبَّةُ فى حميلِ السَّيلِ صفراءَ ملتويةً .

ولذلكَ قالَ المؤلِّفُ رحمه الله :

« خَلا مَنْ شاءَ اللهُ إخراجه منَ الموحدينَ منهَا » .

أي : أهلُ التوحيدِ يخرجونَ منها .

وقدْ أخرجَ البخاريُّ (١) عنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ : « **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يَقُولُ اللهُ : مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرَجُونَ قَدِ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَماً ، فَيُلْقَوْنَ فِى نَهَرِ الْحَيَاةِ ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِى حَمِيلِ السَّيْلِ - أَوْ قَالَ - حَمِيَّةِ السَّيْلِ** » ، وَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً** » .

وفِي شفاعةِ أهلِ الإيمانِ لإخوانِهِمْ يقولونَ :

« **رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا ، فَيَقُولُ اللهُ**

(١) برقم (٦٥٦٠) ، ومسلم (١٨٥) .

تَعَالَى : اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ ، وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ : اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ : اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا » ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَءُوا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾ « فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ : بَقِيَتْ شَفَاعَتِي ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَاماً قَدِ امْتُحِشُوا ، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ : مَاءُ الْحَيَاةِ ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ إِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ : هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ » .[1]

طاعة الأئمة والأمراء ومنع الخروج عليهم

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« والطاعةُ لأولي الأمرِ فيما كانَ عندَ الله عز وجل مَرْضِيًّا واجتنابُ ما كانَ عندَ الله مُسْخَطاً ، وتركُ الخروجِ عندَ تعدّيهِمْ وَجَوْرِهِمْ والتوبةُ إلى الله عز وجل كَيْمَا يُعْطِفْ

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) .

بِهِمْ على رعيَّتِهِمْ » .

طاعةُ أولي الأمرِ أمرَ اللهُ بها فى قولهِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ (النساء:٥٩) ، على قولٍ فى تفسيرِ الآية ، فلا يُخْرَجُ على أئمةِ الجَوْرِ إنْ أُمِّروا .

إنْ أمرُوا بطاعةِ الله ورسولهِ ﷺ يُطاعونَ ، وإنْ أمرُوا بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعةً فى تلكَ المعصيةِ ، ولا تنزعُ اليدُ منَ الطاعةِ ، ولا يُخرجُ عليهمْ ما لمْ يأتوا بكفرٍ بواحٍ لا خلافَ فيهِ عندنَا منَ اللهِ فيهِ برهانٌ .

ففي « صحيح مسلم » [١] عن حذيفةَ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قذكرَ أئمةً قالَ : « **لاَ يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ وَلاَ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ** » ، قَالَ : قُلْتُ : كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ الله إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « **تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ** » .

وإنْ تعلَّقَ متعلِّقٌ بإعلالِ الدارقطنيِّ لبعضِ طُرُقِهِ ، فماذا يقولُ فيما أخرجَهُ ابنُ حبَّانَ وغيرهُ بإسنادٍ قويٍّ [٢] عنْ عُبادةَ بنِ الصَّامتِ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قالَ : « **اسمعْ وأطِع فى عُسْرِكَ ويُسرِكَ ومنشطكَ ومكرهِكَ وأثرةٍ** [٣] **عليكَ وإن أكلُوا**

---

(١) برقم (١٨٤٧) ، وقد صححه النووي وإن أعلَّهُ الدارقطني ، لكن ليعلم أن الدارقطني أعلَّ الإسناد لا الحديث ، ومعلومٌ الفرقَ بين هذا عند علماء هذا الفن الشريف .

(٢) أخرجه ابن حبان (٤٥٦٢) .

(٣) أي : إذا استأثروا بالدنيا وأخذوها منكم .

مالَكَ وضربُوا ظهرَكَ إلَّا أنْ يكونَ مَعصيةً » ؟ [١]

مَعَ أنَّ الدارقطنيِّ إنَّما أعلَّ طريقاً من طرق حديث حذيفة ﷺ ولمْ يعلّ الحديثَ بطرقِهِ ولا تعرَّضَ لشواهدِهِ بالنقضِ ؟! سبحان الله .

وماذا يقولُ فيما أخرجهُ ابنُ أبي شيبةَ بإسنادٍ صحيحٍ ؟

عنْ سويدِ بنِ غفلةَ قالَ : « قالَ لي عمرُ بنُ الخطاب : يا أبا أميَّة إنِّي لاأدري لعلِّي لا ألقاكَ بعدَ عامي هذا ، فاسمع وأطعْ وإن أُمِّرَ عليكَ عبدٌ حبشيٌّ مُجْدَعٌ ، وإنْ ضربكَ فاصبرْ ، وإنْ حرمكَ فاصبرْ ، وإنْ أرادَ شيئاً ينتقصُ دينَكَ فقلْ سَمَعٌ وطاعةٌ ، دَمِي دونَ ديني فلا تفارقِ الجماعةِ » ، أليس فيه نفس المعنى ؟!

وفى روايةٍ : « **وإنْ ظلمَكَ فاصبرْ** » . [٢]

وعمرُ ﷺ خليفةٌ راشدٌ أُمِرْنَا باتِّباعِ سُنَّتِهِ فى قولهِ ﷺ : « **عليكمْ بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخلفاء الراشدينَ المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ** » . [٣]

وقالَ ﷺ : « **اقتدُوا بالَّذين منْ بعدِي أبو بكرٍ وعمرُ** » . [٤]

وماذا يقولُ فى قولِ أنس بن مالكٍ ﷺ لما أَتَوهُ يشكونَ إليهِ ظلمَ الحجَّاجِ :

---

(١) يعني بالمعصية ما جاء مفسراً فى الروايات الأخرى ، « كفراً بواحاً » كما سيأتي .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ٥٤٤) ، وأبو نعيم فى « الفتن » (٣٨٩) ، والآجري فى « الشريعة » (٧٢) ، والبيهقي (٨/ ٥٩) .

(٣) أخرجه أبو داود بإسنادٍ حسنٍ .

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد فى « السنة » (١٣٦٩) وغيرهم عن حذيفة ﷺ ، وله شواهد وهو ثابت .

« نهانَا كبراؤنَا منْ أصحابِ النبي ﷺ قالَ : « **لا تسبُّوا أمراءَكُمْ ولا تغشُّوهمْ ولا تبغضُوهمْ واتَّقُوا اللهَ واصبروا إنَّ الأمرَ قريبٌ** »[1]، أليس فيه نفس المعنى ؟!

وفى « صحيح البخاريِّ »[2] أنَّهمْ لَّما جاؤا يشكونَ إليهِ ظلمَ الحجَّاجِ فقالَ : « **اصْبِرُوا ، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِى عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلاَّ الَّذِى بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ** » .

أمْ أنَّ الاعتراضَ على الحديثِ إنَّما كانَ لهوىً فى النَّفسِ يردُّ الحديثَ الصحيحَ أمْ أنَّهُ الجهلُ ؟ فإن كان ؛ لماذا يقفُو المرءُ ما ليسَ لهُ به علم ؟ وإذا كانَ مقلداً لجاهلٍ ؛ فهلِ الجاهلُ يعارضُ ويجادلُ وليسَ عندهُ علمٌ ؟

وقد أوحَى اللهُ إلى نبيِّهِ بعدَ ذكر الأنبياءِ فى سورةِ الأنعامِ ومنهمْ موسى ﷺ الذى قالَ لقومهِ لما شَكُوا إليهِ إيذاءَ أكبرِ طاغيةٍ على وجهِ الأرضِ فرعونَ ، قالَ لهمْ : ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف:١٢٨) .

أوحى اللهُ إليهِ فقالَ بعدَ ذكرِ الأنبياءِ ومنهمْ موسى عليه السلام : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ (الأنعام:٩٠) .

وأخرج ابنُ سعدٍ[3] بإسنادٍ حسنٍ عن سليمانِ بن علي الربعي قالَ : « لما كانت الفتنةُ فتنةُ ابنِ الأشعثِ إذ قاتل الحجَّاج بن يوسف انطلقَ عقبة بن عبد الغافر وأبو

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم فى « السنة » (١٠١٥) بإسنادٍ قوي .

(٢) برقم (٧٠٦٨) .

(٣) فى « طبقاته » (٧/ ١٢٠) .

الجوزاء وعبد الله بن غالب فى نفر من نظرائهم فدخلوا على الحسن فقالوا : يا أبا سعيد ما تقول فى قتال هذا الطاغية الذى سفك الدم الحرام وأخذ المال الحرام وترك الصلاة وفعل وفعل ؟ قال : وذكروا من فعل الحجاج ، قال : فقال الحسن : أرى أن لا تقاتلوه فإنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادِّي عقوبة الله بأسيافكم ، وإن يكن بلاء ﴿ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ (الأعراف:٨٧)، قالَ: فخرجوا من عنده وهم يقولون : نطيع هذا العلج [١] ! قال : وهم قوم عرب، قالوا : وخرجوا مع ابن الأشعث ، قال : فقُتلوا جميعاً ، قال سليمان : فأخبرني مرة ابن ذباب أبو المعُذَّل قال : أتيتُ على عقبة بن عبد الغافر وهو صريع فى الخندق فقال : يا أبا المعذَّل لا دنيا ولا آخرة » .

وقدْ قالَ اللهُ تعالى عنهمْ لَّما استجابوا : ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴾ (الأعراف:١٣٧) .

قالَ الحسن البصري رحمه الله : « لو أنَّ النَّاسُ إذا ابتُلوا مِنْ قِبل حُكامهم صبروا ما لبثوا أن يرجع الله عزَّ وجلَّ ذلك عنهم وذلك أنَّهمْ يفزعون إلى السيف فيوكلون إليه ، ووالله ما جاءوا بيوم خير قط » . [٢]

---

(١) وليست بأول قلة أدب أهل البدع ، فلهم مواقف مثل هذه مع الصحابة رضي الله عنهم .

(٢) أخرجه ابن سعد فى « طبقاته » (٧/ ١٦٤) ، والآجري فى « الشريعة » (١/ ١٥٨) بإسنادٍ ثابت بما أخرجه ابن سعد (٧/ ١٦٤) بإسنادٍ صحيحٍ عنه أنه قال لما أراد الناس خلع الحجاج : « أيها الناس إنه والله ما سلط الله عليكم الحجاج إلا عقوبة فلا تعارضوا عقوبة الله بالسيف ، ولكن

وهذا فى إمارةِ يزيدَ بنِ المهلَّبِ .

فهلْ رأى الناسُ غيرَ هذا ؟ وحدِّثْ عنِ المفاسدِ ما شئتَ ، فهلْ منْ معتبرٍ ؟!

قال الآجريُّ بعدَ روايةِ هذا الخبرِ المفيد للصبر على جَورِ الأئمة :

« فمنْ كانَ هذا وصفُهُ كانَ على الصِّراطِ المستقيمِ إنْ شاءَ اللهُ » .

بماذا يجيب مَنْ يضعِّفُ روايةَ مسلمٍ عنْ هذه الشواهدِ ، وغيرها مع نصوص الأئمة ، اللهُ المستعان .

قالَ الآجريُّ فى التعليقِ على أثرِ عمرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ السالفِ :

« مَنْ أمَّر عليكَ منْ عربيٍّ أو غيرِهِ أسودَ أو أبيضَ ، أو أعجميٍّ ، فأطعهُ فيما ليسَ لله عزَّ وجلَّ فيه معصيةً ، وإنْ ظلمَكَ حقاً لكَ ، وإن ضربَكَ ظلماً لكَ وانتهكَ عرضَكَ وأخذَ مالكَ ، فلا يحملُكَ ذلكَ على أنْ تخرجَ عليهِ سيفكَ حتَّى تقاتلهُ ، ولا تخرجْ معَ خارجيٍّ تُقاتلهُ ، ولا تحرِّض غيركَ على الخروجَ عليهِ ولكنْ اصبرْ عليه » . اهـ ، فهذا إمام سلفي مقدم وأمثاله كثير .

فأينَ أولئكَ منَ التحقيقِ العلميِّ وما كانَ عليهِ السَّلفُ خيرُ القرونِ ، معَ أنَّ

.....

عليكم السكينة والتضرع ، وأما ما ذكرت من ظني بأهل الشام فإن ظني بهم أن لو جاءوا فألقمهم الحجاج دنياه لم يحملهم على أمرٍ إلا ركبوه ، هذا ظني بهم » ، وهذا يقوي ما قبله .

وكلامه ﷺ هذا يدل على فراسته ، فإن الحامل لأكثر الخارجين هو هذا المال والدنيا ، بل منهم من يصرِّح بهذا ، وكثير ممن يصرحون بأنهم يخرجون من أجل الدين إنما يستميلون قلوب الناس بهذا ، وإلا فإنك تعرف نواياهم بفعلهم وفى لحن قولهم ، والله الموفِّق .

الإجماعَ قد انعقدَ على هذهِ العقيدةِ وبدَّعَ أحمدُ بنُ حمبلٍ ، وعليُّ بنُ المدينيِّ وغيرهما ، مَنْ قالَ بحلِّ قتالِ السُّلطانِ أو الخروجِ عليهِ ! ومنهم من أطلق على الخارجين خوارج ؛ كابن عبد البر ﷺ وغيره ، وبينته فى غير هذا الموطن .

يُضعّفُ ذاكَ الدَّعيُّ حديثَ حذيفةَ ﷺ - وهو فى صحيح مسلم - لهوىً عندَه أنْ ليُسوِّغ لخارج الخروجَ على الأئمةِ والطعنِ عليهمْ والجهرِ والتَّشهيرِ بعيوبهمْ علانيةً.

كأنِّي أراهمْ وقدْ صدقَ فيهْ قولُ أبي إدريسَ الخولانيِّ التابعيُّ ﷺ وهوَ يقصُّ فى زمانِ عبدِ الملكِ يقولُ :

« إيَّاكمْ والطعنَ على الأئمةَ فإنَّ الطعنَ عليهمْ هيَ الحالقةُ حالقةُ الدِّينِ ليسَ حالقةُ الشَّعرِ ، ألا إنَّ الطعانينَ همُ الخائبونَ وشرارُ الأشرارِ » .

وقد أخرج ابن أبي عاصم [1] بإسنادٍ يحسن عن أبي الدرداء ﷺ قال : « إياكم ولعن الولاة ، فإن لعنهم الحالقة ، وبغضَهم العاقرة ، قيل : يا أبا الدرداء ؛ فكيف نصنع إذا رأينا منهم ما لا نحب ؟ قال : اصبروا ، فإن الله إذا رأى ذلك منهم حبسهم عنكم بالموت » .

لقدْ قالَ رسولُ الله ﷺ : « **مَنْ كانَتْ عندَهُ نصيحةٌ لذيِ سلطانٍ فليأخذْ بيدِهِ فينصحهُ فإنْ قبلَهَا وإلَّا كانَ قدْ أدَّى الذى عليهِ** » ، وهو حديثٌ حسنٌ خرجتهُ مع هذه الأدلة وغيرها فى « **التوضيحاتِ الجلية** » .

فكلْ هؤلاءِ الذينَ يصرخونَ ويولولونَ ويصخبونَ ويحتشدونَ ويعتصمونَ فى

(١) فى « السنة » (١٠١٦) ، وفى إسناده أبو اليمان الهوزي ، روى عنه جمع من الشاميين .

الميادينِ العامةِ نساءً ورجالاً مسلمينَ وكفاراً ، صالحينَ وفاسدينَ ، ومغمورين ومرموقينَ ، هلْ هؤلاءِ قاموا بما فى هذه الأحاديث معَ حاكِمِهمُ الذى يخرجونَ عليهِ ؟!

وبماذا يجيبُ أولئكَ أيضاً على حديثِ ابن عباسٍ رضي الله عنهما مرفوعاً : « **مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْراً فَمَاتَ عَلَيْهِ إِلاَّ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً** »[1] ؟!

وبماذا يجيبونَ على أثرِ عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه وقوله لسعيد بن جمهان : « إن كان السلطان يسمع منك فائته فى بيته فأخبره بما تعلم ، فإن قبل منك وإلا فدعه فإنَّك لست بأعلم منه » .

وبماذا يجيبون على قول ابن عباس رضي الله عنهما لسعيد بن جبير : « لا تغتب إمامك » ؟

وفى رواية : « لا تعب إمامك » ؟ هل هذا يتفق مع ما يصنعون ؟!

المؤلف رحمه الله يقولُ :

« وتركُ الخروجِ عندَ تعدِّيهمْ وجَوْرِهِمْ والتوبةُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ كَيْمَا يعطفْ لَهُمْ رعيَّتِهِمْ » .

الخروجُ على الحُكَّامِ لا يجوز إلا بشروطٍ :

(١) وهو فى صحيح مسلم (١٨٤٩) .

الأوَّلُ : أنْ يكونَ الحاكمُ وقعَ فى الكفرِ البواحِ الذى عندنَا منَ الله فيهِ برهانٌ ، والحاكمُ على وجهِ الخصوصِ لا يكفرُ بتأويلٍ بلْ لا يُكفَّرُ إلا بما هو صريحٌ واضحٌ، لقول عبادة بنِ الصامتِ ﷺ : « بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فِى مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا ، وَعُسْرِنَا ، وَيُسْرِنَا ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا ، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ ، إِلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً ، عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ » .(١)

ويُمنعُ العامةُ وصغارُ طلابِ العلمِ منْ تكفيرِ الحاكم .

لقولهِ ﷺ : « **عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ** » ، وأولئكَ ليسوا منْ أهلِ الحجج والبرهان الذى ذكرَ رسول الله ﷺ ، فلا يُقلَّدُ العلماءُ فى التكفيرِ ؛ لأَنَّهُ لا حاجةَ للمقلِّدِ فى تكفيرِ الحكَّامِ ، ولا يكونُ الخروجُ عليهِ لما دونَ الكفرِ منَ الفسوقِ والعصيانِ بمفهومِ المخالفةِ فى قولهِ : « **تروا كفراً** » أي : غيرُ الكفرِ لا يُخْرَجُ عليهِ منْ أجلهِ .

لا يُخرجُ عليهِ إذا تعاطى المحرَّماتِ ، أو ارتكبَ فسقاً منْ أكلِ مالٍ ، أو ظلمِ إنسانٍ ، أو الاعتداء عليه ، أوْ إبرامِ معاهدةٍ محرَّمةٍ ، أو ما شابهَ ذلكَ من الفسادِ المتعلِّقِ بهِ أو ببطانتهِ ، أو بمنْ يوليهمْ على الأمورِ فتنبَّهْ .

وخلاصة هذا الشرط :

أن الخروج على الحاكم لا يكون لمجرد المعصية ، فلابدَّ أنْ يكونَ الحاكمُ وقعَ فى كفرٍ بواحٍ ، وعندنا منَ الله فيهِ البرهانُ ، ويكون هذا البرهان على ألسنة العلماء

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٥) ، ومسلم (١٧٠٩) .

لا ألسنة العامة .

الشَّرطُ الثاني :

أنْ يكونَ هناكَ قدرةٌ فعلاً على التَّغييرِ ، لا وهمُ القدرةِ ، فإن الشجاع يرى فى قوته أكثر من الحقيقة ، وقد يحسب التهوُّر شجاعة ، فإيَّاكَ إيَّاكَ والوهمَ فى هذا .

لابدَّ أنْ يكونَ ثمَّ قدرةٌ على التَّغييرِ لئلَّا ينقلبَ الفسادُ إلى ما هوَ أفسدُ منهُ ، والمنكرُ إلى منكرٍ أعظمَ ، والشرُّ إلى أشرٍّ منهُ ، هذه قاعدة الشرع المستقرة ، وعمومُ الشَّريعةِ تؤيِّدُ هذا ، ولذلكَ صبرَ النبي ﷺ والصحابةُ على القادةِ الكفَّار عبدةِ الأصنامِ فى مكَّةَ ، وهم أشجع الناس .

الثالث : أن يكونَ هناكَ منْ يحلُّ محلَّهُ بلا فتن ، وإلا فقدْ ينزاحُ هذا الحاكمُ الكافرُ ويتنازعُ الناسُ فيحلُّ محلَّه منْ هوَ أكفرُ منهُ بمراحلَ ، فتكونَ المفسدةُ فى الخروجِ عليهِ أعظمُ منْ بقائِهِ ، وقدْ ينعزلُ هذا الكافرُ فتكونُ الدَّولةُ دُولٌ وتتمزَّق دويلات ويعيث فيها الكفار فساداً ، وقدْ ينعزلُ فتتفرَّق الدولةُ إلى قبائلَ وعشائرَ وقُرَى ومُدنٍ ، كلٌّ منها تستقلُ برئيسٍ ، فيحصل التنازع والفشلُ وذهابُ رائحةِ القومِ .

كما قالَ تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأنفال) .

فبعد أن كانَ كافراً ربَّما مختلفٌ فى كفرهِ صارَ الحاكمُ كافراً يهودياً أو نصرانياً ، ويتم احتلالُ الدولةِ وأكلُ ثرواتِها ونهبُ خيراتِها ، وإفسادُ دينِها ، والمفاجأةُ أنَّ

الخارجَ بحجَّةِ الظلمِ والطغيانِ وتطبيقِ شرعِ الرحمن والتستُّرِ بالإسلامِ والشَّريعةِ ومنهجِ سلفِ الأمة وحلولِ الإسلامِ ، اكتُشفَ أنَّهُ عميلٌ لأهلِ الكفرانِ ينفذ خططهم بإحكام ، والشَعبُ المسكينُ يدفعُ الثمنَ ، وإلى اللهِ المشتكى منَ الخيانةِ للدِّينِ والشَّعبِ والإسلامِ باسم الإسلام والسُّنَّة !!

وليُعْلَمَ أنَّ المنكرَ الذى يُنْكَرُ على الحاكمِ نوعانِ :

الأوَّلُ : أنْ يكونَ على الحاكمِ فسادٌ أو منكرٌ خاصٌّ بهِ يفعلهُ معَ نفسهِ أو معَ بطانتهِ فيما بينهمْ وبينَ ربِّهِمْ .

فهذا لا يجوزُ إذاعتُهُ إذا هوَ قدْ أسرَّ بهِ ، بلْ يُنْصَحُ فيما بينَ الناصحِ وبينهُ .

فإنَّ فى نصيحتهِ على الملأ فضيحةٌ وتصدُّعُ بنيانِ وسُبَّةٌ فى ديارِ المسلمينَ ، تُشمِّتُ الأعداءَ ، وهيَ مقدِّمةٌ لخروجٍ مسلَّحٍ أو تأليبٍ وتمرُّدٍ على الولاةِ ، واعتصامات وإضرابات مخرِّبة .

فلا يُشَغَّبُ على الحاكمِ بذلكَ ولوْ لمْ ينتصح فتنبَّهْ .

وهو عينُ قولهِ ﷺ : "**مَنْ كانَتْ عندَهُ نصيحةٌ لذي سلطانٍ فليأخذْ بيدِهِ فينصحهُ فإنْ قبلَهَا وإلَّا كانَ قدْ أدَّى الذى عليهِ**" ، وقدْ تقدَّمَ الحديثُ .

النوعُ الثَّاني :

أنْ يكونَ منكراً عاماً فى شأن الدين يقتدِي الناسُ بهِ فيهِ قائماً فى ذاتِهِ ، والعامَّةُ يتأثرونَ بكبرائهِمْ ورؤسائهمْ منْ أصحابِ المناصبِ والأموالِ ، ولو كانُوا جُهَّالاً ، وفاكهةُ العامةِ التحدُّث فى الأمراءِ والملوكِ ، كما قيل : الناس على دين ملوكهم ،

فهذا الحاكمْ له حالتان : الأولى : أن يُعلم أنه يستجيبُ للنُّصحِ ، فهذا يُنصح سراً ، كما فعَلَ أسامةُ بنُ زيدٍ معَ عثمانَ بنِ عفَّانَ رضي الله عنهما ، حينَما قالَ : « لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِى وَبَيْنَهُ مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْراً لاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ » . (١)

وكما فعل سعدِ بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ .

حين قال : « فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ : يا رسول الله ؛ مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ » . (٢)

وكمَا فعلَ عبدُ الرحمنِ بن عوفٍ معَ عمر رضي الله عنهما فى موسم الحج .

فإنَّهُ قالَ لهُ وقد وجده يريد أن يقول مقالة حق خَشي عبد الرحمن رضي الله عنه أن تُفهم عنه على غير وجهها قالَ له : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ ، وَإِنِّى أَرَى أَنْ تُمْهِلَ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ ، فَإِنَّهَا دَارُ الْهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ ، وَتَخْلُصَ لأَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ وَذَوِى رَأْيِهِمْ » . (٣)

ولذلكَ أنكرَ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما على الحجَّاجِ فيما بينَهُ وبينَهُ . (٤)

الثَّانِي : أنْ يغلبَ على الظَّنِّ أو يتيقَّنَ أنَّهُ إذا قامَ بالإصلاحِ والنُّصحِ لهُ لا يستجيبُ ، فعلَى العالمِ أنْ يبيِّنَ الحقَّ للنَّاسِ - وهذا فيما إذا كان فى السكوتَ عنهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧) ، ومسلم (٢٩٨٩) .

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٨) ، ومسلم (١٥٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٢٨) .

(٤) كما فى صحيح البخاري (٩٦٦) .

فسادٌ لدينِ النَّاسِ - لا لدنياهُمْ لا تَنْسَى - .[١]

يجبُ على العالِمِ هنا أنْ يبيِّنَ الحقَّ للنَّاسِ حتَّى لا يضلُّوا أو يُبدَّلَ دينهُمْ ، فإنَّ حفظَ الدِّينَ للنَّاسِ أولى منْ حفظِ مقامِ الأفرادِ مهما كانَتْ مكانتُهُمْ ، وعلى هذا يُحْمَلُ ما فُعِلَ بحضرةِ الصَّحابةِ علناً بلا إنكارٍ ، فإنَّ مروانَ لَمَّا بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلاَةِ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ : الصَّلاَةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ ، فَقَالَ : قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « **مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ** »[٢] ، فظاهر هذا أنه كان علناً ولم ينكر عليه الصحابة ﷺ .

وأبو سعيدٍ ﷺ نفسه أنكرَ هذا على مروانَ .

ففي « صحيح مسلم » ﷺ : « فَإِذَا مَرْوَانُ يُنَازِعُنِى يَدَهُ كَأَنَّهُ يَجُرُّنِى نَحْوَ الْمِنْبَرِ وَأَنَا أَجُرُّهُ نَحْوَ الصَّلاَةِ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْهُ قُلْتُ : أَيْنَ الاِبْتِدَاءُ بِالصَّلاَةِ ؟ فَقَالَ : لاَ يَا أَبَا سَعِيدٍ قَدْ تُرِكَ مَا تَعْلَمُ ، قُلْتُ : كَلاَّ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ تَأْتُونَ بِخَيْرٍ مِمَّا أَعْلَمُ. ثَلاَثَ مِرَارٍ ثُمَّ انْصَرَفَ » .[٣]

---

(١) لأن النبي ﷺ قال عن أمور الدنيا : « اصبر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك » ، وقال بالسمع والطاعة فى حالة استئثارهم بالدنيا، وقد أمر الصحابة عند جور الأئمة بالصبر عليهم ، كما تقدم. فحينما تكون المفسدة فيما يتعلق بدنيا الناس فالعالم مأمور بتهدئة الناس لا يهيجهم ، ولا يتناول الحكام بسوء ما دامت المفسدة فى أمور الدنيا لا فى الدين .

(٢) أخرجه مسلم (٤٩) .

(٣) أخرجه مسلم (٨٨٩) .

وظاهر هذا أنه كان على الملأ ، ولكنه كان بأدب ودون إساءة ، فالخطابُ معهُمْ والإنكارُ عليهمْ يكونُ بأدبٍ ، كما فعلَ أبو شريحٍ العدويُّ حينما قالَ لأمير سيقاتل فى الحرم: « ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلاً قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ ». (١)

وكما فعل عائذ بن عمر ﷺ مع عبيد الله بن زياد . (٢)

وهوَ الذى فعلَهُ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ .

فأخرجَ البخاريُّ عنْ مروانَ بنِ الحكمِ قالَ : « شهدتُ علياً وعثمان بين مكة والمدينة ، وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما ، فلما رأى عليّ ذلك أهلَّ بهما جميعاً فقالَ : « لبيك بحجة وعمرة معاً ، فقال عثمان : تراني أنهى الناس عن شيء وأنت تفعله؟! (٣) فقالَ: ما كنتُ لأدعَ سُنَّة رسول الله ﷺ لقولِ أحدٍ من النَّاس ». (٤)

وكذا أبو سعيدٍ ﷺ مع مروانَ ، لَمَّا دخلَ ومروانُ يخطبُ وقامَ يصلِّي وقامَ الحرسُ يجلسوهُ فأبَى وذكرَ لهمْ الحديث . (٥)

---

(١) وحديثه فى صحيح البخاري (١٠٤) ، ومسلم (١٣٥٤) .

(٢) وحديثه فى صحيح مسلم (١٨٣٠) .

(٣) والواضح أن عثمان ﷺ كان يتأول أنهم إنما تمتعوا فى زمن رسول الله ﷺ معه لكونهم كانوا خائفين ، كما تدل عليه رواية مسلم (١٢٢٣) .

(٤) أخرجه البخاري (١٥٦٣) .

(٥) وهذا أخرجه الحميدي (٧٤١) ، والترمذي (٥١١) .

ومثله ما أخرجه ابن سعدٍ [١] بإسنادٍ حسنٍ عنْ خالدِ بنِ سميرٍ قالَ : « خطبَ الحجَّاجُ الفاسقُ فقالَ : « إنَّ ابنَ الزبيرِ حرَّفَ كتابَ الله ، فقالَ ابنُ عمرَ : كذبتَ كذبتَ كذبتَ – أى أخطأتَ – ما يستطيعُ ذلكَ ولا أنتَ معهُ ، قالَ : اسكُتْ فإنَّكَ شيخٌ قدْ خَرِفتَ وذهبَ عقلُكَ ، يوشكُ شيخٌ أنْ يُؤخَذَ فتُضربَ عنُقُهُ فيُجرَّ قدِ انتخفتْ خُصْيَتَاهُ يطوفُ بهِ صبيانُ أهلِ البقيع » . [٢]

ففي هذهِ الحالةِ إنَّما يُراعَى الدِّينُ فى المقدمةِ ، فإذا نَصَحَ النَّاسُ ولمْ يذكر الحاكمُ وتمَّ النُّصحُ فحسنٌ والحمدُ لله ، وإذا كانَ لا تتمُّ النَّصيحةُ إلا بذكرهِ فليذكرهُ ويعتذرْ عنهُ ، أو يقولُ : إنَّ الحجَّةَ فى كلامِ رسولِ الله ﷺ ، كلٌّ يؤخذُ منهُ ويردُّ عليهِ إلا رسولُ الله ﷺ ، السُّنَّة هكذا .

ويشترط أن لا ينقلب منكر الحاكم إلى منكر أكبر بسبب ذلك الإنكار ، ويمنع الناس من التأليب على الحاكم حتى لا يُتَخذ كلامُ المنكِر ذريعة للخروج عليه أو التأليب عليه وإشاعة الفوضى والفتن ، فمن الناس من يصطاد فى الماء العكر وما أكثرهم ، وباسم الدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

لقدْ أخطأَ بعضُ الصَّحابةِ فى أمورٍ ولمْ يؤتَسى بهمْ فى خطئهمْ ، وليسوا معصومين .

فلا يُستخدمُ منْ هذا الخطأ دليلاً للتأليب على الحكام ، ولا للتشهيرِ بهمْ ،

---

(١) فى « طبقاته » (٤/ ١٨٤) .

(٢) وأبصره فإنه لم يرد على الإساءة له ببنت شفة ، إنما رد عن الدين .

ولا القيامِ عليهم ، لا ينكرُ المنكرِ عليهم للتشهي ولا للتشفي ولا لهوى ولا لنيل مراكزهم ومناصبهم ، ولذلك لما أنكرَ الصحابةُ لمْ يحصل منْ جُلّ إنكارهمْ خروجٌ ولا تأليبٌ ولا كان اعتصاماتٌ ولا ثوراتٌ ولا إضراباتٌ ولا شيءٌ منْ ذلكَ .

فانظر- رحمك الله - كيف ردَّ ابن عمر رضي الله عنهما على الحجاج لما ادَّعى على ابن الزبير رضي الله عنه تحريف الكتاب ؛ لكونها مسألة تمس الدين ، ولم يردّ لما شتمه وأسكته ؛ لكونها تمس شخصه ، وإن كان هو السيد المعظم المبجل ، مبجل الزمان رضي الله عنه .

فافهم هذا تُرشد ، ولذلك لما أصابه سنان الرمح بسبب إدخال السلاح الحرم ، أنكر عليه فيما بينه وبينه ، وقال له : « أنت أصبتني ، حملت السلاح فى يوم لا يُحمل فيه السلاح »[1] ، لم يُنكر عليه علناً ؛ لأن المسألة تمس شخصه لا الدين ، إلا من طرف لا يهم العامة كثيراً ويمكن إصلاحه بغير العلن .

والمقصودُ : الحكمةُ فى الإنكارِ على الولاةِ ، لا يُسكتُ عنْ خَطئِهم المتعلِّقِ بإفسادِ الدِّينِ ، ويؤمرُ ويُنهى بما فى الشَّرع ، وبالطريقةِ التى يقرُّها الشرعُ ، كما قدْ بيَّنَّا فى غيرِ هذا الموطنِ ، وقد جُمعت مواقف الإنكار على الحاكم الواردة عن السلف ، فإذا نظرت فيها مجتمعة تبين التوجيه الذى أرشدنا إليه ، وبه تجتمع الأدلة وتُحقَّق المصلحة ، وتُدرأ المفسدة ، ويظهر عظمة منهج السلف للمحرِّرين والباحثين والناظرين لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، والحمد لله الحميد المجيد .

ولذلكَ كانَ أحمدُ ينكرُ على المأمونِ وغيرِه البدعَ الظاهرةَ التى تضرُّ بالدِّينِ بلْ

---

(١) أخرجه ابن سعد فى « طبقاته » (٤/ ١٨٥) بسندٍ ثابتٍ .

البدع كفرية ، وهو معَ هذا يناديهِ : يا أميرِ المؤمنينَ ، ويدعو له ، ولَّما همَّ قومٌ بالخروجِ قالَ : « الدماءَ الدماءَ لا أرضى ذلكَ ولا أقومُ به ، الفتنةُ العامَّةُ تقطعُ السبيلَ وتستباحُ الأعراضَ ، وتنهبُ الأموالَ » ، فرضِيَ اللهُ عنهُ منْ إمامٍ ورحم اللهُ إخوانَهُ منَ الأئمةِ أهلِ الاعتدالِ ، وأدخلنا الجنَّةَ بهمْ وحشرنَا معهمْ اللهمَّ أمينَ اللهمَّ أمين .

ونصحهم كان جميلاً ..

فابن عمر رضي الله عنهما دخل على ابن عامر يعوده وهو مريض فقال له : « أَلاَ تَدْعُو اللهَ لِي يَا ابْنَ عُمَرَ ؟ قَالَ : إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « **لاَ تُقْبَلُ صَلاَةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلاَ صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ** » ، وَكُنْتَ عَلَى الْبَصْرَةِ » .(١) وتقدم نظائره .

واعلمْ أنَّ ما عليهِ العلماءُ هوَ تهدئةُ النَّاسِ فى الفتنِ ، أمَّا منْ يهيِّجُ ويحرِّضُ على الحُكَّامِ لظلمهم وجورهم ، فليسَ صنيعه صنيع العلماء ، وقدْ رأيتَ صنيعَ أحمدَ بن حنبلٍ رحمه الله معَ السائلِ الذى جاءَ يستأذنهُ فى الخروجِ على حاكم يبتدع بدعة مكفرة ويحمل الناس عليها بضرب السيف ووقع السوط ، وممن كان يضربهم ويسجنهم الإمام أحمد رحمه الله نفسه .

وهذه أقوال الصحابة رضي الله عنهم :

فعن صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ أَنَّهُ حَدَّثَ : « أَنَّ جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِ الله الْبَجَلِيَّ بَعَثَ إِلَى عَسْعَسِ بْنِ سَلاَمَةَ زَمَنَ فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ : اجْمَعْ لِى نَفَراً مِنْ إِخْوَانِكَ حَتَّى

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٤) .

أُحَدِّثَهُمْ . فَبَعَثَ رَسُولاً إِلَيْهِمْ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَ جُنْدَبٌ وَعَلَيْهِ بُرْنُسٌ أَصْفَرُ فَقَالَ : تَحَدَّثُوا بِمَا كُنْتُمْ تَحَدَّثُونَ بِهِ ، حَتَّى دَارَ الْحَدِيثُ فَلَمَّا دَارَ الْحَدِيثُ إِلَيْهِ حَسَرَ الْبُرْنُسَ عَنْ رَأْسِهِ فَقَالَ : إِنِّى أَتَيْتُكُمْ وَلاَ أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ بَعْثاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَإِنَّهُمُ الْتَقَوْا فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ وَإِنَّ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ قَالَ : وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ . فَقَتَلَهُ فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ : « **لِمَ قَتَلْتَهُ** » ، قَالَ :يَا رَسُولَ الله أَوْجَعَ فِى الْمُسْلِمِينَ وَقَتَلَ فُلاَناً وَفُلاَناً - وَسَمَّى لَهُ نَفَراً - وَإِنِّى حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ . قَالَ : رَسُولُ الله ﷺ : « **أَقَتَلْتَهُ** » ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « **فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » ، قَالَ : يَا رَسُولَ الله اسْتَغْفِرْ لِى ، قَالَ : « **وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » ، قَالَ : فَجَعَلَ لاَ يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ : « **كَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » . (١)

وعنْ نافعٍ قالَ : « جَاءَ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ الله بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ : اطْرَحُوا لأَبِى عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً ، فَقَالَ : إِنِّى لَمْ آتِكَ لأَجْلِسَ أَتَيْتُكَ لأُحَدِّثَكَ حَدِيثاً سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُهُ ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « **مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ لَقِىَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ**

(١) أخرجه مسلم (٩٧) ، واستنبط منه النووي نحو ما ذكرنا .

مَاتَ وَلَيْسَ فِى عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » . (١)

فخروجٌ بالكلمةِ ، بالسَّيفِ ، تعديد مساوئهِ والجهرِ بأخطائهِ على الملأِ ، كلُّ هذا من الخروجِ ، فلوْ قُتِلَ الحاكم - والحالةُ هذهِ - فهوَ قدْ أعانَ على دمهِ وأعانَ على الخروجِ عليهِ .

فقدْ أخرجَ ابنُ أبي شيبةَ (٢) بإسنادٍ حسنٍ عن هلالٍ بن أبي حميدٍ قالَ : قالَ عبدُ اللهِ بنُ عُكَيْمٍ : « لا أُعينُ على قتلِ خليفةٍ بعدَ عثمانَ أبداً ، قالَ : فقيلَ : أعنتَ على دَمِهِ ؟ قالَ : إنِّي أعدُّ ذكرَ مساوئِهِ عوناً على دمهِ » .

فإلى كلِّ منْ يُنادي بجوازِ الكلامِ فى الحكام وذكر مساوئهم :

إنكم تعينونَ على الخروج على الحكام ، ومن قُتل فقد تسبَّبتم فى الإعانة على دمه ، صنع قعدية الخوارج أخبث فرقهم الذين يزينون الخروج للناس بالكلام ولا يخرجون هم بسيوف .

كما فعل ذو الخويصرة التميمي حرقوص بن زهير إمامُهم إذ خرج بالكلمة ، وعدَّ البخاري والحافظ ابن حجر والجوزجاني وغيرهم ذلك خروجاً ، نعوذ بالله ممن يخرجون من ضئضئ هذا ، وقد توسعت فى هذا فى غير هذا الموطن .

الإمساك عن تكفير المسلمين

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥١) .

(٢) (٦/ ٣٦٢) .

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« **الإمساكُ عَنْ تكفيرِ أهلِ القبلةِ والبراءةُ منهمْ فيما أحدثُوا ما لمْ يبتدعُوا ضلالاً ، فمنِ ابتَدَعَ منهمْ ضلالاً كانَ عنْ أهلِ القبلةِ خارجاً ، وَمِنَ الدِّينِ مارقاً ، ويُتَقَرَّبُ إلى الله عزَّ وجلَّ بالبراءةِ منهُ ، ويُهجرُ ويُحتقرُ وتُجتنبُ غدَّتُهُ فهيَ أعدَى منْ [غدَّةِ الجَربِ] (١)** » .

المؤلِّفُ رحمه الله يدافعُ عنْ أهلِ القبلةِ ، فلا يُكَفَّرونَ ولا يُتبرَّأُ منهمْ فيما أحدثُوا منْ أخطاءٍ إلا إذا ابتدعُوا ضلالاً فيُحكمُ على الواحدِ بالخطأ ، فإذا بُيِّنَ لهُ ولمْ يرجِعْ فهوَ ضالٌّ مبتدعٌ ، وإذا كانَ مثلُهُ تبلغهُ الحُجَّةُ دونَ إقامتِهَا عليهِ كأنْ يعيشَ المرءُ بينَ منْ ينشرونَ المذهبَ فمثلُهُ لا يخفى عليهِ المنهجُ يُشدَّد عليه ؛ وأهلُ القبلةِ مصانونَ لا تحلُّ غيبتهمْ ولا التبّرء منهم ؛ إذ اللهُ تعالى قدْ قالَ : ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ (الحجرات:١١) أي : إخوانَكُمْ ، فإن ابتدع أو أخطأ فإنه يُعامل بما عامل به أهل السُّنَّة أهل البدعة والمخطئين .

ورسولُ الله ﷺ يقول : « **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى** » . (٢)

وقالَ ﷺ : « **إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً** » ، ثمّ شبَّك ﷺ بين

---

(١) كذا فى الكتاب المطبوع ، وفى « اجتماع الجيوش الإسلامية » (٢/ ١٦٩) فى جميع النسخ المطبوعة : « فهي أَعدَى من غِرَّةِ الحَربِ » .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) .

أصابعه .[١]

وقالَ ﷺ : « **كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ** » .[٢]

وقال ﷺ يوم النحر : « **إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِى شَهْرِكُمْ هَذَا فِى بَلَدِكُمْ هَذَا** » .[٣]

والأحاديثُ فى البابِ كثيرةٌ تُعظِّمُ حرماتِ المسلمينَ ، نعوذُ باللهِ من تجاوزها وغفرَ اللهُ الزَّللَ .

فشاربُ الخمرِ أخٌ ، وقدْ جلدَ رسول الله ﷺ فى شربِ الخمرِ .

ففي « صحيحِ البخاريِّ » من حديث أبي هريرة ﷺ قالَ : « أُتِىَ النَّبِىُّ ﷺ بِسَكْرَانَ ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ ، فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ : مَالَهُ أَخْزَاهُ اللهُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **لاَ تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ** » .[٤]

وأخرجَ البخاريُّ[٥] عنْ عمرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ : « أَنَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ النَّبِىِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الله ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَاراً ، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ الله ﷺ ، وَكَانَ النَّبِىُّ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١) ، ومسلم (٢٥٨٥) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) .

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨) .

(٤) أخرجه البخاري (٦٧٨١) .

(٥) برقم (٦٧٨٠) ، ومسلم .

ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِى الشَّرَابِ ، فَأُتِىَ بِهِ يَوْماً فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « **لاَ تَلْعَنُوهُ ؛ فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ** » .

فالأخوَّةُ الإسلاميَّةُ ماضيةٌ حتَّى فى حالةِ القتالِ والعقوبات ، سُمِّيَ أخاً كما فى قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحجرات) .

وقالَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ (البقرة) .

وقد خالف فى هذا الأصل الخوارج والمعتزلة .

فقال الأُول : هم كفار مخلدون فى نار الجحيم بمعاصيهم ، أو بإصرارهم على المعاصي .

وخالفهم المعتزلة : فقالوا بكفرهم ، لكنهم فى منزلة بين المنزلتين ، لا أهل إيمان ولا أهل كفر ، وهم يوم القيامة مخلدون فى النار .

خالفوا فى هذا الأصل ، كما خالفوا أهل السُّنَّة فى الخروج على حكام الجور

والظلم .

وهؤلاء الخوارج الموصوفون فى حديث رسول الله ﷺ بـ « **يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم** » ، كما فى « الصحيح » وغيره ، لا تقوم لهم قائمة فى كل زمان إلا وتُقطع ويُسامون سوء العذاب ، ويُلَبِّسُون على الناس الأمور ، ويخدعونهم فى كل زمان بالتلبيس والتشويه وإيراد الشبه حتى يظهر فى عراضهم الدجال عليه لعنة الله .

يدل على ذلك :

ما أخرجه ابن ماجة (١٧٤) ، وابن عساكر فى « تاريخه » (١/ ١٦٣) عن هشام ابن عمار قال : حدثنا يحيى بن حمزة ، قال : حدثنا الأوزاعي ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **ينشأ نشء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، كلما خرج قرن قطع** » ، قال ابن عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة ، حتى يخرج فى عراضهم الدجال** » بإسنادٍ حسن .

وقولهُ : « **مَا لمْ يبتدعُوا ضلالاً** » .

كلُّ منِ ابتدعَ بدعةً فى الدِّينِ ضلَّ ؛ لقولهِ ﷺ : « **وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ** » .

فالابتداعُ ضلالٌ .

الحقوقُ التى للمسلمِ كثيرةٌ وهيَ كلُّها للمسلمِ السنيِّ كاملة .

فإذا ابتدعَ هذا المسلمُ بدعةً ، فإنْ كانتْ مكفرةً حُكمَ عليهِ بالرِّدَّةِ ، كبدعةِ الرفضِ والجهمِ والاعتزالِ معَ الاحترازِ منْ حالِ المعيَّنِ فإنَّ لتكفيرهِ ضوابطُ .

وإذا كانتْ بدعةً دونَ الشِّركِ فيحكمُ على العملِ بالبدعةِ ، وإنْ أقيمت عليه الحُجَّةَ ولمْ يرجعْ يُبَدَّعُ ، فإذا بُدِّعَ عُومِلَ بما يعامَلُ بهِ المبتدعُ مما أشارَ إليهِ المؤلِّفُ منَ الهجرِ والاحتقارِ والبعدِ عنْ مجالستهِ وموادتهِ ومناكحتهِ ، بل وعدمِ إلقاء السَّلامِ عليهِ ما أمكنَ ، فإنَّهمْ أعدى من غُدَّة الجربِ ، كما قالَ المؤلِّفِ رحمه الله ، وهو منهج مجمعٌ عليهِ عند السلف والخلف ، لكن أهل البدع يوردون الشُبه كيلا يُبَدَّعُوا ، فاحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما ورد عن السلف رضي الله عنهم .

وهذهِ أقوالُ أهلِ العلمِ فى معاملتهم ، والأدلة فى ذلك كثيرة:

قالَ البغويُّ رحمه الله : (١)

« مضتِ الصحابةُ والتابعونَ واتباعُهُمْ وعلماءُ السُّنَّةِ على هذا مجتمعينَ متفقينَ على معاداةِ أهلِ البدعةِ ومهاجرتهمْ » .

وقال الصابونيُّ رحمه الله : (٢)

« هذه الجُمَلُ التى أثبتُّها فى هذا الجزء كانتْ معتقدُ جميعهمْ ، لمْ يخالفْ فيهابعضهمْ بعضاً ، بلْ أجمعوا عليها كلِّها واتفقوا معَ ذلكَ على القولِ بقهرِ أهلِ البدعِ وإذلالِهِمْ وإخزائِهمْ وإبعادِهمْ وإقصائهمْ ، والتَّباعدِ منهمْ ومنْ مصاحبتهم ومعاشرتِهمْ والتَّقربِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ بمجانبتِمْ ومهاجرتِهمْ » .

وقدْ قالَ شيخُ الإسلامِ رحمه الله : (١)

---

(١) فى « شرح السنة » (١/ ٢٢٧) .

(٢) فى « عقيدة السلف وأصحاب الحديث » (ص٩٦) ط . مكتبة ابن عباس – مصر .

« إنَّ الدعاةَ إلى البدعِ لا تُقبلُ شهادتُهمْ ولا يُصَلَّى خلفَهُمْ ولا يُؤخذُ عنهمُ العلمُ ولا يُناكَحونَ ، فهذهِ عقوبةٌ لهمْ حتَّى ينتَهُوا » .

وثمَّ أقوالٌ كثيرةٌ فى هذا ذكرتُها فى كتابي « ذم أصحاب البدع وأهلها وكيفية التعامل معهم » يسَّرَ اللهُ طبعَهُ ، حتَّى أنَّ بعضَ أهلِ العلمِ ألحقَ منْ ماشاهُمْ واتَّخذهمْ أخداناً بهم وإنْ كانَ هوَ منْ أهلِ السُّنَّةِ ، فراجعِ الموطنَ المشارَ إليهِ فقدْ فصَّلتُ ذلكَ هناكَ والحمدُ للهِ .

والمقصودُ :

أنَهُ لا يجوزُ الكلامُ فى أهلِ القبلةِ إلَّا بموجبٍ إنْ كانتْ بدعتُهُ أو مخالفتُهُ بمكفر ، حُكِمَ عليهِ بها ، وإنْ كانتْ بدعتُهُ بدعةً غيرَ مكفرةٍ فإنَّهُ يُعاملُ بما فى الكتابِ والسُّنَّةِ من معاملة مثله .

وقدْ أُلِّفَتْ فى هذا البابِ مؤلفاتٌ (أعني فى البدع) ، وثمَّ لها تقسيماتٌ وتفريعاتٌ ، وبِدعٌ اعتقاديةٌ وبدعٌ عمليَّةٌ ، وبدعٌ إضافيَّةٌ .. إلى غير ذلك .

والهجرُ لأولئكَ مشروعٌ بنيَّةٍ حسنةٍ هذا من الدين ، وقدْ أوضحتُ المتعلِّق بهذا فى كتابي المشار إليه ، فليراجعه مَنْ أرادَ ، واللهُ الموفِّقُ .

والهجرُ للعاصِي والمبتدعِ إنَّما يكونُ للمصلحةِ وليسَ فى الدِّينِ مصاحبةُ أهلِ البدعِ دونَ إنكارٍ عليهمْ ، واللهُ الموفِّقُ .

.....

(١) فى « مجموع الفتاوى » (٢٨/ ٢٠٥) .

وقولهُ : « **كغدةِ الجَرَبِ** » .

أي : مَن صاحبه أو التصق به أعداه بمرضه وأصابه ما يصيب الجليس السوء .

كما يعدي الأجرب من اقترب منه ، وهو وصف مناسب من المؤلِّف رحمه الله ، فالشرع يحض على عدم مجالسته لئلا يصاب المرء من أثر مخالطتهم . فتنبَّه

عند ابن القيم رحمه الله فى « اجتماع الجيوش الإسلامية » النص :

« **من غِرَّة الحرب** » .

أي : أعدى من شِرَّة الحرب فى أولها ، وهي بداية الفساد ، فكأنه يقول : تجتنب غُرَّته فهي أفسد من بداية فساد الحرب ، والله أعلم .

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« **ويُقالُ بفضلِ خليفَةِ (١) رسول الله ﷺ أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه فهوَ أفضلُ الخلقِ وأخيرُهُمْ بعدَ النبيِّ ﷺ** » .

الشرح :

(١) وفى « اجتماع الجيوش الإسلامية » : « ويقال : يُفَضَّل خليفةُ ... » .

مِنْ فضلِ أبي بكرٍ قولهُ ﷺ : « **لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُهُ** » ، أَنْزَلَهُ أَباً يَعْنِى أَبَا بَكْرٍ .(١)

وهوَ منَ السابقينَ وكانَ رفيقاً لرسولِ الله ﷺ فى الهجرةِ ، وذكرَهُ اللهُ فى كتابهِ ، وهوَ أحبُّ النَّاسِ إلى رسولِ الله ﷺ .

فقدْ سُئِلَ رسول الله ﷺ : « أيُّ النَّاسِ أحبُّ إليكَ ؟ قالَ : « **عَائِشَةُ** » ، قيلَ : منَ الرِّجَالِ ؟ قال : « **أَبُوهَا** » ، قيل : ثمَّ مَنْ ؟ قال : « **عُمر** » .(٢)

وقولُ المزني رحمه الله : « **أفضلُ الخلقِ وأخيرُهُمْ** »

أي : بعدَ الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ .

وقدْ قالَ رسول الله ﷺ : « **إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِى صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِى لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِى الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلاَ سُدَّ إِلاَّ بَابُ أَبِى بَكْرٍ** » .(٣)

والأدلةُ فى ذلك كثيرةٌ .

وقدْ قدَّمَهُ رسول الله ﷺ فى مرضِ موتِهِ ليُصلِّي بالمسلمينَ ، فقالَ : « **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ** » .(٤)

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٨) ، ونحوه عنده أيضاً (٦٧٣٨) ، وهو عند مسلم بنحوه .

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٢) ، ومسلم (٢٣٨٤) .

(٣) **صحيح** . أخرجه البخاري (٤٦٦) ، ومسلم (٢٣٨٢) .

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥٤) ، ومسلم (٢٣٨٢) .

وهذا دليلٌ على أفضليةِ أبي بكرٍ ﷺ المطلقةِ بعدَ رسولِ الله ﷺ .

وقدْ وردَ عنْ عمرَ ﷺ قالَ : « لوْ وُزِنَ إيمانُ أبي بكرٍ بإيمانِ أهلِ الأرض لرجحَ بِهِمْ » .(١)

وإسنادهُ رجالهُ معدَّلونَ عن عمرَ ﷺ موقوفاً .

وصحَّحَ سندهُ الشَّوكانيُّ فى « الفوائد المجموعة » (٦٠) موقوفاً وهوَ كذلكَ ويؤيده .

وفى « صحيحِ البخاريِّ »(٢) قولُ عمرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ للملأِ منَ الصَّحابةِ : « وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِى بَكْرٍ » .

وقدْ قالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ : « خيرُ هذِهِ الأمَّةِ بعدَ نبيِّهَا أبو بكرٍ ثمَّ عمرُ ثمَّ عثمانُ » .(٣)

وفى « صحيحِ البخاريِّ »(٤) عنْ ابنِ عمرَ ﷺ قال : « كُنَّا فِى زَمَنِ النَّبِىِّ ﷺ لاَ نَعْدِلُ بِأَبِى بَكْرٍ أَحَداً ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِىِّ ﷺ لاَ نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ » .

وفى روايةٍ عنِ ابنِ عمرَ ﷺ : « كُنَّا لا نعدُّ ورسولُ الله ﷺ حيٌّ وأصحابُهُ

---

(١) وقد ذكره الدارقطني فى « العلل » (٢/ ٢٢٣) .

(٢) (٦٨٣٠) .

(٣) وقد خرجته فى تحقيقي لكتاب « المصاحف » لابن أبي داود ، وهو ثابت صحيح .

(٤) برقم (٣٦٩٧) .

متوافرونَ أبو بكرٍ ثمَّ عمرُ ثمَّ عثمانُ ثمَّ نسكتُ » .(١)

فهذا مصداقٌ لما قالَ المؤلِّفُ رحمه الله .

وكانَ أبو بكرٍ يُعينُ رسولَ الله ﷺ بالمالِ ، فهوَ أمَنُّ النَّاسِ على رسولِ الله ﷺ ، وكانَ يذبُّ عنْ رسولِ الله ﷺ أذى المشركينَ ، فلهُ يدٌ عندَ رسولِ الله ﷺ يجزيهِ اللهُ بها ، وكانَ مرافقاً لرسولِ الله ﷺ فى الغزواتِ ، وكانَ الصحابةُ رضي الله عنهم لا يقدِّمونَ عليهِ أحداً إذا غابَ رسولُ الله ﷺ .

وكانَ رسولُ الله ﷺ يُسِرُّ إليهِ مَا لمْ يُسِرُّهُ إلى غيرِهِ ، وكانَ رسولُ الله ﷺ يستشيرُهُ فى كثيرٍ منَ الأمرِ ، وكانَ جليساً لرسولِ الله ﷺ دائماً ، فهوَ أفضلُ الأممِ بعدَ الأنبياءِ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ .... إلى غير ذلكَ ، بل كانَ يقولُ ﷺ للمرأةِ إذا لمْ تجدهُ : « **إنْ لمْ تجديني فأتي أبا بكرٍ** » ، وسيأتي مزيدٌ .

أما الروافض فقد جمعوا مع سوء الأدب سوء الاعتقاد ، فلم يعترفوا بخلافة أبي بكر رضي الله عنه ، ومنهم مَن سبَّه ، ومنهم من غلا فى علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى قدَّمه عليه رضي الله عنه ، وكل هذا انحراف وضلال عن منهج أهل السُّنَّة ، نسأل الله السلامة .

قالَ المؤلِّفُ :

« وَتُثَنِّي بعدَهُ بالفاروقِ وهوَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه ، فهما وزيراَ رسولِ الله ﷺ وضجيعاهُ فى قبرِهِ وجليسَاهُ فى الجنَّةِ ، وَتُثَلِّثُ بذِي النُّورينِ عثمانَ بنِ عفَّانَ رضي الله عنه » .

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد فى « السنة » (١٣٥٠) ، وأورد عقبه عدة أسانيد بنفس المعنى .

الشرحُ :

تقدَّمَ ذكرُ عمرَ بعدَ أبي بكرٍ وبعدَهُ عثمانُ ﷺ ، وأجمعتِ الأمَّةُ على عمر ﷺ بعدَ أبي بكرٍ ﷺ ، وكانَ عمرُ ﷺ لا يخرجُ عنْ قولِ أبي بكرٍ ﷺ ، إذا أسكَتَهُ سَكَتَ ، وسُمِّيَ الفاروقَ ؛ إمَّا لكونهِ فرَّقَ اللهُ بهِ بينَ الحقِّ والضَّلالِ ، أوْ لأنَّ الشيطانَ كانَ يفرُقُ منهُ .

فقدْ قالَ رسول الله ﷺ : « **وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكاً فَجًّا إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ** » .(١)

وكثيراً ما كانَ يذكر رسول الله ﷺ ويُتبعُ بأبي بكرٍ وعمرَ ﷺ ....

قالَ ابنُ عمرَ ﷺ : « كانَ رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمرَ ﷺ يُصلُّونَ العيدَ قبلَ الخطبةِ » .(٢)

وقالَ : « صلى رسول الله ﷺ - يعني ركعتين - وأبو بكرٍو عمر » .(٣)

يقتدي الصحابة بهما .

وقالَ رسول الله ﷺ حينَما بلغُه كلامُ البقرةِ : « إِنِّى لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا وَلَكِنِّى إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ » وتعجب الناس : « **آمنتُ بهِ أنا وأبو بكرٍ وعمرُ** » .(٤)

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٣) ، ومسلم (٢٣٩٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٩٦٣) .

(٣) أخرجه البخاري (١٦٥٥) .

(٤) أخرجه البخاري ، ومسلم (٢٣٨٨) .

وأخذَ الذِّئبُ شاةً فتبعَهَا الرَّاعي ، فقالَ لهُ الذِّئبُ : مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ ، يَوْمَ لاَ رَاعِيَ لَهَا غَيْرِى ، قَالَ ﷺ : « **آمَنْتُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ** » . (١)

وقالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه : « **إِنَّ النَّبِىَّ ﷺ صَعِدَ أُحُداً وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ ، فَقَالَ : « اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِىٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ** » . (٢)

وأخرجَ البخاريُّ رحمه الله (٣) عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قالَ : « إِنِّى لَوَاقِفٌ فِى قَوْمٍ ، فَدَعَوُا اللهَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ ، إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِى قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِى ، يَقُولُ : رَحِمَكَ اللهُ ، إِنْ كُنْتُ لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ ، لأَنِّى كَثِيراً مِمَّا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . فَإِنْ كُنْتُ لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَهُمَا . فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ » .

فهكذا أبو بكرٍ وعمرُ ضجيعا رسولِ الله ﷺ فى قبرِهِ ، دُفِنَا رضي الله عنهما معهُ ﷺ ، مصداقاً لما قال المؤلف رحمه الله : « **وضجيعاهُ فى قبرِهِ** » .

أخرجَ أحمدُ (٦/ ٢٠٢) ، ومن طريقِهِ الحاكمُ (٣/ ٦١) بإسنادٍ صحيحٍ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت : « كنتُ أدخلُ بيتي الذى دفن فيهِ رسول الله ﷺ وأبي فأضع ثوبي فأقول : إنما هو زوجي وأبي ، فلما دُفن عمر معهم فوالله ما دخلت إلا وأنا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٢٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٥) .

(٣) فى « صحيحه » (٣٦٧٧) .

مشدودة عليَّ ثيابي حياءً من عمر » .

فهذا دليل على دفنهما معه ، ودليل على حبهما له والعكس .

وقولهُ : « **وجليساهُ فى الجنَّةِ** » .

والمرءُ معَ مَنْ أحبَّ فى الآخرة ، فهما معه ﷺ من هذا الوجه .

ففي « صحيحِ البخاريِّ »(١) قولهُ ﷺ : « **الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ** » .

وقدْ سُئلَ النبيُّ ﷺ : الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ ، قَالَ : « **الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ** » .(٢)

وقالَ لرجلٍ : « **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** » .(٣)

وعثمانُ ﷺ كانتْ بيعتُه بإجماعِ المسلمينَ ، كما قالَ أحمدُ ﷺ .

وصحَّ لعثمان ﷺ يدخلُ الجنَّة بشفاعتهِ منْ أمَّةِ محمدٍ ﷺ مثلُ أُحدٍ الحيين ربيعةَ ومُضرَ .(٤)

وسُمِّيَ بذي النُّورينِ ؛ لأنَّهُ تزوجَ ابنتي رسول الله ﷺ ، واحدةً بعد الأخرى ، لقربهِ من رسولِ الله ﷺ وفضلِهِ ودُنُوِّهِ منهُ ﷺ.

---

(١) **صحيح**. أخرجه البخاري (٦١٦٨) ، ومسلم (٢٦٤٠) عن ابن مسعود ﷺ .

(٢) أخرجه البخاري (٦١٧٠) ، ومسلم (٢٦٤١) عن أبي موسى ﷺ .

(٣) أخرجه البخاري (٦١٧١) ، ومسلم (٢٦٣٩) عن أنس ﷺ .

(٤) **فى حديث صحيح لشواهده** عن رسول الله ﷺ، وقد خرجته فى « الفوائد النيرة » (٧٧٨) .

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« ثمَّ بذي الفضلِ والتُّقَى عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهمْ أجمعينَ » .

فضائلُ عليٍّ رضي الله عنه كثيرةٌ جداً جَمَّة أكثرُ منْ أنْ تُذْكَرَ فى هذا المقام ، فهوَ رابعُ العَشَرةِ المبشَّرينَ بالجنَّةِ .

ومنهجُ أهلِ السُّنَّةِ أنَّهُ الإمامُ الرابعُ بعدَ عثمانَ بنِ عفَّانَ رضي الله عنهما ، وكانَ علي الحقِّ فى منازعةِ معاويةَ لهُ فى الطَّلبِ بدمِ عثمانَ رضي الله عنه ، وكانَ تقياً ومعهُ جلُّ الصَّحابةِ رضي الله عنهم أجمعين .(١)

وقدْ قالَ عمر رضي الله عنه : « وَأَقْضَانَا عَلِيٌّ » .(٢)

فلا يقول بتقديم عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه على عثمانَ إلا أهلِ البدعِ الذينَ يُسَمونَ بالعَلَوِيِّنَ ، ويلمزونَ منْ يقدِّمُ عثمانَ بالعُثمانيِّينَ .

ثمَّ غلا أولئكَ فرفعُوا علياً على عُمرَ رضي الله عنه ، ثمَّ فضلوهُ على أبي بكرٍ ، ثمَّ غلا بعضهم وفضَّلوهُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم واتَّهمُوا جبريلَ عليه السلام أنَّهُ أخطأَ بالوحيِ .... وهكذا الغلوُّ والبدعُ تبدأ صغاراً ثمَّ تكبرُ ، كما أشار البربهاري فى « شرح السنة » .

وهكذا غالُوا فِي آلهِ مِنْ بعدِهِ حتَّى ادَّعوا العصمةَ لهم ... وهكذا .

فعليٌّ رضي الله عنه صاحبُ الفضلِ لكونهِ منَ العشرةِ المبشرينَ ، وهوَ منَ الخلفاءِ

---

(١) كما بينتُ ذلك فى « التوضيحاتِ الجلية » .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٨١) .

الراشدينَ ، حبيب الله ، والله يحبه ، وكان بمنزلة النبي ﷺ كمنزلة هارون من موسى عليهما السلام .

قال الجويني رحمه الله :[١]

« ثمَّ المسلمونَ أجمعوا على إمامةِأبي بكرٍ رضي الله عنه ، وانقادوا بأجمعهم من غير مخالفة ، وكذلك جرى الأمر فى زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما ومعاوية وإن قاتل علياً فإنه كانَ لا يُنكر إمامتَه ولا يدَّعيها لنفسه ، وإنما كان يطلب قتلة عثمان رضي الله عنه ظاناً أنه مصيب وكان مخطئاً وعلى رضي الله عنه متمسِّك بالحق »

قولُ المزنيُّ رحمه الله :

« ثمَّ الباقينَ منَ العشرةِ الذينَ أوجبَ لَهُمْ رسولُ الله ﷺ الجنَّةَ » .

وقدْ أخرج الترمذيُّ [٢] بإسنادٍ ثابتٍ عنْ سعيد بن زيدٍ رضي الله عنه حدَّثهُ فى نفرٍ أنَّ رسول الله ﷺ قالَ : « **عشرةٌ فى الجنَّةِ : أبو بكرٍ فى الجنَّةِ ، وعمر فى الجنَّةِ ، وعثمان وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص** » ، قالَ : فعدَّ هؤلاءِ التسعةِ وسكت عن العاشرِ ، فقال القوم : ننشدكَ باللهِ يا أبا الأعورِ من العاشر ؟ قالَ : نشدتموني بالله ، أبو الأعورِ فى الجنَّة » .

---

(١) المتوفي سنة سنة ٤٧٨هـ ، فى كتابه « لمع الأدلة » (ص١٢٩) .

(٢) برقم (٣٧٤٨) وغيره من أصحاب السنن ، وله شاهد عند أحمد (١/ ١٤٧) بنحوه بإسنادٍ صحيحٍ خرجته فى « التوضيحات الجلية » .

ولأنَّ عمرَ ﷺ جَعَلَ الأمرَ شورَى فى السِّتَّةِ عثمانَ وعليٍّ والزبيرِ وعبد الرحمنِ بن عوفٍ وسعدٍ وطلحة ﷺ ففضَّلَهُمْ على مرأى ومسمعٍ منَ الصَّحابةِ ولمْ يعترضْ عليهِ معترضٌ ولمْ ينكرْ ذلكَ أحدٌ فكانَ إجماعاً .[1]

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« ونخلصُ لكلِّ رجلٍ منهمْ منَ المحبَّةِ بقدرِ الذى أوجبَ لهمْ رسولُ الله ﷺ منَ التفضيلِ ، ثمَّ لسائرِ أصحابهِ منْ بعدِهمْ رضيَ اللهُ عنهُمْ أجمعينَ » .

الشرحُ :

لا شكَّ أنَّ الصحابةَ متفاوتونَ فى المنزلةِ و الرِّفعةِ على حَسَبِ كثرةِ ما ذكرَ النبيُّ ﷺ لبعضِهِمْ مِنَ الفضلِ ، وكما قالَ سبحانَهُ : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (الحديد:١٠) .

ففضائلُ عمرَ ﷺ ليستْ كفضائلِ عثمانَ ﷺ بلْ أكثرُ .

وفضائلُ معاويةَ [2] ﷺ ليستْ كفضائلِ عليٍّ ﷺ ، وفضلُ أبي محذورةَ ليس

(١) وراجع حديثه بذلك فى صحيح البخاري (١٣٩٢) ، ومسلم (٥٦٧) لما طُعن .

(٢) وقد ذكرت فصلاً فى ذلك فى كتابي « شرح صدور الموحدين بذكر مناقب خال المؤمنين معاوية الأمين » ، فليراجعه من شاء ، أسأل الله أن ينفع به وأن يجعله غُصَّة فى حلوق المبتدعين .

كفضائلِ أبي هريرة ﷺ ... وهكذا .

وفى « الصحيح » قوله ﷺ : « **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْىَ ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ** » ، قَالُوا : فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : « **الدِّينَ** » .[١] فهذه أدلةٌ على المراد .

وفى فضل جملتهم ﷺ : قولهُ ﷺ : « **لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِى ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ** » .[٢]

وقدْ استدلَّ ابنُ حبَّانَ[٣] بهذا الحديث على أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ كلُّهم ثقاتٌ عدولٌ ، وهو استنباطٌ جيِّدٌ .

وهذهِ أدلةٌ على تفضيلِهم على من بعدهم .

وفى « مسند أحمد »[٤] بإسنادٍ ظاهرهُ الصحةُ عنْ أنسٍ ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قالَ: « **دعوا لي أصحابي فوالذى نفسي بيده لو أنفقتم مثل أُحدٍ أو مثل الجبال ذهباً ما بلغتُم أعمالهم** » .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣) ، ومسلم (٢٣٩٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي سعيدٍ الخدري ﷺ .

(٣) فى « صحيحه » (١٦/ ٢٣٨) .

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٦) ، وراجع تمام تخريجه والكلام على إسناده فى الطبعة الثالثة من كتابنا « التوضيحات الجلية » .

وفى « مسند أحمد »[١] بإسنادٍ حسنٍ أنَّ النبيَّ ﷺ سُئِلَ : أيُّ النَّاسِ خيرٌ ؟ قالَ : « **أنَا والذين معي ، ثمَّ الذينَ على الأثرِ ، ثمَّ الذين على الأثر** » .

وفى كتابِ الله : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفتح) .

وهذا المنهجُ عليهِ دلائلُ لا يأتي عليها الحصرُ ، ولذلكَ لَمَّا كانُوا كذلكَ جعلهُمْ اللهُ تعالى أماناً للأمَّةِ منَ الفِتَنِ والضَّلالِ والبدعِ والأهواءِ .

فأخرجَ مسلمٌ[٢] عنْ أبي موسَى أنَّ رسول الله ﷺ قالَ : « .... النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِى فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِى مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِى أَمَنَةٌ لأُمَّتِى فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِى أَتَى أُمَّتِى مَا يُوعَدُونَ » .

والمقصودُ :

أَنَّهُ ينبغِي أنْ نترضَّى عنْ كُلِّ مَنْ صَحِبَ النبيِّ ﷺ ونحبُهُ ولا نكرههُ لحَدَثٍ كانَ منهُ ، ولا نتناولُ ما كانَ بينَهُمْ منْ شجارٍ ، ونلتمسُ لهمْ فيهِ أحسنَ المخارجِ ، فالصَّحابةُ حَرَمٌ ، وراجع ما دوَّنتُهُ فى كتابي « شرح صدور الموحدين فى ذِكر مناقب

---

(١) (٢/ ٢٩٧ ، ٣٤٠) .

(٢) برقم (٢٥٣١) .

معاوية الأمين » ﷺ المشار إليه ، وسيشير الإمام المزني ﷺ إلى نحوه .

قالَ المزنيُّ ﷺ فى شأنِ الصَّحابةِ :

« ويُقالُ بفضلِهِمْ ويُذكَرونَ بمحاسنِ أفعالِهِمْ ونمسكُ عَنِ الخَوْضِ فيما شَجَرَ بينَهُمْ ، فهُمْ خيارُ أهلِ الأرضِ بعدَ نبيِّكُمْ ، ارتضاهُمُ اللهُ عزَّ وجلَّ لنبيِّهِ وخلقَهُمْ أنصاراً لدينِهِ ، فهُمْ أئمةُ الدِّينِ وأعلامُ المسلمينَ رضيَ اللهُ عنهُمْ أجمعينَ » .

الشرحُ :

هذا منهجُ أهلِ السُّنَّةِ أنْ يُذْكَرَ فضائلُ الصَّحابةِ ومحاسنُ أفعالِهِمْ ؛ إذْ هُمْ حَمَلَةُ الدِّينِ لنَا عنْ نبيِّنَا ﷺ ، والطَّعنُ فيهمْ طعنٌ فيمَا نقلُوهُ ، وهذا إبطالٌ للدِّينِ وتزييفٌ للملَّةِ ، والطَّعنُ فيهمْ طعنٌ في صاحِبِهِمْ ﷺ ؛ إذْ المرءُ على دينِ خليلِهِ ، وهمْ بوابة إليه ﷺ ، والطَّعنُ فيهمْ تشكيكٌ فى قدراتِ نبيِّنَا ﷺ فى الدَّعوةِ وعدمِ وثوقٍ بالمنهجِ الذى استخدمَهُ ﷺ لتربيةِ هؤلاءِ وتأديبهمْ ، ثمَّ رفعُ قدرِ هؤلاءِ رفعٌ للدِّينِ وذكرٌ لمحاسنِ الملَّةِ وأثرِهَا فى النَّاسِ ... إلخ .

ونمسِكَ عَنِ الخوضِ فيما شَجَرَ بينَهُمْ ، ذلكَ أنَّ ذكرَ بعضِ ما شَجَر قدْ يفهمُهُ الجاهلُ على غيرِ وجهِهِ فيعلَقُ في قلبِهِ الإنكارُ عليهِمْ أو بغضُهُمْ ، فلا يُذكرُ إلا للمتأهِّلِ ليردَّ بهِ الشُّبَه .

إذْ خلاصةُ ما حصلَ منهُمْ لهم فيهِ أجرٌ واحدٌ إذا أخطأوا ، وإذا أصابُوا لَهُمْ أجرانِ .

أيُنْكَرُ عليهمْ مَا يحصلُ منْ بني آدمَ بعضهِمْ مَعَ بعضٍ ، وقدْ عَفَا اللهُ عن هؤلاء، ولهمْ منَ المحاسنِ ما يسبِّبُ لهمْ غفرانَ الذنوبِ ، وهمْ ليسُوا بمعصومينَ ، وإنما العصمةُ لنبيِّهمْ ﷺ ، فالأحاديثُ المذكورةُ تدلُّ على أنَّهُمْ خيارُ أهلِ الأرضِ .

وقدْ أخرجَ الخلَّالُ [1] بإسنادٍ حسنٍ عنْ سعيدِ بن المسيِّبِ قالَ : « شهدتُ علياً وعثمانَ وكانَ بينهُما نزغٌ منَ الشَّيطانِ فما تركَ واحدٌ منهما لصاحبهُ شيئاً إلا قالَهُ ، فلو شئتُ أنْ أقصَّ عليكُمْ ما قالا لفعلتُ ، ثمَّ لمْ يبرحا حتَّى اصطَلحَا واستغفرَ كلٌّ واحدٍ منهما لصاحبه »، فأمسك عن الخوض فيما شجر بينهم وأبرز وجه المحاسن .

وقدْ يرتكِبُ بعضُهُمْ ذنباً عظيماً لكنْ سوابقهُمْ وفضلُهُمْ وما أخبرَ بهِ سبحانَهُ وتعالى ورسوله ﷺ منْ فضلِهِمْ ، وما ابتلاهُمُ اللهُ بهِ من مصائبَ الدنيا كلُّ ذلكَ كفارةٌ لهمْ بإذنِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

أو ليسَ اللهُ تعالى قدْ عَلِمَ ما سيحصلُ منهمْ منْ مصائبَ وخلافاتٍ ونزاعاتٍ ووقوعِ الذنوبِ والمخالفةِ منْ بعضهمْ بناءً على اجتهادِهِمْ .

ومعَ ذلكَ قالَ : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ (المائدة:١١٩) .

وقالَ : ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (الحديد:١٠) .

وقالَ : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ

(١) فى « السنة » (٧١٥) .

﴿ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ (الفتح) ، قال هذا مع علمه سبحانه بما سيحصل منهم .

ويُسأل خيرُ النَّاس ﷺ عن خيرِ الناس فيقول : « **أنا والذينَ معي** » .

ويقولَ : « **لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِى ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ** » .(١)

ويقولَ : « **إذا ذُكِرَ أصحَابي فأمسكوا** » ، أي : عن الخوض فيما شَجَرَ بينهمْ .

ألا يسعُنَا أنْ نقولَ بما قالَ بهِ نبيُّنا ﷺ وقدْ أطلعَهُ اللهُ على بعض ما سيحصُلُ منهُمْ ومع ذلك قال هذا .

ثمَّ هوَ الذى علَّمَهُ شديدُ القُوَى عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ ، قد علَّمَ أصحابَهُ أنْ يقولوا فى نصيحتهم لمن بعدهُمْ : « هؤلاء صحابةَ نبيِّكُمْ متوافرون » أي : اقتدوا بهم ، كما حصل من ابن مسعود رضي الله عنه فى خطابه لمن ابتدعوا ، وبنحوه كان قول ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج عند مناظرتهم .

عَلَّمهمْ أن يقولوا : لمنْ بعدهمْ : « استقيموا فقدْ سُبِقْتُمْ سبقاً بعيداً ، فإنْ أخذتُمْ يميناً وشمالاً لقدْ ضللتُمْ ضلالاً بعيداً » .

علَّمَهُمْ أنْ يقولوا لَمَنْ بعدهُمْ : « لمْ يكنْ فيهمْ -يعني الصحابة- نخالةٌ ، النُّخالةُ كانتْ فى غيرِهِمْ وفيمن بعدَهُمْ » ، كما قال عائذ بن عمر رضي الله عنه لعبد الله بن زياد .

---

(١) سبق تخريجه .

ألا يسعُنَا أنْ نقولَ بما قالوا بهِ وقدْ أعلمَهُمْ نبيُّهُمْ ﷺ بما سيحصلُ فى هذهِ الأُمَّةِ منْ أمورٍ ؟! فسموا من خالفوهم « المؤمنين » ، « إخواننا قد بغوا علينا » ، كما ورد عن علي رضي الله عنه .

ألا يُجَلُّ الصحابةُ لإجلالِهِمْ رسول الله ﷺ يومَ الحُدَيْبيةِ أمامَ الكُفَّارِ وغيره ؟! حتَّى قالَ عروةُ بنُ مسعودٍ لكفَّارِ قريشٍ : « ما رأيتُ أحداً يُجِلُّ أحداً كَمَا رأيتُ أصحابَ محمدٍ يُجلُّونَ محمداً ، وما كانَ بعضهُمْ يحدُّ النَّظرَ إليهِ إجلالاً له ، وإذا توضَّأ كادُوا يقتتلونَ على وضوئِهِ » . ربَّنَا اغفرْ لنا ولإخوانِنَا الذينَ سبقونا بالإيمانِ ولا تجعلْ فى قلوبِنَا غلاً للذينَ آمنوا ربَّنَا إنَّكَ رؤوفٌ رحيمٌ .

وقول المزنيُّ رحمه الله :

« وهمْ خيارُ أهلِ الأرضِ بعدَ نبيِّهِمْ ارتضاهمُ اللهُ عزَّ وجلَّ لنبيِّهِ وجعلَهُمْ أنصاراً لدينِهِ منهمْ أئمةُ الدِّينِ وأعلامُ المسلمينَ رضي اللهُ عنهمْ أجمعينَ » .

دليلُ ذلكَ ما قالَهُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه الحبرُ المعلَّمُ .

« إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِى قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ثُمَّ نَظَرَ فِى قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ » .(١)

وهذا هوَ المعقولُ ، فلا عجبَ أنْ يقولَ المؤلِّفُ : « **هُمْ أئمةُ الدِّينِ وأعلامُ المسلمينَ** » فرحمهُ الله .

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩) بإسنادٍ حسنه العجلوني فى « كشف الخفا » (٢/ ١٨٨) ، وهو كذلك .

ورضي اللهُ عنهمْ أجمعينَ بلا استثناءٍ .

وقدْ قالَ عائذُ بنُ عمرَ لعبيد الله بن زياد : « إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ ، فَقَالَ لَهُ : اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَقَالَ : وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ إِنَّمَا كَانَتِ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ وَفِى غَيْرِهِمْ » .(١)

ومَعَ فضلِ أولئكَ الصَّحابةِ فإنَّهمْ غيرُ معصومينَ كما يدَّعي أهلُ البدعِ معَ أئمتِهمْ ، وقدْ يقعُ منْ أحدهِمْ كبائرُ ، وخطأٌ على الآخَرِ ... وهكذا .

ولكن بارك الله فيك ، اعلمْ : أنَّ الأدنَى لا يُقَوِّمُ الأعلى .

هذه قاعدةٌ معروفة معقولة .

فَمِنَ الأدبِ أنْ لا يَقضى الابنُ بين الأبوينِ ، وإذا قَضَى بينهُما لكونِ أحدهما أخطأ فى الآخرِ يقضِي بينهُما ولا يتكلَّمُ الولدُ وهوَ يحكُمُ بينهُما فى أصلِ فضلهِمَا ؛ لأنَّ المفضولَ حينَما يتكلَّمُ على منْ هما أفضلُ منهُ لابدَّ أنْ تتغيرُ لُغتُهُ ، وهكذا حينما يُتكَلَّمُ فى خطأ الصَّحابيِّ على الآخرِ .

والخلافُ الذى بينَ الصَّحابةِ ﷺ مَوْقِفُنَا منهُ ما يتعلَّقُ بالأمورِ السِّياسيةِ وترجيحِ رأيٍ على الآخرِ ، فينازَعُ فيما بينَهمْ بسببهِ ، والأمرُ فيها واسعٌ وإنْ كانتْ بعضُ الآراءِ أصوبَ منْ بعضٍ .

وأمَّا إذا كانَ فى بعضِ مسائلَ راجحٌ ومرجوحٌ فلا يخوضُ فيها إلا الباحثُ والعالمُ ويَتكلَّمُ فيها بأدبٍ ، وما لا يفيدُ من المسائل ولا يعود الكلام والخوض فيه

(١) أخرجه مسلم (١٨٣٠) .

بمنفعة ، فالعبثُ فيه ممَّا يوغرُ الصُّدورَ فلا يُبْحَثُ فيهِ .

وليعلَمَ أنَّ يومَ القيامةِ لا ريب فيه ، لا يسألُكَ عَنْ فصلِ النِّزاعِ فيما وقعَ بينَ الصحابةِ وإنَّما همُ الذينَ يُسألُونَ عمَّا كانَ بينَهُمْ ، وإنَّما يسألُكَ اللهُ عنِ المعتقدِ فى الصَّحابةِ - وهو الذي بيَّنه رسول الله ﷺ- ماذا تعتقدُ فيهم ؟ فمن رضي عنهم وأمرك بالاستغفار لهم والكفّ عمَّا شجر بينهم لكونه وعدهم جميعاً الحسنى وزيادة ، لا يسعك إلا البحث عمَّا ينفعُكَ بارك الله فيك ، كما قال رسول الله ﷺ : « **احرص على ما ينفعك** » .

فاللهُ تعالى إنَّما كلَّفنا باعتقادِ أفعالِهِمْ وطريقةُ أهلِ السُّنَّةِ يذكرونَ المحاسنِ لا يذكرونَ المساوئ ؛ لعدمِ تعلُّقِ أهلِ البدعِ بها ولعصمةِ الوحي ، ومَا منْ أحدٍ على وجهِ الأرضِ - سوى الأنبياء - تجمعُ سيئاتُهُ وتخفي حسناته إلا كرهَهُ النَّاسُ .

فلا يُتناولُ ما وقعَ بين الصحابة ممَّا لا ينفعُ .

أمَّا إذا كانَ فى بعضِ أمورِ الترجيحِ فيدخُلُ فيها الباحثُ والعالمُ بأدبٍ لترجيح الصَّحيحِ ليتبعَهُ النَّاسُ ، ولا يتبع زلة زلَّ بها صحابي ، أو رأي شاذ عمل الصحابي به ، كما يحتج المفتونون على جواز الخروج على الحكام بمثل خروج ابن الزبير رضي الله عنه على آل مروان كما حصل من الحسين الكرابيسي فحذر منه أحمد بن حنبل رحمه الله وبدَّعه ، فتباً لمن يستدل بما استدل به من بدَّعه أحمد رضي الله عنه وحذَّر منه .

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« **الصلاةُ وراءَ الأئمةِ والحجُّ معهمْ لا يتركُ حُضُورَ الجمُعةِ ، وصلاتها مَعَ**

برِّ هذهِ الأمَّةِ وفاجِرِهَا لازمٌ ما كانَ منَ البدعةِ بريئاً ، فإنِ ابتدعَ ضلالاً فلا صلاةَ خلفَهُ» .

الصلاةُ خلفَ الأئمةِ والجهادُ معهمْ والحجُّ .

أمَّا الصلاةُ خلفَهُمْ فجائزةٌ ولوْ كانُوا جَوَرَةً ظالمينَ ، لمْ ينازِع فى ذلكَ أحدٌ منْ أهلِ السُّنَّةِ فيمَا نعلمُ ، وقدْ كانَ الصَّحابةُ يصلُّونَ خلفَ الأئمَّةِ ما كانُوا كالحجَّاجِ الفاسقِ المفترِي ، ومَا أعادُوا الصَّلاةَ ولا أَمَرُوا أحداً بإعادَتِها .

قالَ إبراهيمُ النَّخعيُّ التابعيُّ رحمه الله :[1]

«كانُوا يُصلُّونَ خلفَ الأمراءِ ما كانُوا» .

وصلَّى أبو سعيدٍ الخدريُّ رضي الله عنه خلفَ مروانَ [2] ومروانُ هذا هوَ الَّذي لَعَنَ رسولُ الله ﷺ والدَهُ وما وَلَدَ ، وصحَّ أنَّهُ هوَ الذي رَمَى طلحةَ بنَ عبيدِ اللهِ الصحابيِّ المبشَّرِ بالجنَّةِ بسهمٍ فماتَ منهُ .

وسُئِلَ عثمانُ رضي الله عنه وهو محصورٌ ، سألَهُ عبيدُ الله بنُ عدي بنِ الخيارِ فقالَ لهُ : « إِنَّكَ إِمَامُ عَامَّةٍ ، وَنَزَلَ بِكَ مَا تَرَى وَيُصَلِّي لَنَا إِمَامُ فِتْنَةٍ وَنَتَحَرَّجُ . فَقَالَ الصَّلاَةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ ، فَإِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ فَأَحْسِنْ مَعَهُمْ ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ » .[3]

---

(١) كما أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ١٥٢ ، ١٥٣) بإسنادٍ صحيحٍ .

(٢) كما فى صحيح مسلم (٤٩) .

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٥) .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ ﷺ لعمرو ميمونٍ الأوديِّ :

« كيف أنت إذا أتت عليكَ أمراء يصلون الصلاة لغير وقتها ؟ قال : فقلتُ : ما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : صلِّ الصلاة لوقتها واجعل ذلك معهم سبحة » . (١)

وقدْ قالَ رسولُ الله ﷺ : « **يُصَلُّونَ لَكُمْ ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ** » . (٢)

وابنُ عمرَ ﷺ كانَ لا يأتي أميراً إلا صلَّى خلفَهُ .

وأمَّا الجهادُ مَعَهُمْ الذى أشار إليه المؤلف رحمه الله :

فلقولهِ ﷺ : « ... **وَإِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ** » . (٣)

وفى روايةٍ : « **إِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ بِهِ** » . (٤)

وقدْ نَهَى الإمامُ أحمدُ ﷺ أنْ يكونَ الجهادُ بينَ الصفَّينِ أنْ يبارِزَ رجلٌ عِلْجَاً بغيرِ إذنِ الإمام ، فقالَ : « لا واللهِ » . (٥)

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١) بإسنادٍ ثابتٍ ، وقد حسنه الحافظ فى « الفتح » (٢/ ١٨٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٥٧) ، ومسلم (٤١٦ ، ١٨٤١) عن أبي هريرة ﷺ .

(٤) أخرجه أبو داود (٢٧٥٩) بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي هريرة ﷺ .

(٥) كذا فى « المسائل التى حلف عليها أحمد بن حنبل » لأبي يعلى (ص٢٢) ، و« مسائل إسحاق » (٢٧٧٨) .

وفى وصيَّةِ عمرَ ﷺ قالَ : « وَأُوصِيهِ - أي : الخليفة من بعدي - بِذِمَّةِ اللهَّ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَلاَ يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ » . (١)

قول المزني رحمه الله : « **ولا يتركُ حضورَ الجُمُعَةِ** » .

منْ غيرِ عذرٍ كسفرٍ ومرضٍ ونسيانٍ والمطرِ والخوفِ ونحوِ ذلكَ منَ الأعذارِ التى تبيحُ للمرءِ تركَها .

قدْ وردَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قالَ : « مَنْ تركَ الجُمُعَةَ ثلاثَ جُمَعٍ متواليات فقدْ نبذَ الإسلامَ وراء ظهرِهِ » . (٢)

وأخرجَ مسلمٌ عنْ عبدِ الله بن مسعودٍ ﷺ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ لقومٍ يتخلفُونَ عنِ الجُمُعَةِ : « **لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّى بِالنَّاسِ ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا فَآمُرَ بِهِمْ فَيُحَرِّقُوا عَلَيْهِمْ بِحُزَمِ الْحَطَبِ بُيُوتَهُمْ** » . (٣)

وفى « صحيح مسلم » أنَّ رسول الله ﷺ قالَ : « **لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ** » . (٤)

وفى « مسند أحمد » بإسنادٍ حسنٍ عنْ جابرِ بنِ عبد الله رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٢) .

(٢) أخرجه أبو يعلى (٥/ ١٠٢) بإسنادٍ حسنٍ .

(٣) أخرجه مسلم (٦٥٢) .

(٤) أخرجه مسلم (٦٥٨) .

قالَ : « **مَنْ تركَ الجُمُعَة ثلاث مرارٍ من غيرِ عذرٍ طبعَ اللهُ على قلبهِ** » .[١]

وعندَ ابنِ خُزَيْمَةَ منْ حديثِ أبي الجَعْدِ الضَّمْرِيِّ ﷺ قالَ : قالَ رسول الله ﷺ : « **مَنْ تركَ الجُمُعَةَ ثلاثاً مِنْ غيرِ عُذْرٍ طُبعَ على قَلبِهِ** » .

وفى روايةٍ : « **فهوَ منافقٌ** » .[٢]

وأخرجَ أحمدُ[٣] بإسنادٍ حسنٍ عنْ أبي قتادةَ ﷺ قالَ : قالَ رسول الله ﷺ : « **مَنْ تركَ الجُمُعَةَ ثلاث مرارٍ غير ضرورةٍ طُبعَ عَلى قَلبِهِ** » .

قول المزني رحمه الله : « **وصلاتَهَا مَعَ برٍّ هذهِ الأمَّةِ وفاجِرِهَا لازمٌ مَا كانَ مِنَ البدعةِ بريئاً ، فإنِ ابتدعَ ضلالاً فلا صلاةَ خلفَهُ** » .

الصلاةُ خلفَ كلِّ برٍّ وفاجرٍ هذا مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ .

والصلاةُ خلفَ المستورِ جائزةٌ بالاتِّفاقِ .

ومَنْ أَبَى الصلاةَ إلا وراءَ مَنْ يعرفُ فهوَ مبتدعٌ ، كمَا قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية ﷺ .[٤]

أمَّا قولُ المؤلِّفِ : « **مَا كانَ منَ البدعةِ بريئاً** » .

---

(١) أخرجه أحمد ، والنسائي (١٣٦٩) .

(٢) أخرجه ابن ماجة (١١٢٥) ، وابن خزيمة (١٨٥٧) بإسنادٍ حسنٍ .

(٣) فى « المسند » (٥/ ٣٠٠) .

(٤) انظر : « مجموع الفتاوى » (٤/ ٥٤٢) .

أي : البدعةُ الكفريَّةُ ؛ لأنَّ الإنسانَ متى ابتدعَ بدعةً مكفرِّةً فإنَّهُ مرتدٌ كافرٌ تبطلُ الصلاةُ خلفَهُ .

وقدْ استدلَّ المُهَلَّبُ بحديثِ أبي هريرة ﷺ مرفوعاً : « **يُصَلُّونَ لَكُمْ فإنْ أصابُوا فلكُمْ وإنْ أخطئُوا فلكُمْ وعليهِمْ** » ، الذى تقدَّمَ .

فقال : « فيهِ جوازُ الصَّلاةِ خلفَ البرِّ والفاجرِ إذا خيفَ منهُ » .

فصلِّ خلفَهُ وعليهِ بدعتُهُ ، كمَا قالَ الحسنُ البصريُّ رحمه الله .

لكنْ إنْ كانَ ابتدعَ بدعةً تخالفُ مذهبَ أهلِ السُّنَّةِ ولا يكفرُ بِهَا ولمْ يصلِّ خلفَهُ منْ بابِ الزَّجرِ والهجرِ لهُ ولمْ يكنْ فى ذلكَ مفسدةٌ ، فهوَ حَسَنٌ .

وقالَ شيخُ الإسلامِ رحمه الله :

« وقدْ كانَ الصَّحابةُ يُصَلُّونَ خلفَ مَنْ يعرفونَ فجورَهُ ، كَمَا صلَّى عبدُ الله بنُ مسعودٍ ﷺ وغيرهُ منَ الصَّحابةِ خلفَ الوليدِ بن عقبةَ بنِ أبي مُعَيْطٍ وكانَ يشربُ الخَمْرَ [1] ، وصلَّى مرةً الصبحَ ركعتين ، وقال : أزيدكم؟ وجلدَهُ عثمانُ بنُ عفانَ ﷺ

---

(١) بل كان مصرًّا على شربها ، كما فى رواية ابن أبي شيبة (٥/ ٥٤٩) بإسنادٍ صحيحٍ عن علقمة قال : « غزونا الرومَ ومعنا حذيفة وعلينا رجل من قريش فشربَ الخمرَ ، فأردنا أن نحدَّه ، فقال : أتحدُّون أميرَكم وقد دنوتم من عَدُوِّكم فيطمعون فيكم ، فقال : لأشربنَّها وإن كانت محرَّمة ولأشربنَّ على رغم من أرغمها » ، فهذا دليل على إصراره .

ويدل أيضاً : على أن الجهاد يكون مع الأمراء ما كانوا ، وإن كانوا مصرين على الكبائر ، إذ بالإصرار على الكبيرة لا يكون المصرُّ كافراً إلا إذا استحل ، والاستحلال قلبي ، فاحذر

على ذلكَ [١] ، وكانَ عبدُ الله بنُ عمرَ ﷺ وغيرهُ مِنَ الصَّحابةِ يُصَلُّونَ خلفَ ابنِ أبي عبيدٍ وكانَ مُتَّهَماً بالإلحادِ وداعياً إلى الضَّلالِ » . [٢]

وصلَّى أحمدُ بن حنبلٍ ﷺ خلفَ الأمراءِ الذينَ ابتدعُوا بِدَعاً كفريَّةً وأرغموا النَّاسَ عليها بوقعِ السَّوطِ وحدِّ السَّيفِ .

وقدْ قالَ رسولُ الله ﷺ : « **لاَ مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ** » [٣] فى الأئمة المبغوضين .

هذا دليلٌ على الصلاة خلفهم إذا أقاموا الصلاة .

وكذا كانَ أئمةُ أهلِ السُّنَّةِ فى زمانهِ .

وأمَّا الأئمَّةُ الذينَ ليسُوا منَ الأمراءِ :

فقدْ قالَ شيخُ الإسلامِ ﷺ :

« إذا ظهرَ منَ المصلِّي بدعةٌ أو فُجُورٌ وأمكنَ الصلاةُ خلفَ منْ يُعْلَمُ أنَّه مبتدعٌ أو فاسقٌ معَ إمكانِ الصلاةِ خلفَ غيرهِ فأكثرُ أهلِ العلمِ يُصَحِّحُونَ صلاةَ المأمومِ ، وهذا مذهبُ الشَّافعِيِّ وأبي حنيفةَ ، وهو أحدُ القولينِ فى مذهبِ مالكٍ وأحمدَ .

وأمَّا إذا لمْ يمكنِ الصَّلاةُ إلَّا خلفَ المبتدعِ أو الفاجرِ كالجُمُعَةِ التى إمامُها

.....

اعتناق مذهب الخوارج وأنت لا تشعر .

(١) كما فى صحيح مسلم (١٧٠٧) .

(٢) « مجموع الفتاوى » (٣/ ٢٨١) .

(٣) كما فى صحيح مسلم (١٨٥٥) .

مبتدعٌ أو فاجرٌ وليسَ هناكَ جُمُعةٌ أخرى ، فهذهِ تُصلَّى خلفَ المبتدعِ والفاجرِ عندَ عامَّةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ ، وهذا مذهبُ الشَّافعيِّ وأبي حنيفةَ وأحمدَ بن حنبلٍ وغيرهمْ منْ أئمَّةِ السُّنَّةِ بلا خلافٍ عندَهُمْ » .(١)

قولهُ : « **والجهادُ مَعَ كلِّ إمامٍ عدلٍ أو جائرٍ والحجُّ** » .

وأمَّا الجهادُ معَ الإمامِ الجائرِ .

فتقدَّمَ الكلامُ على ذلكَ .

وأخرجَ أيضاً ابنُ أبي شيبةَ ، وسعيدُ بن منصورٍ (٢) بإسنادٍ صحيح ، عنْ علقمةَ قالَ : « كُنَّا فى جيشٍ فى أرضِ الرُّومِ ومعَنَا حذيفةُ بنُ اليمانِ وعلينَا الوليدُ بنُ عقبةَ فشربَ الخمرَ ، فأردنَا أنْ نحدَّهُ ، قالَ حذيفةُ ﷺ : أتحدُّونَ أميرَكُمْ وقد دنوتُمْ مَنْ عدوِّكُمْ فيطمعونَ فيكمْ ؟ فبلغَ - أي الوليد - فقالَ : لأشربنَّ وإنْ كانتْ محرَّمةً ، ولأشربَنَّ على رغمِ منْ رغم » .

ومع ذلك فالصحابة والأفاضل جاهدوا معه مع حاله هذا .

قالَ ابنُ حزمٍ رحمه الله : (٣)

« اتفقُوا أنَّ الإمامَ الواجبَ إمامتُهُ ، فإنَّ طاعتَهُ فى كلِّ أمرٍ ما لمْ يكنْ معصيةَ فرضٍ ، والقتالُ دونَهُ فرضٌ ، وخدمتُهُ فيما أمرَ بهِ واجبةٌ ، وأحكامُهُ وأحكامُ مَنْ

---

(١) « مجموع الفتاوى » (٣/ ٢٨٠) .

(٢) فى « المصنف » (٥/ ٥٤٩) ، وكذا أخرجه سعيد بن منصور فى « سننه » (٢٥٠١) .

(٣) فى « مراتب الإجماع » (ص١٢٦) .

وَلَّى نافذةٌ ، وعزلُهُ منْ عَزَلَ نافذٌ » .

وتقدَّمَ أنَّ الصَّحابةَ كانُوا فى الجهادِ معَ مَنْ كانَ مُصرًّا على شُربِ الخمرِ ، والعياذُ باللهِ .

وأمَّا الحجُّ :

فهذا هوَ الذى عُلِمَ منْ تاريخِ الصَّحابةِ فما بعدهم كانُوا يحجُّونَ معَ الإمامِ ، حجُّوا معَ رسولِ الله ﷺ الحجَّةَ التى حجَّها ، وبعدَ ذلكَ إمَّا كانوا يحجُّونَ مع الإمامِ الأعظمِ ، وإمَّا معَ نائبِهِ ، أو مَنْ يوليِّهِ بذلكَ ، حتَّى أنَّهمْ كانوا يحجُّونَ معَ الحجَّاجِ ويأمرُهُ أميرُهُ أنْ يستنَّ بابنِ عمرَ رضي الله عنهما .

وقدْ قالَ الطحاويُّ رحمه الله :

« والحجُّ والجهادُ معَ الأئمَّةِ برِّهمْ وفاجِرِهِمْ .

كذا إلى قيامِ السَّاعةِ لا يبطلهُمَا شيءٌ ولا ينقصهُمَا ...

وقالَ الشارح : ذكر الحج لأنَّ الخلفاءَ فى الدولةِ الإسلاميَّةِ كانُوا يُعيِّنونَ أميراً على الحجِّ؛ لأنَّهُ يُحتاجُ فيهِ إلى تنظيمِ القوافلِ ؛ لأنَّهُمْ خلقٌ كثيرٌ كالجيشِ ، ويحتاجونَ إلى سياسةٍ وقيادةٍ وتدبير أمرِ السَّيرِ وترتيبِ الحراساتِ ، وما يحتاجونَ إليهِ منَ الأغذيةِ وعلفِ الدوابِ وغيرِهَا ، فلهذا ذكرَ العلماءُ الحجَّ معَ الجهادِ » .[1]

وفى هذا ردٌّ على الروافضِ الذينَ يقولونَ : لا جهادَ فى سبيلِ اللهِ حتَّى يخرجَ

(١) « شرح الطحاوية » بشرح الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن براك (ص٢٨٢) .

الرضا من آلِ محمدٍ وينادِي منادٍ منَ السَّماءِ اتَّبعوهُ ، وبطلانُ هذا القولِ أظهرَ مِنْ أنْ يُستدلَّ عليهِ بدليلٍ ، وشرطُوا فى الإمامِ أنْ يكونَ معصوماً ، ولا دليلَ بلْ مخالفاً لنصوص النبي ﷺ فى الأئمة المبغوضين ، واللهُ الموفِّقُ .

قصر الصلاة والاختيار بين الصيام والإفطار

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« واقتصارُ الصلاةِ فى الأسفارِ والاختيارُ فيهِ بينَ الصِّيامِ والإفطارِ [فى الأسفارِ إنْ شاءَ صامَ وإنْ شاءَ أفطرَ] (١) » .

الشرحُ :

قصرُ الصَّلاةِ فى السَّفرِ مشروعٌ .

وقدْ قالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه عنْ صلاةِ السَّفرِ : « ركعتانِ ركعتانِ مَنْ خالفَ السُّنَّةَ

(١) هذه الفقرة ليست فى « اجتماع الجيوش الإسلامية » ، وهي زيادة توضيحية .

كَفَرَ » .[١]

وصحَّ عنْ عائشةَ ﵂ أنَّها قالتْ : « فُرِضَتِ الصَّلاةُ ركعتينِ ركعتينِ فى السَّفرِ والحَضَرِ ، فزيدَ فى صلاةِ الحضرِ وأُقِرَّتْ الركعتان على هيئتهما فى السَّفرِ » .[٢]

أمَّا الإفطارُ للصَّائمِ فى السَّفرِ :

فالصائمُ المسافرُ أميرُ نفسهِ إنْ شاءَ أفطرَ وإنْ شاءَ أمسكَ ، وقدْ صامَ رسولُ اللهِ ﷺ فى السَّفرِ وأفطرَ ، ولمْ يعبْ منهُمُ الصائمُ على المفطرِ ولا المفطرُ على الصَّائمِ .

لكنْ إذا كانَ الصَّومُ فى السَّفرِ يضرُّ بالمسافرِ فليسَ فى هذهِ الحالةِ منَ البرِّ الصيامُ فى السَّفرِ .

وقدْ حرَّرْتُ هذا وذكرتُ أدلتَهُ فى تعليقي على « شرح السُّنَّة » للبربهاريِّ ﵀ فأغنى عن إعادته هنا .

وإذا تولَّى المفطرُ العملَ دونَ الصَّائمِ ، فالأعظمُ فى الأجرِ للمفطرِ .

ففي حديثِ أنسٍ ﵁ قالَ : « كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَكْثَرُنَا ظِلاًّ الَّذِى يَسْتَظِلُّ بِكِسَائِهِ، وَأَمَّا الَّذِينَ صَامُوا فَلَمْ يَعْمَلُوا شَيْئاً ، وَأَمَّا الَّذِينَ أَفْطَرُوا فَبَعَثُوا الرِّكَابَ وَامْتَهَنُوا وَعَالَجُوا فَقَال النَّبِيُّ ﷺ : « **ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالأَجْرِ** » .[٣]

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٤٢٨١) بإسنادٍ صححه الحافظ ، وقد خرجته فى « التوضيحات الجلية » .

(٢) أخرجه مالك (١٨٩) رواية محمد بن الحسن ، وعبد الرزاق (٤٢٦٧) .

(٣) **صحيح** . أخرجه البخاري (٢٨٩٠) ، ومسلم (١١١٩) .

اجتماعُ أئمةِ الهُدَى الماضين على هذهِ المقالاتِ

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« هذهِ مقالاتٌ وأفعالٌ اجتمعَ عليها الماضونَ الأوَّلُونَ مِنْ أئمَّةِ الهُدَى وبتوفيقِ الله اعتصَمَ بِهَا التَّابعونَ قدوةً ورضاً وجانَبُوا التكلُّفَ فيما كَفُّوا ، فسدَّدُوا بعونِ الله وَوُفِّقُوا لمْ يرغبُوا عَنِ الاتِّباعِ فَيُقَصِّرُوا ولمْ يجاوزُوهُ تزيداً فيعتَدُوا، فنحنُ باللهِ واثِقُونَ، وعليهِ مُتَوَكِّلُونَ، وإليهِ فى اتباعِ آثارِهِمْ راغبونَ ».

قولهُ : « **هذهِ مقالاتٌ وأفعالٌ اجتمعَ عليها الماضونَ الأوَّلُونَ** » .

كَمَا تقدَّمَ ، فإمَّا أنَّهُمْ اجتمعُوا عليها لوجودِ نصٍّ صريحٍ - كَمَا هوَ الغالِبُ - أو اجتَمَعُوا عليهَا بالنَّظَرِ إلى رُوحِ الشَّريعةِ ، والمقصود أن ذلك مما أجمعوا عليه .

والتابعونَ سارُوا على هذا النَّحوِ اقْتَدَوْ بهمْ فى ذلكَ ، ولمْ يتكلَّفُوا شيئاً يخالفونَ بهِ مَنْ سبقَهُمْ واعْتَصَمُوا بذلكَ ، وحتَّى لمْ يسمَحُوا لِمَنْ خالفَ سَلَفَهُمْ منَ المبتدعينَ بالجلوسِ مَعَهُمْ ولا الجدلِ مَعَهُمْ لمْ يرغبُوا عَنِ اتِّباعِهِمْ أبداً ، كَمَا وجَّهَ بعضَهُمْ حذيفةُ رضي الله عنه حينَ قالَ:« يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سُبِقْتُمْ سَبْقاً بَعِيداً ».(١)

ولما رأى ابنُ مسعودٍ النَّاسَ وقدْ ابتدعُوا بدعةً فِى الذكرِ قالَ لهُمْ : « هؤلاءِ صحابةُ نبيِّكُمْ متوافرونَ »(٢) ، أي : اقتدُوا بهِمْ .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٣٩) .

(٢) أخرجه الدارميُّ وغيره بإسنادٍ ثابتٍ .

فلمَّا سارَ هؤلاءِ على ذلكَ النَّحوِ كانُوا على ما أمَرَ بهِ رسول الله ﷺ ، فقالَ : « **قَارِبُوا وَسَدِّدُوا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنكُمْ بِعَمَلِهِ** » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ؛ وَلاَ أَنْتَ ؟ قَالَ : « **وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ** » . (١)

فكانُوا كمَا وصفَهُمُ المؤلِّفُ : « **فسدَّدُوا بعونِ الله وَوُفِّقُوا لمْ يرغبُوا عَنِ الاتِّباعِ** » منْ سَدَّدَ أو سُدِّد إنما ذلكَ بعونِ الله تعالى ، فلينسبِ المرءُ ما حلَّ بهِ منْ نعمةٍ إلى الله تعالى فيحمدُهُ ، كمَا قالَ سبحانَهُ : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (النحل) .

وقولهُ : « **ولمْ يجاوزُوهُ تزيُّداً فيعتَدُوا** » .

ذلكَ أنَّ الزيادةَ على ما جاءَ بهِ الشَّرعُ افتراءٌ وتكلُّفٌ ، فلا تنطَّعَ فى الشَّرعِ ، المتنطِّعُ يهلكُ كما قال رسول الله ﷺ : « **هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ** » . قَالَهَا ثَلاَثاً . (٢)

والمتنطعونَ : هُمُ المتعمِّقُونَ الغَالونَ المجاوزونَ الحدودَ فى أقوالِهِمْ وأفعالِهِمْ .

وقدْ أخرجَ مالكٌ بإسنادٍ صحيحٍ عن سعيدِ بن المسيَّبِ ، عنْ عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه قالَ : « يا أيُّهَا النَّاسُ قَدْ سُنَّتْ لَكُمُ السُّنَنُ ، وفُرِضَتْ لَكُمُ الفرائِضُ وتُرِكْتُمْ على الواضِحَةِ إلَّا أنْ تضلُّوا بالنَّاسِ يميناً وشمالاً . وضربَ بإحدَى يديهِ على

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٠) .

الأُخْرى ... » .[١]

وقدْ ذمَّ رسول الله ﷺ الذينَ يعْتَدُونَ فى الدُّعاءِ والطَّهُورِ فى هذهِ الأمَّةِ .

فأخرجَ أبو داود[٢] بإسنادٍ حسنٍ عنْ عبد الله بن مُغَفَّلٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سمع ابنَهُ يقولُ : « اللهمَّ إنِّي أسألُكَ القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها ، فقال : أي بني سل الله الجنَّة وتعوذ بالله من النَّار ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **إنَّه سيكونُ فى هذهِ الأمَّةِ قومٌ يعتدونَ فى الطهورِ والدُّعاء** » .

وقولهُ : « **ونحنُ باللهِ واثقونَ وعليهِ متوكِّلُونَ وإليهِ فى اتِّباعِ آثارِهِمْ راغبونَ** » .

أي : نحنُ على ثقةٍ بأنَّ اللهَ يعينُنَا على اتِّبَاعِ آثارِهِمْ ، ونحنُ على ثقةٍ منْ منهَجِهِمْ ذلكَ أَنَّهُ حقٌّ ، وعليهِ متوكِّلُونَ أنْ يثبِّتَنَا على هذا النهجِ القويمِ فنرغبُ إليهِ فى ذلكَ .

فهكذا رضي الإمامُ المزنيُّ رحمه الله لنفسهِ مَا رضِيَ السَّلفُ لأنفسهْمْ منْ عدَمِ الحيادِ عمَّا ساروا عليهِ والوقوف حيث وقفوا فرحمَهُ اللهُ رحمةً واسعةً وألحقنا به والقارئين بجوار نبينا ﷺ وصحبه الكرام الفاتحين .

المحافظةُ على أداءِ الفرائضِ والرواتبِ واجتنابِ المحرَّماتِ

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

(١) أخرجه مالك (ص٨٢٤) ، والحاكم (٣/ ٩٨) ، وابن عبد البر فى « الجامع » (٢٣٣١) .

(٢) برقم (٩٦) وغيره كثير .

فهذا « شرحُ السُّنَّةِ »[١] تَحَرَّيْتُ كشفَهَا ، وأوضحتُهَا ، فمَنْ وفَّقَهُ اللهُ للقيامِ بما أبْنْتُهُ مَعَ معونَتِهِ لَهُ بالقيامِ على أداءِ فرائضِهِ بالاحتياطِ فى النَّجَاسَاتِ وإسباغِ الطَّهارةِ على الطَّاعاتِ وأداءِ الصَّلواتِ على الاستطاعاتِ وإيتاءِ الزَّكاةِ على أهلِ الجِدَاتِ ، والحجِّ على أهلِ الجِدَةِ والاستطاعاتِ ، وصيامِ الشَّهرِ لأهلِ الصِّحَّاتِ ، وخمسِ صلواتٍ سنَّها رسولُ الله ﷺ وَمِنْ بعدِ الصلواتِ صلاةُ الوَتْرِ فى كلِّ ليلةٍ ، وركعتيِ الفجرِ ، وصلاةِ الفطرِ والنحرِ ، وصلاةِ الكسوفِ، وصلاةِ الاستقاءِ » .

قولهُ : « **فى هذا** » أي : ما ذكرتُهُ شرحٌ لأصولِ سُنَّة رسول الله ﷺ ، يعني بعضها .

تحرَّى فيهِ رحمةُ الله كشفَهَا وحاوَلَ أنْ يقرِّبَهَا ويعتنيَ بتحريرهَا وتوضيحِهَا بمقتضَى قولهِ ﷺ : « **الدِّينُ النَّصِيحَةُ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ** » .[٢]

فقامَ جزاهُ اللهُ خيراً بإبانةِ ما سُئِلَ عنهُ أحْسَنَ بيانٍ ، فدفع الإشكال المشكل على الناس وبيَّن عقيدةَ أهلِ السُّنَّةِ بكتابةٍ واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، وكما هو صنع البخاري رضي الله عنه لما كتب « خلق أفعال العباد » وهوَ مُدوَّنٌ كما ترى ، وقدْ ذكرنَا نحنُ الأدلَّةَ على ما ذكرَ ، فزادَهُ الله حسناً إلى حُسنِهِ ، فللهِ الحمدُ والمنَّةُ ، ووفق الله شيوخ زماننا إلى إزالة ما أُشيع عنهم بالبيان والتوضيح لمنهج السلف ودعوة

(١) وهذا اسم الكتاب كما سمَّاه مؤلفه ، وتقدم أن ذلك نص السائل ، سألوه أن يبيِّن لهم شرح السُّنَّة .

(٢) أخرجه البخاري (٥٧) ، ومسلم (٥٥) .

الناس إليه ، كما فعل الإمام المزني ﷺ والطبري فى « صريح السنة » وغيرهما .[١]

تجدُ - ولله الحمد - هنا كلام المزني ﷺ مكَّللاً بالأدلةِ والبرهانِ تنجذِبُ القلوبُ الصحيحة إلى الاستفادةِ منهُ بفضلِ الله تعالى ، فمنْ وفَّقَهُ اللهُ تعالى وصادَفَ قلبَه السَّليمُ سعد به وفرح فرحاً يقابلَ استياء الحقود الحسود المبتدع وأتباعه - كبتهم الله أو هداهم - .

قوله : « وأداءُ الفرائضِ » ، ثمَّ فصَّلَ الفرائضَ فذكرَ منها :

الاحتياطَ فى النجاساتِ .

فقدْ بوَّبَ البخاريُّ ﷺ باباً : « من الكبائرِ أن لا يستترَ مِنْ بولهِ » .

وروى فيه حديث ابن عباسٍ ﷺ قالَ : « مَرَّ النَّبِىُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِى قُبُورِهِمَا ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « **يُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِى كَبِيرٍ** » ، ثُمَّ قَالَ : « **بَلَى ، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِى بِالنَّمِيمَةِ** » .[٢]

---

(١) وددتُ لو أن مشايخَ زمانِنا الذين نُسبوا إلى العلمِ وتكلَّموا بما يُخالفُ السلفَ فى المعتقدِ فحصلتْ الفتنُ الكبار أن يكتبوا ما يعتقدون ويُبيِّنوه بياناً شافياً واضحاً ، فيدفعوا اللبس عن المجمل بالمبيَّن نُصحاً للأمَّةِ ، بدلاً من أن يَهلكَ فى شأنِهم صنفان أحدهما غالي والآخر جافي وثالث وسط منبوذ من الأول والآخر - مع أنه صاحب الحق المتحَيَّر فيه - ، والخلاف شرٌّ وفشلٌ وذهابٌ للريح .

(٢) أخرجه البخاري (٢١٦) ، ومسلم (٢٩٢٠) .

وقدْ وردتْ زيادةٌ : « **لا يستبرئُ منْ البولِ** » .[١]

وأخرجَ ابنُ أبي شيبةَ [٢] بإسنادٍ على شرطِ الشَّيخينِ عنْ أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ قالَ : « **أكثرُ عذابِ القبرِ منَ البولِ** » .

واللهُ سبحانَهُ يحبُّ التَّوابينَ ويحبُّ المتطهرينَ ، فالاحتياطُ فى النجاساتِ واجبٌ ؛ إذْ أنَّ أكثرَ عذابِ القبرِ منهُ ، كما نبَّه المؤلِّفُ على ذلكَ جزاهُ اللهُ خيراً .

ثانياً : « وإسباغِ الطَّهارةِ على الطَّاعاتِ » .

إسباغُ الطَّهارةِ - أي : الوضوء - على الطَّاعاتِ عندَ الطَّاعاتِ .

وقدْ وردَ هذا فى الصَّلواتِ لاسيَّما فضله عندَ برودةِ الماءِ .

فقدْ أخرجَ الإمامُ مسلمٌ ﷺ عنْ أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قالَ : « **أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ** » ، قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : « **إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ** » .[٣]

وفى الترغيبِ فى التَّطهُّرِ .

ما أخرجهُ البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هريرة ﷺ عنْ رسولِ الله ﷺ قالَ :

---

(١) أخرجها هناد فى « الزهد » (٣٦٠ ، ١٢١٣) وإسنادها ثابت .

(٢) (١/ ١٢٢) ، وابن ماجة (٣٤٨) وغيرهما كثير .

(٣) **صحيح** . أخرجه مسلم (٢٥١) .

« **أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ ، يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْساً ، مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِى مِنْ دَرَنِهِ** » ، قَالُوا : لاَ يُبْقِى مِنْ دَرَنِهِ شَيْئاً ، قَالَ : « **فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، يَمْحُو اللهُ بِهَا الْخَطَايَا** » . (١)

وقدْ سَبَقَ بلالٌ ﷺ فى الجنَّةِ بالتَّطهُّرِ .

فقدْ أخرجَ أحمدُ (٢) أنَّ النبيَّ ﷺ دَعَى بلالاً فقال له : « **بما سبقتني إلى الجنة ، فما دخلتُ الجنَّة إلا سمعت خشخشتك أمامي** » ، فقال بلال : يا رسول الله ؛ ما أذَّنت قط إلا صليت ركعتين ، وما أصابني حَدَثٌ إلا توضأت عنده ورأيت أن لله تعالى عليَّ ركعتين ، فقال ﷺ : « **بهما** » .

والتطهُّر للطَّاعاتِ حَسَنٌ ممدوحٌ .

الاغتسالُ للعيدِ .

فقدْ كانَ بعضُ الصَّحابةِ يفعلُهُ .

الاغتسالُ للإحرامِ ؛ إذْ قدْ أمرَ رسول الله ﷺ أسماءَ بنتَ عميسٍ ﵂ إذ نفستْ

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨) ، ومسلم (٦٦٧) .

(٢) (٥/ ٣٥٤ ، ٣٦٠) ، والترمذي (٣٦٩٨) ، وهو حديث صحيح خرجته فى « الفوائد النيرة » .

بمحمدِ بن أبي بكرٍ أمرَ ﷺ أبا بكرٍ أنْ يأمرَهَا أنْ تغتسلَ وتُهِلَّ [١]، وهو مستحبٌّ .

الاغتسالُ للجمُعَةِ .

وقدِ اختُلِفَ فى وجوبِهِ ، والأظهرُ أنَّهُ مستحبٌّ عندَ الأكثرِ ، وقدْ حثَّ النبيُّ ﷺ عليهِ فقالَ : « **الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ** » . [٢]

وقالَ النبي ﷺ : « **حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِى كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْماً يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ** » . [٣]

وقالَ : « **مَنْ جَاءَ مِنكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ** » . [٤]

والأدلةُ كثيرةٌ .

وقالتْ عائشةُ رضي الله عنها : « كَانَ النَّاسُ يَنْتَابُونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَالْعَوَالِى ، فَيَأْتُونَ فِى الْغُبَارِ ، يُصِيبُهُمُ الْغُبَارُ وَالْعَرَقُ ، فَيَخْرُجُ مِنْهُمُ الْعَرَقُ ، فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ وَهْوَ عِنْدِى ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « **لَوْ أَنَّكُمْ تَطَهَّرْتُمْ لِيَوْمِكُمْ هَذَا** » . [٥]

فالشَّريعةُ تحثُّ على النَّظافةِ والتَّطهيرُ كثيراً فى عدَّةِ أمورٍ وأحوال ليسَ مقامُ تفصيلِ ذلكَ هنا ، بلْ يحتاجُ ذلكَ إلى مؤلَّفٍ مستقلٍّ .

---

(١) كما فى صحيح مسلم (٨٤٦) ، وهو فى صحيح البخاري (٨٥٨) .

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري (٨٥٨) ، ومسلم (٨٤٦) .

(٣) أخرجه البخاري (٨٩٧) ، ومسلم (٨٤٩) .

(٤) أخرجه البخاري (٨٧٧) ، ومسلم (٨٤٤) .

(٥) أخرجه البخاري (٩٠٢) ، ومسلم (٨٤٧) .

قول المؤلف : « **وأداءِ الصَّلواتِ على الاستطاعاتِ** » .

أيْ : يصلِّي الصلواتِ فى وقتِهَا ويحافظُ على ركوعِهَا وسجودِهَا وخشوعِهَا ويصلِّيها كما كانَ رسولُ الله ﷺ يصلِّيها قدرَ الاستطاعةِ .

لعمومِ قولهِ ﷺ : « **وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ** » .[١]

والصلاةُ تكون فى وقتِهَا .

لقولهِ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (النساء:١٠٣) .

وقدْ ذهبَ رجلٌ يسألُ النبيَّ ﷺ عنِ الإسلامِ ، فقالَ : « **خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِى الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ** » .[٢]

وإذا نامَ المرءُ عنْ صلاةٍ أوْ نسيَهَا أو غَفَلَ عنهَا فَلْيُصَلِّهَا إذا ذَكَرهَا لا كفَّارةَ لها إلَّا ذلكَ ، كما جاءَ فى الحديثِ .[٣]

فمَنْ تركَ الصلَّاةَ كَفَرَ ، كما وردتِ السُّنَّةُ وأقوالُ الصَّحابةِ أعلم الأمة .

وقالَ ﷺ لعمرانَ بنِ حصينٍ : « **صَلِّ قَائِماً ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِداً ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ** » .[٤]

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨) ، ومسلم (١٣٣٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٦) ، ومسلم (١١) .

(٣) انظر : صحيح مسلم (٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٤) ، وهو فى صحيح البخاري (٥٩٧) .

(٤) **وهو حديث ثابت** . أخرجه البخاري (١١١٧) .

قول المزني رحمه الله : « **وإيتاءِ الزَّكاةِ على أهلِ الجِدَاتِ** » .

قرنَهَا المؤلِّفُ كما قُرِنَتْ بعدَ الصلاةِ كثيراً ، وهي الرُّكنُ الثَّاني منْ أركانِ الإسلامِ العمليَّةِ، يعني مَنْ ملك مالاً بلغَ النِّصابَ وحالَ عليه الحولُ يؤدِّي زكاتَهُ.

فقدْ قالَ رسولُ الله ﷺ لَمَّا بعثَ معاذاً إلى اليَمَنِ : « **إِنَّكَ سَتَأْتِى قَوْماً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ صَدَقَةً ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ** » .(١)

قال ﷺ : « **مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ ، مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعاً أَقْرَعَ ، لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِى بِشِدْقَيْهِ - يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ** » .(٢)

والزكاة على الخارجِ منَ الأرض - جميعِ ما تخرجهُ الأرضُ فى الراجح - إذا بلغ النصاب ، وفى الأموالِ إذا بلغت نصاباً ، وفى الذَّهبِ والفضَّةِ والمواشِي والإبلِ والغنمِ والحبوب والتجارة .

قول المؤلف رحمه الله : « والحجِّ على أهلِ الجدَةِ والاستطاعاتِ » .

أي : الحجُّ على المستطِيعِ .

فقدْ قالَ تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران:٩٧)

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ، ومسلم (١٩) .

(٢) كما جاء فى « الصحيحين » .

ومن جحد كفر ، كفر لجحوده ، فمن حج عن غيره صح إن كان قد حج عن نفسه .

وقدْ قالتِ الخثعميَّةُ لرسول الله ﷺ : « إِنَّ فَرِيضَةَ الله عَلَى عِبَادِهِ فِى الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِى شَيْخاً كَبِيراً ، لاَ يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ ؟ قَالَ : « **نَعَمْ** » . (١)

وفى حديثِ أنسٍ رضي الله عنه الاستطاعة قالَ الرجلُ لرسول الله ﷺ : « ... وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، قَالَ ﷺ : « **صَدَقَ** » ... الحديث . (٢)

قول المؤلف : « **وصيامِ الشَّهرِ لأهلِ الصِّحَّاتِ** » .

أيْ : مَنْ عندَهُمْ صِحَّةٌ وقُدْرةٌ على الصِّيامِ ، وإلا فكما قالَ تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقرة:١٨٤) .

أخرجَ مسلمٌ فى « صحيحه » عنْ أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه قالَ : « بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فِى الْمَسْجِدِ ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِى الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ عَقَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ؟ وَالنَّبِىُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ ، فَقُلْنَا : هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِىُّ ﷺ : « **قَدْ أَجَبْتُكَ** » ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِىِّ ﷺ: إِنِّى سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِى الْمَسْأَلَةِ فَلاَ تَجِدْ عَلَىَّ فِى نَفْسِكَ، فَقَالَ : « **سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ** » ، فَقَالَ : أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ ، آللهُ أَرْسَلَكَ إِلَى

(١) أخرجه البخاري (١٥١٣) ، ومسلم (١٣٣٤) .

(٢) أخرجه مسلم (١٢) .

النَّاسِ كُلِّهِمْ ؟ فَقَالَ : « **اللَّهُمَّ نَعَمْ** » ، قَالَ : أَنْشُدُكَ بِالله ، آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ؟ قَالَ : « **اللَّهُمَّ نَعَمْ** » ، قَالَ : أَنْشُدُكَ بِالله ، آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ ؟ قَالَ : « **اللَّهُمَّ نَعَمْ** » ، قَالَ : أَنْشُدُكَ بِالله ، آللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **اللَّهُمَّ نَعَمْ** » ، فَقَالَ الرَّجُلُ : آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ » .(١)

مَنْ كانَ مِنْ أهلِ الصَّحَّةِ قادراً على الصَّومِ فيجب عليه الصوم .

قالَ تعالى : ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (البقرة:١٨٥) .

والحاملُ والمرضعُ تفطران وتطعِمَان عَنْ كلِّ يومٍ مسكيناً ، والكبيرُ يُفْطِرُ ويُطعمُ عنْ كلِّ يومٍ مسكيناً ، وهي فتوى الصحابة ﷺ ، كما بيَّنَّاه فى « تبصير النساء » .

قولهُ : « **وخمسِ صَلَوَاتٍ سنَّها رسولُ الله ﷺ مِنْ بعدِ الصَّلَواتِ الأولى صلاةُ الوَتْرِ والوَتْرِ فى كلِّ ليلةٍ** » .

وبعضُ العلماءِ يقولونَ : أفضلُ النَّوافلِ عموماً الوتر ؛ لأنَّ الله وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرِ .

ويشيرُ المؤلِّفُ إلى خمسِ صلواتٍ مسنونةٍ ليسْتْ واجبةً ولكنْ سنَّها رسولُ الله ﷺ .

ومن فوائدها : أنها تكمل ما نقص من الفرائض .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣) ، ومسلم (١٢) .

وقد ورد عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **أول ما يُحاسب عليه العبدُ يومَ القيامةِ الصلاة فإن أكملها وإلا قال الله عزَّ وجلَّ : انظروا هل لعبدي من تطوع ، فإن وجد له تطوع قال : أكملوا له الفريضة** » ، ولكنه حديث مضطرب على شهرة أنه صحيح يُنشر على المنابر وفى المجامع ، وقد جزم المزي فى « تهذيب الكمال » باضطرابه لأسباب ذكرتها فى كتابي « **الفوائد النيرة** » برقم (٦٣٣) .

لكن صح عن تميم الداري ﷺ موقوفاً أنه قال : « أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة المكتوبة ، فإن أتمها وإلا قيل : انظروا هل له من تطوع ؟ فأكملت الفريضة من تطوعه ، فإن لم تكمل الفريضة ولم يكن له تطوع أخذ بطرفيه فقذف فى النار » .(١)

الأولَى : صلاةُ الوَتْرِ فى كلِّ ليلةٍ .

لِمَا أخرجَهُ البخاريُّ ومسلمٌ عَنِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما : « أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ صَلاَةِ اللَّيْلِ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **صَلاَةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى ، فَإِذَا خَشِىَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً ، تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى** » .(٢)

وفى حديثِ عائشةَ رضي الله عنها : « أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُصَلِّى بِاللَّيْلِ إِحْدَى عَشْرَةَ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة فى « المصنف » ، وفى « الإيمان » ، والمروزي فى « تعظيم قدر الصلاة » من طرق عن داود بن أبي هند ، عن زرارة بن أبي أوفى ، عن تميم الداري به موقوفاً .
وتمام تخريجه فى « الفوائد النيرة » ، والله الموفق .

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري (٩٩٠) ، ومسلم (٧٤٩) .

رَكْعَةً يُوتِرُ مِنْهَا بِوَاحِدَةٍ فَإِذَا فَرَغَ مِنْهَا اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمُؤَذِّنُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ » .(١)

والوَتْرُ ركعةٌ منْ آخرِ اللَّيلِ ، كمَا قالَ رسول الله ﷺ .(٢)

هذا هُوَ الرَّاجِحُ أنَّ الوَتْرِ سُنَّةٌ ، وتفصيلُ المسألةِ فى كُتُبِ الفقْهِ ليسَ موطنُ الإسهابِ فى ذلكَ هُنَا .

وقدْ قالَ الإمامُ أحمدُ رحمه الله فيمَنْ تركَ الوِتْرَ :

« رجلُ سُوءٍ » .(٣)

وإنَّمَا أرادَ الإمامُ أحمد رحمه الله المبالغةَ فى تأكيدِهِ ، لما وردَ فيهِ منَ الأحاديثِ فى الأمرِ بهِ والحثِّ عليهِ ، وإلَّا فقدْ صرَّحَ رحمه الله بأنَّ الوتْرَ ليسَ بمنزلةِ الفرضِ .(٤)

الثانيةُ من الخمس صلوات المسنونة : ركعتَا الفجرِ .

وقالتْ عائشة رضي الله عنها : « **كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ إِذَا سَمِعَ الأَذَانَ وَيُخَفِّفُهُمَا** » .(٥)

---

(١) أخرجه مسلم (٧٣٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٧٥٢) .

(٣) حكاه عنه ابن مفلح فى « الفروع » (١١/ ٣٢٩) .

(٤) انظر : « المغني » لابن قدامة (١/ ٨٢٧) .

(٥) أخرجه مسلم (٧٢٤) .

وفى زيادة : « **فَيُخَفِّفُ حَتَّى إِنِّى أَقُولُ هَلْ قَرَأَ فِيهِمَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ ؟** » .[١]

وكانَ يقرأُ فيهمَا بـ (الكافرون) و (قل هو الله أحمد) .[٢]

وما كانَ النبيُّ ﷺ يتركُهُما أبداً .

فقدْ أخرجَ البخاريُّ [٣] عنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ : « **صَلَّى النَّبِىُّ ﷺ الْعِشَاءَ ثُمَّ صَلَّى ثَمَانَ رَكَعَاتٍ وَرَكْعَتَيْنِ جَالِساً وَرَكْعَتَيْنِ بَيْنَ النِّدَاءَيْنِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَدَعُهُمَا أَبَداً** » .

وقالتْ : « **لَمْ يَكُنِ النَّبِىُّ ﷺ عَلَى شَىْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ مِنْهُ تَعَاهُداً عَلَى رَكْعَتَىِ الْفَجْرِ** » .[٤]

الثالثةُ من الخمس المسنونات : صلاةُ الفِطْرِ والنَّحرِ

دلَّ على ذلكَ :

ما أخرجهُ البخاريُّ [٥] عنِ البراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنهما قالَ : « سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ : « **إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّىَ ، ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ ، فَمَنْ فَعَلَ هَذَا فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا** » .

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢٣) .

(٢) كما فى صحيح مسلم (٧٢٦) .

(٣) برقم (١١٥٩) .

(٤) أخرجه البخاري (١١٦٩) .

(٥) برقم (٩٥١) .

وقالَ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: « كَانَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما يُصَلُّونَ الْعِيدَيْنِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ » .(١)

« وكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْرَأُ فِى الْعِيدَيْنِ وَفِى الْجُمُعَةِ بِـ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) وَ (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) قَالَ : وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ فِى يَوْمٍ وَاحِدٍ يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضاً فِى الصَّلاَتَيْنِ » .(٢)

وورد أنه كان يقرأ بِـ (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) وَ (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ).(٣)

وقالَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: « شَهِدْتُ صَلاَةَ الْفِطْرِ مَعَ نَبِىِّ الله ﷺ وَأَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ فَكُلُّهُمْ يُصَلِّيهَا قَبْلَ الْخُطْبَةِ ثُمَّ يَخْطُبُ » .(٤)

وهيَ صلاةٌ بلا أذانٍ ولا إقامةٍ .(٥)

وكانتِ النِّسْوةُ يُؤمَرْنَ بالخروجِ فى العيدينِ والمخبأةُ والبكرُ والحُيَّضُ يخرجنَ خلفَ النَّاسِ يكبِّرنَ معَ النَّاسِ يدعون بدعائهم يرجون بركة هذا اليوم وطهرته.(٦) وطهرته.(٦)

---

(١) أخرجه البخاري (٩٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٨٧٨) .

(٣) كما فى صحيح مسلم (٨٩١) .

(٤) أخرجه مسلم (٨٨٤) .

(٥) أخرجه مسلم (٨٨٧) .

(٦) انظر الرواية فى صحيح مسلم (٨٩٠) بل فى صحيح البخاري أيضاً .

ولها أحكامٌ تتعلَّقُ بها ، مباحِثُهَا فى كُتُبِ الفِقْهِ .

الرابعةُ من الصلوات الخمس المسنونة: صلاةُ كسوفِ الشَّمسِ والقمرِ إذا نَزَلَ .

الكسوفُ للشَّمسِ والخسوفُ للقمر هذا هوَ الغالِبُ .

وقيلَ : الكسوفُ بمعنى الخسوفِ .

وقدْ أخرجَ البخاريُّ عنِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قالَ : « **إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا ، وَادْعُوا ، حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ** » .(١)

وفى حديثِ عائشةَ رضي الله عنها : « **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَهَرَ فِى صَلاَةِ الْخُسُوفِ بِقِرَاءَتِهِ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِى رَكْعَتَيْنِ وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ** » (٢) ، يعني : كل ركعة بركوعين وسجودين

وهذهِ الآياتُ يخوِّفُ بهَا اللهُ عبادَهُ ويحثُّهُمْ على الصلَّاةِ والعتاقَةِ والبرِّ والتقوى والصَّدَقَةِ ، فليُتَنَبَّهُ لهذا .

وهكذا جميعُ الآياتِ كالزَّلازلِ والبراكينِ والتغيُّراتِ الكونيَّةِ .

وعلى ذلكَ أدلَّةٌ ليسَ هُنَا موطنُ الإسهابِ ومناقشةِ أمور متبلدي الإحساس

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٤٢) .

(٢) أخرجه مسلم (٩٠١) .

وعديمي المعرفة من الملاحدة الذين يعتبرونها حوادث طبيعية .

وإنما المقصودُ عندَ المؤلِّفِ رحمه الله أنَّ يثبتَ سنَّةَ الصَّلاةِ عندَ رؤيةِ الكسوفِ إذا نَزَلَ أو الخسوفِ .

الخامسةُ : صلاةُ الاسسقاءِ مَتَى وَجَبَ .

أي : إذا جاءَ قَحطٌ فتُشْرَعُ صلاةُ الاستسقاءِ .

ففي « الصحيحين » عنْ عبدِ الله بنِ زيدٍ رضي الله عنه : « **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى فَاسْتَسْقَى ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، وَقَلَبَ رِدَاءَهُ ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ** » .(١)

وقدْ أخرجَ أبو داود (٢) بإسنادٍ ثابتٍ عنْ أنسٍ رضي الله عنه : « **أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يستسقي هكذا - يعني ومد يديه وجعل بطونهما مما يلي الأرض حتى رأيتُ بياض إبطيه** » .

وأخرجَ (٣) بإسنادٍ حسنٍ عنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ : « شكى النَّاسُ إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له فى المصلى وَوَعد الناس يوماً يخرجونَ فيه ، قالت عائشة رضي الله عنها فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبَّر ﷺ وحمد الله عزَّ وجلَّ ، ثمَّ قالَ : « **إنَّكم شكوتُمْ جدبَ دياركم واستئخار المطر عن إبان زمانكم عنكم ، وقد أمركم الله عزَّ وجلَّ أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم** ، ثمَّ قال : « **الحمدُ للهِ ربِّ العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ،**

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري (١٠١٢) ، ومسلم (٨٩٤) .

(٢) برقم (١١٧٣) .

(٣) فى « السنن » (١١٧٥) وجوَّد إسناده رحمه الله .

لا إله إلا الله يفعلُ ما يريدُ ، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين » ، ثمَّ رفع يديه فلم يزل فى الرفع حتى بدا بياض إبطيه ، ثم حوَّل على الناس ظهره وقلب أو حوَّل رداءه وهو رافع يديه ، ثم أقبل على الناس ، ونزل فصلى ركعتين ، فأنشأ الله سحابة فرعدت وبرقت ، ثم أمطرت بإذن الله ، فلم يأتِ مسجده حتى سالت السيول ، فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك ﷺ حتى بدت نواجذه فقال : « **أشهد أن الله على كلِّ شيءٍ قدير وأني عبد الله ورسوله** » .

ولصلاةِ الاستسقاءِ أحكامٌ تتعلَّقُ بها مَحِلُّها فِى كُتُبِ الفِقْهِ .

تنبيهٌ :

اكتفى المؤلِّفُ رحمه الله ببعضِ سُنَنِ الصَّلواتِ .

وهناكَ سُنَنٌ أخرى لمْ يذكرْهَا مشروعةٌ ، منها صلاةُ ثنتي عشرةَ ركعةً فى اليومِ واللَّيلةِ ، وسُنَّةُ المغربِ ، وأربعُ ركَعاتٍ قبلَ الظُّهرِ مَنْ حافظَ عليهنَّ حرَّمَ اللهُ لحمَهُ على النَّارِ ، ونحوُ ذلكَ منَ السُّنَنِ كقيامِ اللَّيلِ وبالأخصِّ قيامُ رمضانَ ، وقد خرجتُ الأحاديث الدَّالةُ على ذلك فى غير هذا الموطن .

قالَ الإمامُ المزنيُّ رحمه الله :

« **واجتنابِ المحارمِ** » .

تجتنبُ المحارمَ ، أي المحرَّماتِ التى حرَّمها اللهُ تعالى .

وقدْ قالَ تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأعراف) .

وقدْ قالَ رسولُ الله ﷺ : « **يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ؛ وَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ** ... » الحديث .(١)

وفى « الصحيحين » أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ : « **أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللهِ فِى أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ ، أَلاَ وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ . أَلاَ وَهِىَ الْقَلْبُ** » .(٢)

واجتنابُ المحارمِ عامٌ .

يدخلُ فيها كلُّ ما حرَّمَ اللهُ تعالى مِمَّا نصَّ على حرمتِه فى كتابِ اللهِ أو سُنَّةِ رسول الله ﷺ ، أو توعَّدَ الله تعالى أو رسوله ﷺ بالعقابِ عليهِ .

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« والاحترازِ منَ النَّميمةِ والكذبِ والغيبةِ والبغيِ بغيرِ الحقِّ وأنْ يقالَ على الله ما لا يعلمُ ، كلُّ هذا كبائرُ محرَّماتٌ » .

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري (١٠٤٤) ، ومسلم (٩٠١) .

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) .

ذكرَ هذهِ المحرَّماتِ إمَّا أنَّها تفسيراً لقولهِ : « **واجتناب المحارم** » ، أو أنَّهُ ذكرهَا منفصلةً بعدَ إجمالِهَا لزيادةِ التأكيدِ على تحريمِهَا للحاجَةِ بسببِ اشتهارِهَا على ألسنة الناس .

نبَّه المؤلِّفُ رحمه الله على ذكرِ بعضِ المعاصي التى على المسلمِ الاحترازِ منها ، وهيَ منْ مساوئ الأخلاقِ .

أولها : النميمةَ .

وهيَ نمُّ الحديثِ ينمِّيهِ ، وهيَ نقلُ كلامِ النَّاسِ بعضهم إلى بعضٍ على جهةِ الإفسادِ بينَهُمْ .

ويُطلقُ عليهِ : القتَّاتُ ، وهوَ النَّمَّامُ .

وقدْ أخرجَ البخاريُّ [1] عنْ حذيفةَ رضي الله عنه قالَ : « **لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ** » .

وفى روايةِ مسلمٍ عنْ همامِ بنِ الحارثِ قالَ : « كَانَ رَجُلٌ يَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَى الأَمِيرِ فَكُنَّا جُلُوساً فِى الْمَسْجِدِ فَقَالَ الْقَوْمُ : هَذَا مِمَّنْ يَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَى الأَمِيرِ ، قَالَ: فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « **لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ** » . [2]

والنَّميمةُ حرامٌ ، وهيَ منَ الكبائرِ .

---

(١) برقم (٦٠٥٦) .

(٢) أخرجه مسلم (١٠٥) .

وقدْ قالَ تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ﴾ (الهمزة) .

اللُّمَزَةُ : النَّمَّامُ .

والنَّمَّامُ فاسقٌ إجماعاً .[١]

فينبغي أنْ يُبَغَض ولا يؤتَمَنَ ولا يوثَقَ بصداقتِهِ ، وكيفَ ينفكُّ عنِ الكذبِ والغيبةِ والقذفِ والخيانةِ والغلِّ والحسدِ والإفسادِ بينَ النَّاسِ والخديعةِ وهوَ ممَّنْ سَعَى فى قطعِ مَا أمرَ اللهُ بهِ أنْ يوصلَ ، ويفسدونَ فى الأرضِ ، وجزاء السيئة سيئة مثلها ، ومثلُ مَنْ اتَّصفَ بهذهِ الصفاتِ ينبغي أنْ يُهْجَرَ ويُحذَّرَ منهُ .

ثانيها : قولهُ : « والكذبُ » .

هوَ محرَّمٌ بلا نزاعٍ .

وقدْ أخرجَ البخاريُّ [٢] عنْ عبدِ الله بنِ مسعودٍ ﷺ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ : « **إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقاً ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّاباً** » .

وإذا كانَ كذباً على رسولِ الله ﷺ فذاكَ أخطرُ ؛ إذ يتبوأُ المرءُ بهِ مقعداً منَ النَّارِ ؛ لأنَّ الكذبَ عليهِ يفسدُ الدينَ والملَّةَ ، ويبدِّلُ الحقَّ باطلاً والباطلَ حقاً والعدوَّ

---

(١) حكى هذا الإجماع الهيثمي فى « الزواجر عن اقتراف الكبائر » ، وكذا الذهبي فى « الكبائر » (ص١٦٠) .

(٢) برقم (٦٠٩٤) ، وهو عند مسلم (٢٦٠٧) .

صديقاً ، كما قد أشار رسول الله ﷺ : « **إِنَّ كَذِباً عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** » . (١)

حتَّى إنَّ المرءَ إذا كانَ يحدِّثُ بكلِّ ما سَمِعَ فإنَّهُ يقَعُ فى الكذبِ لا محالةَ .

وقدْ أخرجَ مسلمٌ عنْ عمرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ قالَ : « بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » . (٢)

فإذا كانَ العبدُ كذلِكَ فإنَّهُ يستكثر منَ الكذبِ لا محالة ، لكنْ يجوزُ الكذبُ فى الحربِ فإنَّ الحربَ خِدعةٌ ، كَما فعلَ محمدُ بنُ مسلمةَ ﷺ حينَما ذكر ﷺ عندَ كعبِ ابنِ الأشرفِ ، وقالَ : « قَدْ عَنَّانَا وَسَأَلَنَا الصَّدَقَةَ » . (٣)

وهلْ نجا كعبُ بنُ مالكٍ ﷺ ومَنْ معَهُ ممَّا حلَّ بهمْ لَمَّا تخلَّفوا عنْ غزوةِ تبوكَ إلابالصِّدقِ ؟ كما قالَ هوَ فى حديثِهِ . (٤)

فإذا كانَ ذا وجهينِ يأتي هؤلاءِ بكذبٍ على هؤلاءِ وهؤلاءِ بكذبٍ على أولئكَ فقدِ اجتمعَ إلى الحرامِ تحريماً ، فصار صاحبهُ أشرَّ النَّاسِ ، كما أشار ﷺ .

أما إذا كانَ المرءُ يُصْلِحُ بكذبِهِ ذلكَ بينَ النَّاسِ فليسَ مِنَ الكذَّابينَ إذا نمَّى خيراً وقالَ خيراً .

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري (١٢٩١) ، ومسلم فى المقدمة .

(٢) كما فى صحيح مسلم (٥) فى المقدمة ، وإسناده صحيح .

(٣) كما فى صحيح البخاري (٢٠٣١) .

(٤) وروايته بذلك فى صحيح البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (٢٧٦٧) .

فقدْ أخرجَ البخاريُّ [١] منْ حديثِ أمِّ كُلْثُومٍ بنتِ عقبةَ بن أبي مُعَيْطٍ وكانتْ منَ المهاجراتِ الأُوَلِ عنْ رسولِ الله ﷺ قالَ : « **لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِى يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ ، فَيَنْمِى خَيْراً ، أَوْ يَقُولُ خَيْراً** » .

وفى روايةٍ لمسلمٍ [٢] زيادةٌ فى هذا عنِ الزُّهريِّ قالَ : « وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِى شَىْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلاَّ فِى ثَلاَثٍ الْحَرْبُ وَالإِصْلاَحُ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا » .

قالَ الطبريُّ رحمه الله :

« ذهبْ طائفةٌ إلى جوازِ الكذبِ لقصدِ الإصلاحِ ، وقالوا : إنَّ الثلاثَ المذكورةَ كالمثالِ ، وقالوا : الكذبُ المذمومُ إنَّمَا هوَ فيمَا فيهِ مضرَّةٌ ، أوْ ليسَ فيهِ مصلحةٌ .

وقال آخرونَ : لا يجوزُ الكذبُ فى شيءٍ مطلقاً ، وحملوا الكذبَ هُنَا على التوريةِ والتعريضِ ، كمنْ يقولُ للظَّالمِ دعوتُ لكَ أمس ، وهوَ يريدُ قولهُ : « اللهمَّ اغفرْ للمسلمينَ » ، ويَعِدُ امرأتَهُ بعطيَّةِ شيءٍ ويريدُ إنْ قدَّرَ اللهُ ذلكَ .

قالَ الحافظ ابنُ حجرٍ رحمه الله : [٣]

« وبالأوَّلِ جزمَ الخطابيُّ وغيرهُ ، وبالثَّاني جزمَ المهلَّبُ والأُصيليُّ وغيرهمَا .

---

(١) برقم (٢٦٩٢) .

(٢) برقم (٢٦٠٥) وغيره ، وقد جعل قول الزهري هو من حديث النبي ﷺ مرفوعاً ، لكن الصحيح أنه من قول الزهري لا مرفوعاً ، كما بينته فى كتابي « ذم شرِّ الناس ذي الوجهين » .

(٣) فى « فتح الباري » (٥/ ٣٦٧) .

واتَّفقُوا على أنَّ المرادَ بالكذبِ فى حقِّ المرأةِ والرجُلِ إنَّمَا هوَ فيما لا يُسْقِطُ حقاً عليهِ أو عليهَا ، أو يأخذُ بذلكَ ما ليسَ لهُ أو لَهَا ، وكذا فى الحربِ فى غيرِ التأمينِ .

واتَّفقوا على جوازِ الكذبِ عندَ الاضطرارِ ، كما لوْ قصدَ ظالمٌ قتلَ رجلٍ وهو مختفٍ عندَهُ ، فلهُ أنْ ينفيَ كونَهُ عندهُ ويحلفَ على ذلكَ ولا يأثمُ » .

قالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ فى شرحِ حديثِ : « شرُّ النَّاسِ ذِي الوجهينِ » : (١)

« فأمَّا مَنْ يقصدُ بذلك (٢) الإصلاحَ بينَ الطائفتين فهوَ محمودٌ ، ولكنْ يُعرِّضُ ، فإنَّ مِنَ المعاريضِ مندوحةٌ - أي فسحةٌ وسعةٌ - عنِ الكذبِ » .

وقدْ أخرجَ البخاريُّ فى « الأدب المفردِ » بإسنادٍ صحيحٍ عنْ عمرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ قالَ : « إنَّ فِي المعاريضِ ما يُغْنِي المسلمَ عنِ الكَذِبِ » . (٣)

وأخرجَ بإسنادٍ صحيحٍ عنْ عمرانَ بنِ حصينٍ ﷺ قالَ : « إنَّ فى المعاريضِ لمندوحةٌ عنِ الكذبِ » . (٤)

فيُبَاحُ قولُ المرءِ الكذبَ فى المعاريضِ إنْ كانَ يريدُ بهِ صيانةَ دينهِ ودنياهُ .

---

(١) فى « فتح الباري » (١٠/ ٥٧٢) ، وتمام الحديث : قولهُ ﷺ : « إنَّ شر الناس ذو الوجهين الذى يأتي هؤلاءِ بوجهٍ وهؤلاءِ بوجه » ، وهو فى صحيح البخاري (٧١٧٩) ، ومسلم عقب رقم (٢٦٠٤) .

(٢) أي بكذبه ذلك ، أو بفعله ذلك .

(٣) أخرجه البخاري فى « الأدب المفرد » (٨٨٤) ، والطحاوي فى « شرح المشكل » (٧/ ٣٦٩) .

(٤) أخرجه البخاري فى « الأدب المفرد » (٨٥٧) ، والطحاوي فى « شرح المشكل » (٧/ ٣٧٠) .

وقدْ بوَّبَ ابنُ حبَّانَ ببابِ الخبرِ الدَّالِّ على إباحةِ قولِ المرءِ الكذبَ فى المعاريضِ يريدُ بهِ صيانةَ دينهِ ودنياهُ .

ثمَّ روى حديث إبراهيمَ عليه السلام وهوَ قولُ محمد ﷺ : « **لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلاَّ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِى ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَوْلُهُ : (إِنِّى سَقِيمٌ) ، وَقَوْلُهُ : (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) ، وَقَالَ : بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ هَا هُنَا رَجُلاً مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، فَسَأَلَهُ عَنْهَا ، فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ : أُخْتِى ، فَأَتَى سَارَةَ قَالَ : يَا سَارَةُ ؛ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِى وَغَيْرُكِ ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِى ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِى فَلاَ تُكَذِّبِينِى** .... » الحديث .[1]

والمقصودُ : أنَّ الكذبَ جاء الذمُّ لهُ كثيراً .

قالَ جبريلُ عليه السلام فى رحلةِ الإسراءِ فى المنام : « **أَمَّا الَّذِى رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** » .[2]

وَوُصِفَ الكذَّاب بالنِّفاقِ فى قولهِ ﷺ : « **آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ** » .[3]

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٧) ، ومسلم (٢٣٧١) .

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري (٦٠٩٦) .

(٣) **صحيح** . أخرجه البخاري (٣٩٥) ، ومسلم (٥٩) .

وفى « الصحيحين » عنِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قالَ مرفوعاً : « **أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ** » .(١)

وأخرجَ أبو داود (٢) بإسنادٍ حسنٍ لشواهدِهِ منْ حديثِ أبي أمامةَ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسول الله ﷺ : « **أنا زعيم ببيتٍ فى ربضِ الجنَّةِ لمنْ تركَ المراءَ وإنْ كانَ محقًّا ، وببيتٍ فى وسطِ الجنَّةِ لمن تركَ الكذبَ وإن كانَ مازحاً ، وببيتٍ فى أعلى الجنَّةِ لمن حَسُنَ خُلُقه** » .

وفى « سنن ابن ماجة » (٣) بإسنادٍ حسنٍ منْ حديثِ عبد الله بن عمروٍ رضي الله عنهما قالَ : قيل لرسول الله ﷺ : أي الناسِ أفضل ؟ قال : « **كل مخموم القلبِ صدوق اللسان** » ، قالوا : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قالَ : « **هو التقي النقي ، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد** » .

وأخرجَ الترمذيُّ (٤) بإسنادٍ صحيحٍ عنِ الحسنِ بنِ عليٍّ رضي الله عنهما قال : حفظتُ من رسول الله ﷺ : « **دع ما يُرِيبُكَ إلى ما لا يُرِيبُكَ ، فإنَّ الصدقَ طمأنينة وإنَّ الكذبَ ريبة** » .

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري (٣٤) ، ومسلم (٥٨) .

(٢) برقم (٤٨٠٢) .

(٣) برقم (٤٢١٦) ، وقد صححه البوصيري فى « الزوائد » .

(٤) برقم (٢٥١٨) .

وأخرجَ أحمدُ وغيرهُ [١] عنْ أبي بكرٍ ﷺ قال : « قام فينا رسولُ الله ﷺ فى مقامي هذا عام الأول ، ثم بكى أبو بكرٍ ، ثمَّ قالَ : « **عليكمْ بالصدقِ فإنَّه مع البرِّ وهما فى الجنَّة ، وإيَّاكمْ والكذب فإنَّه مع الفجورِ وهما فى النَّار** » .

وقدْ جاءَ ذمُّ المَلِكِ الكذَّابِ أيَّما ذمٍّ .

ففي « صحيح مسلم » [٢] قولهُ ﷺ : « **ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ شَيْخٌ زَانٍ وَمَلِكٌ كَذَّابٌ وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ** » .

فالكذبُ مذمومٌ مِنْ كلِّ وجهٍ عقلاً وشرعاً وفِطَرةً وسلُوكاً .

ثالثها : قولهُ : « والغَيْبَةِ » .

أي : ينبغيَ للمرءِ أنْ يحترزَ مِنَ الغيبةِ ، وهي ذكرُ المرءِ أخاهُ بما يكرهُ .

فقدْ أخرجَ مسلمٌ عنْ أبي هريرة ﷺ قالَ : قالَ رسول الله ﷺ : « **أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ** » ، قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : « **ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ** » ، قِيلَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِى أَخِى مَا أَقُولُ ، قَالَ : « **إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ** » . [٣]

وهيَ محرَّمةٌ بالقرآنِ والسُّنَّةِ وهيَ منْ كبائرِ الذُّنوبِ . [٤]

---

(١) فى « المسند » (١/ ٣) ، وابن ماجة (٣٨٤٩) ، وهو صحيح .

(٢) برقم (١٠٧) .

(٣) **صحيح** . أخرجه مسلم (٢٥٨٩) .

(٤) قد عدها من صنَّفوا فى كبائر الذنوب من الكبائر .

قالَ تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ﴾ (الهمزة) .

واللُّمزةُ : الذى يعيبُكَ فى وجهِكَ ، والهُمَزَةُ : الذى يعيبُكَ بالغَيْبِ .

وقدْ أخرجَ أبو داودَ [١] وغيرهُ بإسنادٍ قويٍّ لشواهدِهِ وطرقِهِ عنْ رسولِ الله ﷺ قالَ : « **يا معشرِ مَنْ آمنَ بلِسانِهِ ولمْ يدخُلِ الإيمانُ قلبه لا تغتابوا المسلمينَ ولا تتبعوا عوراتِهِمْ فإنَّه مَنْ اتَّبعَ عوراتهم يتبع اللهُ عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه فى بيتهِ** » .

قالَ العلماءُ : [٢]

« تُباحُ الغيبةُ فى غرضٍ صحيحٍ شرعاً حَيْثُ يتعيَّنُ طريقاً إلى الوصولُ إليهِ بِهَا ؛ كالتَّظلُّمِ ، والاستعانَةِ على تغييرِ المنكرِ ، والاستفتاءِ ، والمحاكمةِ ، والتحذيرِ منَ الشرِّ ، ويدخلُ فيهِ تجريحُ الرُّواةِ والشهودِ ، وإعلامِ مَنْ لهُ ولايةٌ عامةٌ بسيرةِ مَنْ هوَ تحتَ يدهِ ، وجوابِ الاستشارةِ فى نكاحٍ ، أو عقدٍ من العقودِ ، وكذا مَنْ رأى متفقِّهاً يتردَّدُ إلى مبتدعٍ أو فاسقٍ ويخافُ عليهِ الاقتداءَ بهِ ، وممَّنْ تجوزُ غيبتُهُمْ مَنْ يتجاهَرُ بالفسقِ ، أو الظُّلمِ ، أو البدعةِ ، فإنَّهُ مِنْ بابِ النَّصيحةِ الواجبةِ ، وممَّا لا يدخلُ فى الغيبةِ إطلاقُ : الأعمشِ ، والأعرجِ ، والأحولِ ، والحذَّاءِ ، والطويلِ، والقصيرِ .... ونحو ذلك ، إذا كانَ للتَّعريفِ .

ويدخلُ فى ذلكَ أيضاً : مَنْ كانَ يبيِّنُ ما فيهِ ضرر فى نحوِ خطبةٍ [١]، أو مشاركةٍ،

---

(١) برقم (٤٨٨٠) .

(٢) حكاه عنهم الحافظ فى « فتح الباري » (١٠/ ٥٦٩) وغيره .

أو نحو ذلك ، فيجوزُ » .

وإليك الأدلَّةُ على ذلكَ مفصَّلَةٌ :

أولاً : التَّظلُّمُ .

لقولِ هندِ بنتِ عتبةَ ﵂ قالتَ : « إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ سِرًّا ، قَالَ : « **خُذِى أَنْتِ وَبَنُوكِ مَا يَكْفِيكِ بِالْمَعْرُوفِ** » .(٢)

فهذا وصفٌ بِمَا يكرهُ ، لكنْ اغتُفِرَ لكونِهِ فى حالةِ التَّظلُّمِ .

وقدْ قالَ رجلٌ لرسول الله ﷺ : « يا رسولَ الله إنَّ أبي يريدُ أنْ يحتاجَ مالي ، فقالَ رسول الله ﷺ : « **أنتَ ومالُكَ لأبيكَ** » .(٣)

وقدْ قالَ تعالى : ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾ (النساء) .

ثانياً: تغييرُ المنكرِ .

ومنهُ قولُ رسول الله ﷺ : « **مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ**

.....

(١) كما قالَ رسول الله ﷺ : « بئس الخطيب أنت ، قل : ومن يعص الله ورسوله فقد غوى » ، كذا لما شرك فى اللفظ فقال : « من يعصهما » . والحديث أخرجه مسلم (٨٧٠) .

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري (٥٣٦٤) ، ومسلم (١٧١٤) .

(٣) **وهو خبر ثابت** خرجته فى كتابي « بر الوالدين وفقه التعامل مع الوالدين » .

فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ » .(١)

وفى صحيح البخاريِّ عنْ أنسٍ ﷺ : « أَنَّ نَاساً مِنَ الأَنْصَارِ قَالُوا لِرَسُولِ الله ﷺ حِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ ، فَطَفِقَ يُعْطِي رِجَالاً مِنْ قُرَيْشٍ الْمِائَةَ مِنَ الإِبِلِ فَقَالُوا : يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ الله ﷺ يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَدَعُنَا ، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ ، قَالَ أَنَسٌ : فَحُدِّثَ رَسُولُ الله بِمَقَالَتِهِمْ » .(٢)

وأُخْبِرَ رسول الله ﷺ بمقالةِ ابنِ سلولٍ : « لئنْ رَجَعْنَا إلى المدينةِ ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ » ، فقالَ ولدُهُ عبدُ الله بن عبد الله بن أبيٍّ لرسول الله ﷺ : « والذى أكرمكَ والذى أنزلَ عليكَ الكتابَ لئنْ شئتَ لآتينَّكَ برأسِهِ ، فقالَ ﷺ : « **لا ، ولكنْ برَّ أباكَ وأحسِنْ صحبَتَهُ** » .(٣)

ثالثاً : الاستفتاءُ .

وذلكَ لِمَا فى حديثِ هندِ بنت عتبةَ المتقدِّم .

وكذا لما جاءَتِ فاطمةُ بنتُ قيسٍ تستفتِي رسولَ الله ﷺ فيمنْ تقدَّمَ لخطبتِهَا معاويةَ وأبي جهمٍ ، فقالَ رسول الله ﷺ : « **أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ** » .(٤)

---

(١) **صحيح** . أخرجه مسلم (٤٩) .

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري (٣١٤٧) .

(٣) **وهو حديث حسن** مخرَّج فى كتابي « بر الوالدين » .

(٤) وهو عند مسلم (١٤٨٢) .

رابعاً : المحاكمةُ .

لقولهِ ﷺ : « **ليُّ الواجدِ يُحِلُّ عرضَهُ وعقوبتَهُ** » ، وهو حديثٌ حسنٌ خرجتهُ فى كتابي : « مطل الغني ظلم » .

ومعنى « **عرضَهُ** » أي : شكايته للحاكمِ بقولِ : مَطَلَنِي وأخذَ حقِّي، وهوَ ظالمٌ.

خامساً : التحذيرُ منَ الشرِّ .

ودليلة : ما رواهُ البخاريُّ [١] عنْ عائشةَ رضي الله عنها : « أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ : « **بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ ، وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ** » ، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِى وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ الله ؛ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِى وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِى فَحَّاشاً ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ** » .

ويدخلُ فى ذلكَ تجريحُ الرَّواةِ والشُّهودِ ، وهوَ كثيرٌ جداً فى كتبِ الجرحِ والتعديلِ ؛ كقولِ بعضهمْ : رافضي ، رجلُ سوءٍ ، وغيرُ ذلك .

وكقولِ خبَّابِ بنِ الأرتِّ لولدهِ لَّما رآهُ جالساً معَ العمالِقَةِ .

أخرجَ ابنُ أبي شيبة [٢] بإسنادٍ ثابتٍ عنْ عبدِ الله بن خبَّابٍ قالَ : « رآني أبي وأنا عندَ قاصٍّ ، فلمَّا رجعتُ أخذَ الهِرَاوةَ قالَ : « قرنٌ قدْ طالعَ العمالِقَة » ، اتهمهم

---

(١) برقم (٦٠٣٢) ، ومسلم .

(٢) (٨/ ٥٥٩) .

بتشبيههم فى طلوعهم بطلوع قرن الشيطان .

سادساً : إعلامُ مَنْ لهُ ولايةٌ عامَّةٌ بسيرةِ مَنْ هُوَ تحتَ يدِهِ .

ودليلُ ذلكَ :

تحديثُ رسول ﷺ بمقالةِ الأنصارِ ، كمَا تقدَّم .

وقدْ أخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ [1] بإسنادٍ ثابتٍ عنْ عبدِ الله بنِ عُمرَ رضي الله عنهما قال : « قالَ رجلٌ فى غزوةِ تبوكَ فى مجلسٍ يوماً : ما رأيتُ مثل قرّائِنَا هؤلاءِ أرغبُ بطوناً ولا أكذبُ ألسِنَةً ولا أجبنُ عندَ اللِّقاءِ ، فقالَ رجلٌ فى المجلس : كذبتَ ، ولكنَّكَ منافِقٌ لأخبرنَّ رسولَ الله ﷺ ، فبلغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ ونزلَ القرآنُ ، قالَ عبدُ الله : فأنا رأيتُهُ متعلِّقاً بحقبِ ناقةِ رسول الله ﷺ تنكبُهُ الحجارةُ وهوَ يقولُ : يا رسولَ الله : إنَّما كُنَّا نخوضُ ونلعبُ ، ورسولُ الله ﷺ يقول : « **أبالله وآياتِهِ ورسولِهِ كنتم تستهزئون** » .

وقدْ أُخبرَ النبيُّ ﷺ بأشاءَ كثيرةٍ ، وكذلكَ الأمراءُ مِنْ بعدِهِ .

سابعاً : جوابُ الاستشارةِ فى نكاحٍ أو عقدٍ منَ العقودِ .

وهذا كمَا تقدَّمَ فى حديثِ فاطمةَ بنتِ قيسٍ رضي الله عنها .

ثامناً: مَنْ رأى متفقِّهاً يتردَّدُ إلى مبتدعٍ أو فاسقٍ ويخافُ عليهِ الاقتداءَ بهِ.

---

(١) فى « تفسيره » (٦/ ١٨٢٩) .

وهذا قدْ يجبُ، وعليهِ دَرَجَ السَّلفُ والخَلْفُ ، وهوَ مِنْ بابِ« **الدينُ النصيحةُ**».

وقدْ أخرجَ الدارميُّ [١] بإسنادٍ صحيحٍ عنْ أيُّوبَ السَّخْتِيَانيِّ قالَ : « رآنِي سعيدُ ابنُ جبيرٍ جلستُ إلى طلقِ بنِ حبيبٍ - وكانَ رجلاً من المرجئةِ - فقالَ لِي: ألمْ أركَ جلستَ إلى طلقِ بنِ حبيبٍ لا تجالِسهُ » ، وتقدم قول خباب ﷺ لما رآه جالساً مع العمالقة .

وقدْ ذمَّ ابنُ عمرَ ﷺ القدريَّةَ وتبرَّأ منهمْ لَمَّا نُقِلَتْ لَهُ مقالتُهُمْ .

وهذا منْ بابِ « **الدِّينُ النصيحةُ** » كَما تقدَّمَ ، وقدْ استفضنَا فى ذكرِ ذلكَ فى كتابِنَا « **ذمَّ أصحاب الأهواءِ والبدعِ** » ، فليراجِعهُ مَنْ أرادَ .

تاسعاً : ممَّن تجوزُ غيبتُهُمْ مَنْ يتجاهرُ بالفسقِ أوِ الظُّلمِ أو البدعةِ .

شريطةَ أنْ تكونَ الغيبةُ مقصوداً بها التحذيرُ منْ ظلمهِ وبيانَ مَا هوَ عليهِ مِنْ باطلٍ ، لا للتشفِّي ولا لحبِّ الانتقامِ أو لأهواءٍ شخصيَّةٍ ، وأن لا ينقلبَ منكرُهُ إلى منكرٍ أعظمَ منهُ ، لكن يشترط أن يكون الكلام بعدل وورع ونية حسنة ﴿ **وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا** ﴾ (الأنعام:١٥٢) .

وَمِنْ هُنَا قالَ مَنْ قالَ مِن السَّلفِ : « لا غيبة لمبتدعٍ » ، أي : يُغتابَ بما ابتدعَ فيهِ ، فيبيَّنُ أمرُهُ وحالهُ للنَّاسِ لِيُحْذَرَ منهُ ، فلا تنتشرُ بدعته وخطئه وضلاله .

والفاسقُ والظالمُ يُشهَّرُ بهِ حتَّى لا يُخْدَعَ بهِ أحدٌ ويُحذر ، ويكونُ ذلكَ سبباً لردعِهِ عنْ ظلمِهِ وفسقِهِ وبدعتِهِ وضررِهِ على النَّاسِ وعلى الملَّةِ .

---

(١) برقم (٣٩٢) .

عاشراً : ممَّا لا يدخلُ فى الغيبةِ .

إطلاقُ : الأعمشِ ، والأعرجِ ، والأحولِ ، والحذَّاءِ ، والطَّويلِ ، والقصير ... ونحو ذلك ، إذا كانَ للتَّعريفِ لا للذمِّ ، فإذا كان للذم حرم .

فهذهِ كلُّهَا ألقابٌ لأناسٍ ما قالَ أحدٌ من العلماءِ أنَّ ذلكَ يدخلُ فى الغيبةِ .

وقدْ قالَ رسول الله ﷺ لفاطمةَ بنتِ قيسٍ رضي الله عنها : « **اعْتَدِّى عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكِ فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِى** » .(١)

الحادي عشر : يدخلُ فى ذلكَ أيضاً مَنْ كانَ يبيِّنُ ما فيهِ ضررٌ في نحوِ خطبةٍ أوْ مشاركةٍ أو نحوِ ذلكَ فيجوزُ .

وَمِنْ ذلكَ قولهُ ﷺ لفاطمةَ بنتِ قيسٍ رضي الله عنها كما تقدَّمَ : « **أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ** » .

وفى روايةٍ : « **ضَرَّابٌ للنِّساءِ** » .

وأخرجَ مسلمٌ (٢) عنْ عديِّ بن حاتم رضي الله عنه : « أَنَّ رَجُلاً خَطَبَ عِنْدَ النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ . قُلْ : وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوِىَ** » .

رابعها : قالَ المزنيُّ رحمه الله:« والبغي بغيرِ الحقِّ وأنْ يقالَ على اللهِ ما لا

(١) أخرجه مسلم (١٤٨٠) .

(٢) برقم (٨٧٠) .

يعلمُ » .

كما فى قولهِ تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأعراف) .

وقدْ قالَ رسولُ الله ﷺ : « **مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِى الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ** » .(١)

قول المزني : « كلُّ هذه كبائرُ محرماتٌ » .

أي : ما ذكرَهُ منَ اجتنابِ المحارمِ ، والاحترازِ منَ النميمة والكذبِ والغيبةِ والبغيِ بغيرِ الحقِّ وأنْ يقالَ على اللهِ ما لا يعلمُ ، كلُّ هذهِ منْ كبائرِ الذُّنوبِ .

وهلِ الكبائرُ لها عددٌ معلومٌ أمْ لا ؟

قدْ وردَ عنْ رسولِ الله ﷺ أَنَّهُ سُئلَ عَنِ الكبائرِ فقالَ : « **الإِشْرَاكُ بِالله وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَقَوْلُ الزُّورِ** » .(٢)

والمقصودُ : قتلُ النَّفسِ التى حرَّمَ اللهُ إلا بالحقِّ .

وقدْ عدَّ أكبرَ الكبائرِ « **الإشراك بالله وعقوقِ الوالدين** » ، وجلس وكانَ متكئاً فقالَ : « **أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ** » ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا .(٣)

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١١) بإسنادٍ ثابت خرجته فى كتابي « تذكير الأنام بصلة الأرحام » .

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري (٢٦٥٣) عن أنس بن مالك ﷺ .

(٣) انظر الحديث فى صحيح البخاري (٢٦٥٤) ، وانظر صحيح مسلم (٨٧) .

وفى بعض الرواياتِ تردُّدُ الراوي فى « **قَوْلُ الزُّورِ** » أو « **شَهَادَةُ الزُّورِ** » .[١]

وفى بعضِهَا زادَ : « **الْيَمِينُ الْغَمُوسُ** » .[٢]

ومعنى « **الْيَمِينُ الْغَمُوسُ** » : الذى يُقْطَعُ به مالُ امرئٍ مسلمٍ بيمينٍ صَبْرٍ وهوَ فيها كاذِبٌ .[٣] فهو يغمس صاحبه فى نار جهنم والعياذ بالله .

وفى حديثِ أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ** » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ؛ وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : « **الشِّرْكُ بِالله ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّى يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ** »[٤] ، عدَّها سبعاً وليس بصريح فى إرادة الحصر .

وقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه سُئل عن الكبائر فقال : « **هن تسع** » ، قلتُ : وما هن ؟ قال : « **الإشراك بالله عزَّ وجلَّ ، وقذف المحصنة** » ، قال : قلت : قبل الدم ، قال : « **نعم ورغماً ، وقتل النفس المؤمنة ، والفرار من الزحف ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، وعقوق الوالدين المسلمين ، والإلحاد بالبيت الحرام قبلتكم أحياءً وأمواتاً** » .[٥]

---

(١) كما فى صحيح البخاري (٦٨٧١) .

(٢) كما فى صحيح البخاري (٦٨٧٠) .

(٣) كما جاء تفسيره عن الشعبي ، راوي الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فى رواية ابن حبان (٥٥٦٢) ، والسند ثابت .

(٤) **صحيح** . متفق عليه

(٥) أخرجه ابن الجعد فى « الجعديات » (٣٣٠٣) ، وفى إسناده ضعف بينته فى كتابي « جامع أحكام

لكنْ يبدو أَنَّهُ لا ضابطَ للكبائرِ فكلُّ ما عُدَّ محرَّمٌ فهوَ كبيرةٌ منْ كبائرِ الذنوبِ .

وقدْ عرَّفَ الذَّهبيُّ فى « الكبائر »[١] الكبائر فقالَ :

« ما نُهِيَ عنهُ فى الكتابِ والسُّنَّةِ والأثرِ عنِ السَّلَفِ الصالحينَ ، وقدْ ضَمِنَ اللهُ تعالى فى كتابِهِ العزيز لمنِ اجتَنَبَ الكبائرَ والمحرماتِ أنْ يكفِّرَ عنهُ الصَّغائرَ منَ السَّيِّئاتِ كما قالَ سبحانهُ : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ (النساء) .

وقدْ قالَ رسول الله ﷺ : « **الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لَمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ** » .[٢]

وقدْ اختلفَ العلماءُ فى عدِّ الكبائرِ .

فقيل : هيَ سبعٌ ، واحتجُّوا بحديثِ السبعِ الموبقاتِ .

وقد قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما : « هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبعِ » .[٣]

.....

الميت » (١/ ٩٥) .

(١) (ص٧) .

(٢) انظر الحديث بنحو ذلك فى صحيح مسلم (٢٣٣) ، وذكر الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة فقط ما لم تغش الكبائر .

(٣) **وهو صحيح عن ابن عباس .** أخرجه عبد الرزاق فى « تفسيره » (٥٥٥) عن طاووس ، قال : قيل لابن عباس رضي الله عنهما : « الكبائر سبع ؟ قال : هي إلى السبعين أقرب » ، وهو قوي فى الباب ، ودليلٌ على أن الكبائر أكثر ، ويؤيد قول الذهبي رحمه الله وغيره ، والله المستعان .

قالَ الذهبيُّ رحمه الله : (١)

« أمَّا الحديثُ فما فيهِ حصرُ الكبائرِ ، والذى يتَّجهُ ويقومُ عليه الدليل أنَّ مَنِ ارتَكبَ شيئاً منْ هذهِ العظائم ممَّا فيهِ حدٌّ فى الدنيا كالقتلِ والزِّنا والسَّرقةِ ، أو جاءَ فيهِ وعيدٌ فى الآخرةِ منْ عذابٍ أو غضبٍ أو تهديدٍ أو لعنِ فاعلهِ على لسانِ نبيِّنَا ﷺ فإنَّهُ كبيرةٌ .

ولابُدَّ مِنْ التسليمِ أنَّ بعضَ الكبائرِ أكبرُ مِنْ بعضٍ ، ألا ترى أنَّه ﷺ عدَّ الشِّركَ باللهِ منَ الكبائرِ معَ أنَّ مرتكبَهُ مخلَّدٌ فى النَّارِ ولا يُغفَرُ لهُ أبداً » . اهـ

يعني وأنَّ بعض ما ذُكِرَ فى نفس حديث الموبقات ليسَ فى درجة واحدة .

وقدْ قالَ أحمدُ رحمه الله :

« ليسَ فى تقييدهِ ذلكَ بسبعٍ منعُ الزيادةِ عليهنَّ ، وإنَّمَا فيهِ تأكيدُ اجتنابهنَّ ، ثمَّ قدْ ضُمَّ إليهنَّ غيرهُنَّ » ، ثمَّ ذكرحديثِ الكبائرِ سبعٌ . (٢)

نسألُ اللهَ تعالى أنْ يعافينَا فى الدنيا والآخرة وأنْ يتجاوزَ عَنِ الزَّلَلِ وأنْ يُخْرجَنَا منَ الدنيا بسلامٍ دونَ عذابٍ لا فى الدنيا ولا فى الآخرةِ إنَّهُ الكَريمُ الوهَّابُ المجيبُ الرؤوف اللطيف .

---

(١) فى « الكبائر » (ص٨) .

(٢) حكاه عنه البيهقي فى « الشعب » (١/ ٤٥٠) ، ثم فى حديث الكبائر تسع استحلال البيت الحرام قبلتكم أحياءً وأمواتاً ، لكنه لا يصح سنده كما بينته فى كتابي « جامع أحكام الميت » (١/ ٩٤) .

قَالَ المزنيُّ رحمه الله :

« والتحرِّي فِي المكاسبِ والمطاعِمِ والمحارِمِ والمشارِبِ والملابِسِ واجتنابِ الشَّهواتِ فإنَّها داعيةٌ لركوبِ المحَرَّماتِ ، وَمَنْ رَعَى حولَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يواقِعَ الحِمَى » .

دَعَى المؤلِّفُ رحمه الله إلى محاسنَ يتوقَّى بها المرءُ المحرَّماتِ فعدَّ منها :

« والتحرِّي فِي المكاسبِ والمطاعِمِ والمحارِمِ والمشارِبِ والملابِسِ » .

وقدْ أخرجَ مسلمٌ منْ حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه قالَ : قالَ رسول الله ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾ (المؤمنون) ، وَقَالَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ (البقرة:١٧٢) » ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ » .(١)

وقدْ قالَ رسولُ الله ﷺ : « **لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ ، أَمِنْ حَلاَلٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ** » .(٢)

وفى « صحيحِ البخاريِّ » عنِ النبيِّ ﷺ قالَ : « **مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ**

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥) .

(٢) أخرجه البخاري وبوب له بباب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ .

أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ» .(١)

وفى « صحيح البخاري »(٢) عنْ عائشةَ ﵂ قالتْ : « كَانَ لأَبِى بَكْرٍ غُلاَمٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ ، وَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ ، فَجَاءَ يَوْماً بِشَىْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ الْغُلاَمُ : تَدْرِى مَا هَذَا ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإِنْسَانٍ فِى الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ ، إِلاَّ أَنِّى خَدَعْتُهُ ، فَلَقِيَنِى فَأَعْطَانِى بِذَلِكَ ، فَهَذَا الَّذِى أَكَلْتَ مِنْهُ . فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَىْءٍ فِى بَطْنِهِ » .

وليسَ بعجيب هذا على مثلِ أبي بكرٍ ﷺ ، فإنَّ معلِّمَهُ ﷺ مَرَّ بِتَمْرَةٍ ساقطة ، فَقَالَ : « **لَوْلاَ أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً لأَكَلْتُهَا** » .(٣)

وفى « صحيح مسلم »(٤) منْ حديثِ أبي هريرة ﷺ قالَ : « أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِىٍّ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِى فِيهِ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **كِخْ كِخْ ارْمِ بِهَا أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ** » .

فالمؤلِّفُ – الإمامُ المزنيُّ ﵀ – ينصحُ بالتحرِّي فى المكاسِبِ والمطاعِمِ والمشارِبِ والملابِسِ ومراعاةِ الحلالِ والحرامِ .

ثمَّ قالَ : « **واجتنابِ الشَّهواتِ فإنَّها داعيةٌ لركوبِ المحَرَّماتِ** » .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٧٧) .

(٢) برقم (٣٨٤٢) .

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٥٥) من حديث أنس ﷺ .

(٤) برقم (١٠٦٩) .

أي أنَّ الإنسانَ إذا تناولَ المكروهاتِ وقعَ فِي الحرامِ ، وإذا واقعَ الصَّغائرَ واقعَ الكبائرَ بعدُ .

ومَنْ رضِيَ بالذَّنبِ الصغيرِ يوشِكُ أنْ يعاقرَ الذَّنبَ الكبيرَ ، وإنَّما على المرءِ أنْ يقفَ حولَ الحِمَى لا يدخُلُ فيهِ ولا يقتربُ منهُ ، فإنَّه مَتَى يقربه يلجُهُ .

وأخرجَ أحمدُ والطحاويُّ [١] والحاكمُ [٢] وغيرهُمَا وهوَ صحيحٌ عنْ عبدِ الرَّحمنِ ابنِ جُبيرِ بنِ نفيرٍ ، عنْ أبيهِ ، عنِ النَّواسِ بنِ سمعانَ الأنصاريِّ ﷺ ، عنْ رسولِ الله ﷺ أنَّهُ قالَ : « **ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وَعَلَى جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ وَعَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعاً وَلاَ تَتَفَرَّجُوا ، وَدَاعِي يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئاً مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ قَالَ : وَيْحَكَ لاَ تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ ، وَالصِّرَاطُ الإِسْلاَمُ ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللهِ تَعَالَى ، وَالأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ تَعَالَى ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ** » .

فعلَى المرءِ أنْ يبتعدَ عَنْ مقدِّماتِ الشَّهواتِ المحرَّمةِ ؛ لأنَّها داعيةٌ لركوبِ المحرَّماتِ .

ولذلكَ قالَ المؤلِّفُ عَقِبَ ذلكَ : « وَمَنْ رَعَى حولَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يواقِعَ

---

(١) برقم (٢١٤١) ، والآجري فى « الشريعة » (١٤) ، وهو عند أحمد فى « المسند » (٤/ ١٨٢) .

(٢) « المستدرك » (١/ ١٣٤) ، وهو فى « مسند أحمد » .

الحِمَى » .

وهذا هُوَ نصُّ كلامِ رسولِ الله ﷺ الواردِ فى حديثِ النعمانِ بنِ بشيرٍ رضي الله عنهما عَنِ النبيِّ ﷺ قالَ : « **الْحَلاَلُ بَيِّنٌ ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ ، فَمَنْ تَرَكَ مَا شُبِّهَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتْرَكَ ، وَمَنِ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشُكُّ فِيهِ مِنَ الإِثْمِ أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ ، وَالْمَعَاصِى حِمَى الله ، مَنْ يَرْتَعْ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكْ أَنْ يُوَاقِعَهُ** » .[1]

وروايةُ مسلمٍ : « **إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِى الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِى الْحَرَامِ كَالرَّاعِى يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ وَإِنَّ حِمَى الله مَحَارِمُهُ أَلاَ وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِىَ الْقَلْبُ** » .[2]

وقدْ أجمعَ العلماءُ على عِظَمِ موقعِ هذا الحديثِ وكثرةِ فوائدِهِ ، وأنَّهُ أحدُ الأحاديثِ التى عَليهَا مَدارُ الإسلامِ ، وقالَ جماعةٌ : هو ثُلُثُ الإسلامِ .

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« **فَمَنْ يُسِّرَ لهذا فإنَّهُ مِنْ الدِّينِ على هُدَى وَمِنَ الرحمةِ على رجاءٍ ، ووفَّقَنَا اللهُ وإيَّاكَ إلى سبيلِهِ الأقومِ بمنِّهِ الجزيلِ الأقدَمِ وجلالِهِ العليِّ الأكرمِ** » .

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري (٢٠٥١) .

(٢) أخرجه مسلم (١٥٩٩) .

« **فَمَنْ يُسِّرَ لهذا** »

يعني : للعملِ بما أشارَ إليهِ المؤلِّفُ قبلُ ، فإنَّهُ مِنَ الدِّينِ على هُدَى ؛ لأنَّ ما ذكَرَهُ المؤلِّفُ عليهِ مِنَ الدَّلائلِ ما ذكرنَاهَا قبلُ ، وإنْ لمْ يكنْ هُوَ ﷺ ذَكَرَ أدلَّةَ ذلكَ .

وبناءً على هذا ؛ فإنَّهُ يحقُّ لهُ إن شاء الله أنْ يرجُوَ رحمةَ الله .

ثمَّ دَعا لنفسِهِ ولإخوانِهِ العاملينَ والمتعلِّمينَ والقارئينَ إلى سبيلِ الله الأقومِ الَّذي بيَّنَهُ رسولُ الله ﷺ ورسَمَهُ وجعلَهُ واضحاً على المحجَّةِ البيضاءِ ليلُهَا كنهارِهَا لا يزيغُ عنه بعدَهُ إلا هالكٌ .

ثمَّ سألَ اللهَ تعالى بالصِّفَةِ المأخوذةِ منِ اسمِهِ المنَّانِ .

وهيَ صفةُ المِنَّةُ لَهُ سبحانَهُ فقالَ : « **بمنِّهِ الجزيلِ الأقدَمِ** » ؛ لأنَّ صفاتِ الله تعالى قديمةٌ ، فإنَّها كأسمائِهِ ، وهوَ سبحانَهُ أوَّلٌ بلا ابتداءٍ ، آخر بلا انتهاء ، كمَا قالَ ﷺ : « **اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ** » .

فلذلكَ قالَ : « **بمنِّهِ الجزيلِ – الكبيرِ – الأقدَمِ وجلالِهِ العليِّ الأكرمِ** »

فهوَ سبحانَهُ ذو الجلالِ والإكرامِ ، لَهُ العظمةُ والجلالُ والعلوُّ والكرمُ المطلقُ ، والأكرمُ صفةُ مبالغةٍ منَ الكريم .

فلرُبَّمَا يشاركُ الله فى كرمِهِ مَنْ هُوَ كريمٌ مِنْ خلقِهِ مَعَ الفارِقِ بينَ الخالقِ والمخلوقِ ، لكنَّ « **الأكرمَ** » يدلُّ على أنَّ ما مِنْ كريمٍ مِنَ العبادِ إلا واللهُ أكرمُ منهُ .

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« والسَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ وعلى مَنْ قرأ علينَا السَّلامَ » .

كذا يسلِّمُ عندَ الانتهاءِ ، وكأنَّهُ كانَ جالساً يكتبُ ولمَّا انتَهَى عملَ بحديثِ أبي هريرة رضي الله عنه : « **إذا أتَى أحدكم المجلس فليُسلِّم ، فإنْ بدَا لهُ أنْ يقعد فليسلِّم إذا قام فليست الأولى بأوجب من الآخرة** » .(١)

ثمَّ خصَّ المؤلِّفُ مَنْ سَلَّمَ عليهِ بمزيدِ سلامٍ خاصٍّ بعدَ السَّلامِ العامِّ ، لمزيدِ الاعتناءِ والمدحِ والفضلِ فقالَ : « **وعلى مَنْ قرأ علينَا السَّلامَ** » ؛ إذِ اللهُ سبحانَهُ قالَ : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ (النساء:٨٦) ، فعليه سلام الله ورحمته وبركاته ، وجعل الله هذا الكتاب لنا وله بركة إلى يوم القدوم عليه .

قالَ المزنيُّ رحمه الله :

« ولا ينالُ سلام الله الضالِّينَ والحمدُ لله ربِّ العالمينَ » .

المقصودُ بالضَّالينَ : اليهودُ والنَّصارى .

ولذلكَ قالَ رسولُ الله ﷺ : « **لاَ تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بِالسَّلاَمِ** » (٢) ؛ فلأنَّهُمْ ضُلَّالٌ لا يلحقُهُمْ سلامٌ .

---

(١) وقد أخرجه أحمد ، وأبو داود (٥٢٠٨) ، والنسائي (١٠١٣١) بإسنادٍ حسن .

(٢) **صحيح** . أخرجه مسلم (٢١٦٧) .

قوله : « **والحمدُ لله ربِّ العالمينَ** » : الحمدُ لله ربِّ العالمينَ على كلِّ حالٍ لفضلِهِ وَمِنَّتِهِ أنْ جَعَلَهُ يكتبُ هذا المعتقدَ السَّليمَ الذي هُوَ مأخوذٌ مِنْ كلامِ الله عزَّ وجلَّ ومن كلامِ النبيِّ ﷺ ، ووفقنا لشرحه على هذا النهج فله الحمد كله سبحانه ، وعَظَّم الله النفع به فلا غنى لنا عن بركته .

ثمَّ قالَ المزنيُّ رحمه الله :

[« نجزتِ الرِّسالةُ بحمدِ الله ومنِّهِ ، وصلواتُهُ على محمَّدٍ وآلِهِ وأصحابِهِ وأزواجِهِ الطَّاهراتِ وسَلَّمَ تسليماً كَثيراً »] . (١)

يقولُ متأدِّباً مَعَ الله إذْ نَسَبَ المِنَّةَ عليهِ فى كتابةِ هذا لله سبحانَهُ ، فقالَ : « **نجزتِ الرِّسالةُ بحمدِ الله ومنِّهِ** » ، فدل على أنها كانت رسالة لتبرئة ساحته فى المعتقد من جهة،ولنصح الإخوان الذين سألوه من جهة ، وليبقى ذكرها يدعى له بعد موته بسببها.

« **وصلواتُهُ على محمَّدٍ وآلِهِ وأصحابِهِ** » إذِ الصَّلواتُ على محمدٍ ﷺ لَهَا فضلٌ كثيرٌ، وقدْ أمرَ اللهُ بهِ ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأحزاب) ، وقال ﷺ : « **مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً** » أخرجه مسلم (٣٨٤) وفى هذا نصوص متواترة .

فأخرج الترمذيُّ بإسنادٍ ثابتٍ قولُ أُبيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه لرسولِ الله ﷺ : « يَا رَسُولَ الله إِنِّى أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِى ؟ فَقَالَ : « **مَا شِئْتَ** » ، قَالَ : قُلْتُ : الرُّبُعَ ؟ قَالَ : « **مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ** » ، قُلْتُ النِّصْفَ ؟

(١) هذه الفقرة ساقطة من كتاب « اجتماع الجيوش الإسلامية » .

قَالَ : « **مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ** » ، قَالَ : قُلْتُ : فَالثُّلُثَيْنِ ؟ قَالَ : « **مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ** » ، قُلْتُ : أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِى كُلَّهَا ؟ قَالَ : « **إِذاً تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ** » . (١)

والمعنى : أنْ يدعُوَ فيجعلَ جُلَّ أدعيتِهِ أنْ يُصلِّي ويُسلِّمَ على رسولِ الله ﷺ .

وأمَا الصلاةُ على آلِهِ ﷺ وأصحابِهِ وأزواجِهِ .

ففي صحيح البخاري ومسلم منْ حديثِ أبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُمْ قَالُوا : « يَا رَسُولَ الله ؛ كَيْفَ نُصَلِّى عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** » . (٢)

فالصلاةُ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ وأزواجِهِ ثابتةٌ .

وقولُهُ : « **الطاهراتِ** » .

مصداقُهُ فِي قولِهِ تعالى : ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (النور:٢٦) .

وَمَنْ وَقَعَ فى أمِّ المؤمنينَ عائشة رضي الله عنها بعدَما برَّأهَا اللهُ وممَّا افتُرِيَ عليها بهِ فهوَ كافرٌ بإجماعٍ .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧) بإسنادٍ ثابتٍ خرجته فى كتابي « مطل الغني ظلم » .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٩) ، ومسلم (٤٠٧) .

وأمَّا بقيَّةُ أمَّهَاتِ المؤمنينَ .

ففي ذلكَ خلافٌ ، والرَّاجحُ أنَّهُنَّ كَهِيَ .

وأمَّا الصَّلاةُ على أصحابِهِ ﷺ .

فهوَ مِنْ بابِ الجوازِ ؛ إذْ قدْ صلَّى رسولُ الله ﷺ على بعضِهِمْ كآلِ أبي أوفَى وغيرِهِ ، ولا مانِعَ مِنَ الصَّلاةِ عليهِم ، إذْ صلاةُ اللهِ عليهِم فيها رحمةٌ لَهُمْ .

ولهُمْ مِنَ الفضلِ العظيمِ ما لَهُمْ .

وهوَ دعاءٌ لهمْ يؤجرُ المرءُ على دعائِهِ للصحابةِ .

فقد أمرنا الله تعالى بالاستغفار لهم فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحشر) .

وكذا حضنا رسول الله ﷺ وأصحابه على نحو ذلك ، وهو من حقهم ﷺ علينا.

وكذا أمر أصحابه ﷺ التابعين رحمهم الله بذلك .

وسلِّمْ تسليماً كثيراً مباركاً فيه على رسولِ الله وآلِهِ وأصحابِهِ وأتباعِهِ .

نسألُ اللهَ أنْ يكتبَ لَنَا بذلكَ الأجرَ والقبولَ والثَّوابَ ، وأنْ يجعلَهُ حُجَّةً لَنَا لا علينَا ، خالصاً لوجهه الكريم .

والحمدُ لله أوَّلاً وآخراً لهُ المنَّةُ العُظْمَى سبحانَهُ .

ورحمَ اللهُ تعالى مَنِ اعتَنَى بهذا الشَّرح وبلَّغَهُ غيرَهُ ونَشَرَهُ فِي النَّاسِ لعمومِ

النَّفعِ ودَعَى لكاتِبِهِ وشارحه بظهرِ الغيبِ .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه
أبو يحيى محمد بن عبده
بلطيم-كفر الشيخ-مصر

الفهرس

مقدمة الشارح ٣
ترجمة الإمام المزي رحمه الله ٥

بداية نص كتاب المزني رحمه الله ١٠
ملخص ما وقع من المعاصرين مما سبب فتناً ١٣
دعاء المزني رحمه الله وشكره ٢٠
إثبات المزني رحمه الله لعلو الله تعالى على عرشه فى مجده بذاته ٢٨
تعقب المزني فى إثبات اسم الله الجواد ٢٩
القضاء والقدر ٣٠
أقسام القدرية ٣٣
الملائكة وأقسامهم وبعض أعمالهم ٣٧
التعليق على تسمية ملك النفخ فى الصور بإسرافيل ٤٢
حملة العرش وما ورد فى شأنهم ٤٥
أثر الإيمان بالملائكة ٥٤
إثبات صحة عصمة الملائكة الإجماع ٥٥
التعليق على كلام الشيخ النجمي فى جزمه بنوع من الملائكة (خزان الريح) . ٥٦
خلق آدم عليه السلام والتعليق على أكله من الشجرة ٥٧
ذكر الأشياء التى خلقها الله بيده ٥٧
الشجرة التى نهى آدم ﷺ عن الأكل منها ٦٢
لماذا نهاه ربه عن الأكل منها ٦٣
تنبيه مهم ٦٥
خلق الجنة والنار وإثبات القدر ٦٧
تعليق المؤلف رحمه الله على سبب ورود قوم النار ٦٨
الإيمان وإثبات لتفاضل أهل الإيمان ٧٠
المنع من الشهادة لمحسن أو مسيء بجنة أو نار بغير دليل ٧٧
إثبات أن القرآن كلام الله ٨٢
إثبات كلام الله وقدرته ونعمته وصفاته ٨٧
إثبات علو الله تعالى على عرشه ٩٠

كلام المؤلف ﷺ على آجال الخلائق..... ٩٤
إثبات المؤلف لعذاب القبر وضغطته..... ٩٥
ما ينجي من عذاب القبر..... ١٠٠
هل يُعذَّب المرء في القبر بالنار ؟..... ١٠٢
النشور والحساب..... ١٠٤
الميزان يوم القيامة..... ١٠٩
كلام المؤلف فيمن يلي الحكم بين العباد يوم القيامة ومقدار ذلك اليوم..... ١١٥
انقسام الناس يوم القيامة فريق في الجنة وفريق في السعير..... ١٢٢
الجنة وما فيها للصالحين..... ١٢٣
زيارة المؤمنين لربهم ﷻ..... ١٢٤
إثبات المؤلف ﷺ رؤية الله تعالى يوم القيامة..... ١٣٢
دليل عدم رؤية الله تعالى في الدنيا..... ١٣٧
عدم رؤية أهل الجحود لربهم يوم القيامة..... ١٣٨
طاعة الأئمة والأمراء ومنع الخروج عليهم..... ١٤١
شروط الخروج على الحكام..... ١٤٨
أنواع المنكر الذي يُنكر على الحاكم..... ١٥٠
فقه الإنكار على الحكام علانية..... ١٥٣
الإمساك عن تكفير المسلمين ووصف المؤلف لأهل البدع بالجرب..... ١٥٩
مخالفة الخوارج والمعتزلة هذا الأصل..... ١٦٢
نقل الإجماع على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم ومجانبتهم والتباعد منهم..... ١٦٣
تفضيل أبي بكر ﷺ خليفة رسول الله ﷺ ونقل الإجماع على ذلك..... ١٦٦
التثنية بالفاروق عمر ﷺ والتثليث بعثمان ذي النورين ﷺ..... ١٦٩
إثبات أن أبا بكر وعمر ﷺ دفنا مع رسول الله ﷺ..... ١٧١
تزكية العشرة المبشرين بالجنة وذكر ما لهم من الحق والواجب..... ١٧٤
من الواجب لأصحاب رسول الله ﷺ..... ١٧٧

الصلاة وراء الأئمة والحج معهم وإن كانوا جورة ١٨٣
قصر الصلاة فى السفر والفطر..... ١٩٢
نقل الإجماع على ما قرره المؤلف ﷺ فى كتابه ١٩٣
تسمية المؤلف ﷺ لكتابه بشرح السنة وتحريه للصواب..... ١٩٦
كلام المؤلف ﷺ عن الصلوات والزكوات..... ٢٠٠
كلام المؤلف ﷺ على الحج على المستطيع..... ٢٠٣
شرحي كلام المؤلف ﷺ عن الخمس المسنونات..... ٢٠٦
تنبيه مهم..... ٢١١
كلام المؤلف ﷺ عن اجتناب المحارم..... ٢١٢
كلامه ﷺ عن الاحتراز من النميمة والكذب والغيبة والبغير بغير الحق ٢١٣
الحالات التى يجوز فيها الغيبة..... ٢٢٢
تفصيل عدّ الكبائر..... ٢٣٠
حث المؤلف ﷺ على التحري فى المكاسب ٢٣٢
خاتمة كلام المؤلف وفيها الثناء على الله ورسوله ﷺ وأصحابه وزوجاته ٢٣٨
الفهرس ٢٤٢

الصف والإخراج الداخلي
عاطف سعد عنتر
٠١٠٩٩٧٧٤٤٨٩